۹۴۴۴
کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب محجة البیضاء فی احیاء الاحیاء محمد الرابع
مؤلف مولا محسن فیض کاشانی (محمد بن مرتضی)
موضوع
شماره تفصیل
سجل اصل مولف - بخط مولف در اصول کافی
شماره ثبت کتاب
۶۲۴۸۵
۱۱۰۱
۷۴۵۵ ف

کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب محجة البیضاء فی احیاء الاحیاء محمد الرابع
مؤلف مولی محسن فیض کاشانی (محمد بن مرتضی)
موضوع
نسخه اصل مولف - بخط مولف در تفسیر اول کتاب
شماره ثبت کتاب
۶۲۴۸۵
۱۱۰۱
ف ۷۴۵۵
بازدید شد
۱۳۸۲

۳
۳,۰۰۰
۵۲۰۱
۲۸۱
۲۴۶۵
۴۲۴۱۵
بازدیدی شد
۹۳ - ۳۷

الكتاب الاول من
المحجة البيضاء
إحياء الـ
٧٤٥٥
٤٢٤٨٥

در میان جاهم مخلوق کی توانی شد بوحدت متصف
کرمیت در شش و شهوت میکند خشک و تر او کی توانی میکند
سر دیت افسرده دارد در دماغ ترتت رعنائت آرد بدماغ
هر جهار از حد گر پوشیده اند روز و شب بالله گو شنیده اند
در میان گر نجا زخم مخلف شد تلثت هم متصف
جانت را عشق باید ارم کرم ذکر را طب الهی زم زم
زهد خشک آید و تقوی دین آب سودت ناید اریز السین
تا بجوی ارم و خشک و سرد و تر نمود اعتقاد الجانت سکو نر بود

الجلد الرابع من المحجة البيضاء
في احياء الاحياء املاء العبد الضعيف
محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الكاشاني
وفقه الله للعمل بما فيه
كلمة آمين

هو
علیه المحجة واضح آرایه
وادی المتقین صبین مجرة المتقین
ولمن یعجب لهالك وبجاته
من یجود ولمن یعجب لمن یبخل

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي جعل التوبة مفتاح كل كتاب وذكره يصدر كل خطاب وبحمده يتقرب الى
النعيم في دار الثواب وبالسعة يتجلى الاشقياء وان أرخى دونهم الحجاب وضرب
بينهم وبين السعداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب ومسبب الاسباب ونرجوه لانه على كل شيء
رجاء من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التواب ونمزج رجاءنا بالخوف ونرجح من لا
رجاء انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ونصلي على نبيه محمد
صلى الله عليه وعلى آله الاكرمين صلوة تنقذنا من هول المطلع يوم الوقوف بين يدي رب
ونتهدانا عند الله زلفى ونحسن مآب اما بعد فان التوبة من الذنوب احوج شيء
الى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين ورأس مال الفائزين
واول اقدام المريدين ومتاع المستغفرين الماثلين ومطلع الاصطفاء والاجتباء
ولابينا آدم صلى الله عليه وعلى سائر النبيين وما عبد بالاهلة الا قعداء بالا آباء الا
فلا غرو ان اذنب الآدم احترم فنشئته لتوفيها من أكرم ومن اشبهاه
فاظلم ولكن الاب اذا جبر بعد ان كسر وعمر بعد ان هدم فلكين الرجوع اليه اسهل
وتقدم لمن اتخذه قدوة ان الذنب دون التوبة تقذلت به القدم على الجود فلص الغير
وآب الملائكة المقربين والجود للشرود دون القلال بحجة الشاطين فالتجأ الى
ملك ترتب عند الملك الديان والجود للشرود شيطان والقلال للشرع الى الخير
بالجملة ان عدا زوج لطينة الانسان شاب ان واصلي فيحنان وكل عبد
مضغة اما الى الملك واما الى الشيطان فاتاب قد ناغاه الرحمن وقال
نسبة الى آدم بلا واسطة بيد الانسان والقرب الطفان ستقبل على الخير اقبال الشيطان
فاما تصحح النسبة بالجود لنقض الخير الا بالتوبة ولا تصح حرمة الانسان فان الشر

يكون مع الخير فطينة آدم عجنا بحكمة لا تخلو الى الابد من ناره الذم او نار صنع فالانسان
بالذم مزدوج الى خلص جوهر الانسان من غير خبايث الشيطان واليك الانسان
اختار ابهون الشرين والمبادرة الى اخف الذمين قبل ان يطوى بساط
الاختيار ويساق الى دار الاضطرار اما الى الجنة او الى النار واذا كانت التوبة
موقوفة على الدين فما المتبع وجب عقد لها في صدر ربع النيات والشرع وحقها و
شرطها وسببها وعلاتها وثمراتها والآفات المانعة منها والادوية المسيرة الى وضع
ذلك بذكر اربعة ارکان الركن الاول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها
واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص وفي جميع الاحوال وانها اذا صحت لا يتصور
الركن الثاني فيما تعانه التوبة وهو الذنوب وبيان اقسامها الى صغير وكبار وما يتعلق
بالعباد وما يتعلق بحق الله وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الجنة
والنيران وبيان الاسباب التي تعظم الصغائر الركن الثالث في بيان
شروط التوبة وادوارها وكيفية مدارك ما مضى من المظالم وكيفية تطهير الذنوب وبيان
اقسام الناس في دوام التوبة الركن الرابع في التسبب الباعث على التوبة وهي
العلاج في علة شدة الاصرار وهي الذنوب وتم المقصد هذه الاركان الاربعة بشرح
الركن الاول في نفس التوبة بيان حقيقة التوبة وحدها اعلم ان التوبة عبارة
عن معنى حقيقي ويلتزم من جملته امور ترتبه علم وحال وفعل فالعلم اول والحال ثان
والفعل ثالث والاول موجب الثاني وان ثاني موجب الثالث اما العلم اقتضاء الاراده
ستة امور الملك والملكوت اما العلم فهو معرفة عظم الذنوب وكونها حجابا بين العبد
وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة يقينية غالبة على قلبه من
هذه المعرفة ثائر القلب يسمى الموجب فان القلب بها شعر بفوات المحبوب
حال فان كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت فيسمى ثائر الموجب للحزن
لحبوبه غما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى ابعث من هذا الالم القلب

وبعد قوة الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصول هذه تاما ساريا فاذا
حصل تمام الارادة يخلق الله ايا ما تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة
اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فيحصل الحركة
فيكون الحركة يخلق الله بعد حصول القدرة وتمام الارادة يحصل بعد ذلك
الشهوة والعلم بعدم المانع وهذا ايضا من خلق الله ولكن بعض هذه المخلوقات
يترتب على البعض بسنة اجرت به سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا
فلا يخلق الله حركة اليد لكتابة مقدورة تامة الا يخلق فيها صفة يسمى قدرة وما يخلق فيها
حياة وما يخلق ارادة مخزونة ولا يخلق الارادة الجزمية ما يخلق شهوة وميلا
الى البعض ولا سمعت هذا الميل اسما تاما ما يخلق علما بانه موافق للنفس
اما الحال واما المآل ولا يخلق العلم ايضا الا باسباب لقوة ترجع الى الحركة
وارادة وعلم فاعلم ان الميل الطبعي اذا ينسمى الارادة الجازمة والا
والقدرة اذا استردف الحركة وبهذا الترتيب كل فعل والكل من اختراعات الله
ولكن بعض مخترعاته شروط البعض فلذلك يجب تقدم البعض وتاخر البعض
لا يخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم الا بعد الحياة ولا يخلق الحياة الا
بعد الجسم ويكون خلق الجسم شرطا لخلق الحياة لان الحيوة تولد في الجسم
خلق الحياة شرطا لخلق العلم لان العلم تولد من الحيوة ولكن لا تستعد المحل
لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة لان
العلم تولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة الا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود
الا ممكن ولا يمكن ترتيب لا يقبل التغير لان تغير محال فيها وجد شرط الوجود
استعد المحل بقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الوجود الالهي والقدرة
عند حصول الاستعداد ولما كان لا استعداد لسبب الشرط ترتب كان
لحصول الحوادث بفعل الله ترتيب والعبد مجرى هذه الحوادث الترتيبية

قضاء الله الذي هو واحد كلمح بالبصر وما كلامح بالبصر وظهورها بالتفصيل مقدرة
مقدر لا سعد انا هذه العبارة متولة نعم انا كل شئ خلقناه بقدر وفي البقاء الخلق
الاول العبارة متولة نعم وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وانا العباد فهم مسخرون
تحت مجاري القضاء والقدر ومن جملة القدر خلق حركة في الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة
بايده يسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد وبعد خلق علم انه يمكنه
الادراك والمعرفة فاذا تاملت من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جميع عجائب
تحت قهر القدر بستولي اهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت
وقالوا انا قدرت وكتبت ورميت ونودي من وراء حجب الغيب وسرادقات الملكوت
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما قلت اذ قلت ولكن قالوم يفهم الله
بابدكم وهذا تحير عقول القاعدين عن بحبوحة عالم الشهادة فمن جاهل انه مجبور محض
قائل انا اختراع جبر وهي متوسط قائل انا كسب ولم يفتح لهم ابواب الحقيقة
فنظروا الى عالم الغيب والملكوت فظهر لهم ان كل واحد صادق في وجدان النقص
شامل لجميعهم علم يدرك كنه هذا الامر علم يحط علما بحوانبه وتمام علم نال باشراق النور
من كوة نافذة الى عالم الغيب وانه مقهر عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على الجملة
الامر ان تقضى وقد يطلع على الشهادة من مدخل غير الاقتضاء ومن حرف
سلسلة الاسباب والسمات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط بعضها
بسبب الاسباب المكشوف لسر القدر وعلم علما يقينيا ان لا خالق الا الله
ولا مبدع سواه فان قلت قد قضيت على كل واحد من العالمين بالجبر و
الاختراع والكسب انه صادق في وجه ووجه صدقه ظاهر وهذا متناقض فكيف
يكون فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك الى الافهام قلت فاعلم ان جماعة من الجهال
يتوهمون انه قد حمل على البلد صوان عجيب يسير الفيل وما كانوا قد شاهدوا صورة

ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدة ومعرفة بالحس الذي تقدر عليه يطلبونها
وصلوا اليه يلمسوه موقع بعض العميان على رجله ووقع بعضهم على يده ووقع بعضهم
على اذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت اجوبتهم فقال
الذي لمس الرجل ان الفيل هو الاسطوانة خشنة الظاهر الا انه لين
نهاوقال الذي لمس الناب ليس كما تقول بل هو صلب لا لين فيه والحس
لا خشونة فيه وليس بغلظ الاسطوانة اصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس
الاذن لعمري هو لين وفيه خشونة فصدق احدهما فيه ولكن قال ما مثل هذا
ولا هو مثل اسطوانة وانما هو مثل بلد غليظ عريض مثل واحد منهم لانه
من وجه اذا جبر كل واحد منها ما به من معرفة الفيل لم يخرج واحد من خبر عن
وصف الفيل والكيس بكليته قصروا عن الاحاطة بكل صورة الفيل واستبعد هذا
المثل واعتبر به فانه مثال اكثر ما اختلف الناس فيه واذا كان هذا الاختلاف في
علوم المكاشفة ويجوز ان اموا جها وليس ذلك في علوم فنا فلم يحل لاحد
فتوى ان التوبة واجبة بجميع اجزائها الثلثة العلم والندم والترك وان الذنب
داخل في الوجوب لكونه واحدا جملة اجمال الله المخصوصة بمن علم العبد
وارادته وقدرته المتعلقة بهما وهذا وصفه فاسم الوجوب يشملها على الكمال
التوبة على العموم اما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه اذ هو توبة كون العاصي
من بعض الايمان وهو واجب على الفور والمتقضي عن وجوبه الذي هو
موقوف زجره ذلك عن الفعل كان هذه التوبة ليست من علوم المكاشفات التي
لا سبيل لنا الى علوم العامة وكل علم راد لكون ناهيا عن فعل فالعلم النفس
عن عقد نية ما بصراعنا كما لعلم بضرر الذنوب نافيا ارد لكون ناهيا عن ترك كما
فسر لنا تركها فهو فاقد لهذا الاسم الذي هو المراد بقولنا الا لازلي الا
حين زنى وهو موضع ما اراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكاشفة

كما لعلم بالله وحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافي الزنا والمعاصي
فانما اراد به نفي الايمان بكون الزنا مستقبحا عند الله وموجبا للعقاب كما ان اسم
الطعام واسم فلان تناوله فاذا تناول فيقال تناول وهو غير موجب لاشباع
غير موجود للطعم وكونه طعاما وغير مصدق به بل المراد انه غير مصدق بانه
انه سم مهلك فان العالم بالسم لا صاحبه لا يصلان لعاصر بالقتل ناقص الايمان
وليس الايمان بالواحد بل هو يضعف بسبعين بابا اعلاها شهادة ان لا
الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان
موجودا واحدا بل هو يضعف وسبعون موجودا اعلاها القلب والروح وادناها
اماطة الاذى عن البشرة فان كون متقوص الاطراف معلوم الانتفاء عن
البشرة عند الحدث حتى يميز عن الصائم المرسل المتلوثة بادناها المستكمل الصوم
مطلوب فحالها والطلاقها وهذا مثال مطابق فالايمان كالانسان وقد شهد
النبي صلعم بوجوب البطلان بالكلية كبعد الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد
والرسالة هو كفاقد الاطراف متقوب العينين فاقد لجميع اعضاء الطاعة
والباطنة الا اصل الروح وكان من هذا حاله قريب من الموت فيزال الاسم
الصعبة المنوه التي تحلف عنها الاعضاء التي تقدم وتقوم مقامها كذلك ليس له
الا اصل الايمان وهو متصرف الاعمال قريب من ان سلب شجرة ايمانه اذا
صدمتها الرياح العاصفة الموكلة بالايمان في مقدمة قدوم ملك الموت وورود كل
ايمان لم تثبت في النفس اصله وان تشعرت الاعمال فروعه لم تثبت على عواصف
الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وضعيف عليه سوء الخاتمة بالعياذ
على توالي الايام وتوالت عاصفات حتى سبح وثبت وتحول العاصي للطبع الى حيث
كانك ميتا في محول شجرة الزرع لشجرة الصنوبر ان شجرة وان شجرة وما الحاصل
جواب شجرة الصنوبر اذ قالت ستوقفني اغتراك بشمول الاسم اذا صفت

ووقع للقلب انس وألف لما كان متعلقات الشهوات بالعادة وعلى ذلك جبلت
وقصر عليه النزوع عنه ثم رجوع العقل الذي هو حزبه الله وجنده ومعقد اوليائه
من ايدي اعدائه شيئا فشيئا على التدريج فان المتوهم فكلما سلك ملكة القلب
للشيطان وانجز اللعين موعوده حتى قال لاحتنكن ذريته الا قليلا
وان قوى العقل وكل كان اول شيء قمع جنود الشيطان كسر الشهوات و
مفارقة العادات وردّ الطبع على سبيل القهر والغلبة للعادات والامعنى
الا لهذا وهو الرجوع عن طريق دليل الشهوة وحفزه الشيطان الى طريق الله تعالى ليس
في الوجود آدر الا الشهوة تسابق على عتبة وعزيزة التي هي عدة الشيطان تتدفق على عزيزة
التي هي عدة الملائكة فكان الرجوع عن كل شهوة مكابدة الشهوات مرة بعد اخرى
كلما كان تبيا كان اوغل فلا تظن ان هذه الصورة اختصت بآدم صلوات الله عليه
فلا شيء بغيا الا القدر وصار خصيصة لنفس كل جاية بهذا بل هو امر اتل كتب على بني آدم
لا يكون رضى خلافة الا بعد ان يتقدم الابتلاء بالشر فان يطيع اغويا فان كل من مال
بالطبع فعليه التوبة من تهلكه وكرة فان ملهو سامحا لا يوبه عاقلا عن حصة اسلافه عليه
التوجع عليه بتعهم الاسلام فانه لا يغرغه اسلام ابويه شيئا ما ابقيه
فان لهذا فعلا الرجوع عن عادته والغه لا شر سال وبار الشهوات من غير عارف
بالرجوع الى قالب صدود اهل المنهو والانطلاق والانكفاف والاسرسال وتحرش
ابواب التوبة وقبله هلك الاكثرون اذ نجوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة هل ان التوبة
رضى عين حتى كل مستحصل لا تصور ان يستغني عنها احد من البشر كما يستغني آدم
فخلقه الولد لا يتسع لرحلة الوالد اصلا واما سان وجوبها على الدوام وان كلما
جهوان كل بشر ملا كلوغي معصية بجوارحه اذا فرغ عنه الاعضاء كاورد ذل الجوان والاعضاء
من حطايا الاعضاء وتوبتهم وبكائهم على حطاياهم فان جلال بعض الاحوال تحصه

الجوارح فلا يخلو من الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن وساوس الشيطان
بارادة الخواطر المذمومة المذكورة عن ذكر الله تعالى فلا يخلو عن غفلة وتصور في العاقبة
وضعفه وآثاره وكل ذلك نقص ولها اسباب وتراكم اسبابه شيئا فشيئا على اضدادها
رجوع عن طرق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع والا تصور المفهوم من الاخرس هذا
النقص وانما سار قوتي في القادر عما الاصل فلا بد منه ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم
انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة ولذلك اكرمه الله
بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر واذا كان هذا حاله فكيف حال غيره
فان قلت لا يخلو ان ما يطرأ على القلب من الهم والخواطر نقص وان الكمال في
الخلوة عنه وان لا تصور في موصوفه كيف جلال الله تعالى وانه كلما زادت الموانع زاد الكمال
وان الاشتغال بالكمال من اسباب النقصان رجوع والرجوع توبة لكن يجب ان
لا ينافض وقد اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الامور ما هي
اذ ورد الكمال عن واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال
فاعلم انه مدسيق ان الانسان لا يخلو ابدا فطر تعرض اتباع الشهوات
اصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك الماضي وكل شهوة يتبعها
الانسان ارجع بها ظلمة لا قلبه كما يرتفع من نفس الانسان ظلمة الى وجه المرآة
الصقيل فان تراكمت ظلمة الشهوات صارت رينا كالصدء في وجه المرآة
المرآة معذرة اكيفا كما يقال ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ما ذا تراكم الرين
صار طبعا فيطبع على قلبه كالصدء على وجه المرآة واذا تراكم وطال زمانه غاص الرين
الجلاء واسوده وهكذا يطبع على قلبه كالصدء على وجه المرآة واذا تراكم وطال زمانه غاص الرين
في تدارك الشهوات بتركها في الاستقبال لا مدخل تحت تلك الامارة التي اطلعت في القلب
كما لا يخرج صور الصدء في المرآة وطمع الاحاسن والمخازي المسودة لوجهها بالاستقبال
بل الشغل بمحو ما اطبع صدأ من الاساءة وكما يمحو في القلب طلامة المعاصي والشهوات

قوله قد يقال كان
ان في نبي الانبياء والاوصياء عليهم السلام
ليس كذلك بل انما يتركون ما هم
والاشتغال بالمباحات دون ذلك
مسند حسن عن علي بن رئاب قال
سألت ابا عبد الله عليه السلام عن
قول الله تعالى والاصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير
ارايت ما اصابه علي عليه السلام
واهل بيته من بعده انهم
كسبت ايديهم وهم اهل بيت طهارة
معصومون فقال ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم كان يتوب
الى الله ويستغفر في كل يوم
وليلة مائة مرة من غير ذنب
ان الله يخص اولياءه بالمصائب
مصارعهم على ما من غير ذنب

فرقع اليه بزمن الطاعات وترك الشهوات فنفع ظلمة المعصية بنور الطاعة والهداية
بتوكه صلى الله عليه وآله وتبع السنة الحنفية فمها فاذن لا استغفر لعبد حال ان
احواله عن محاذاة اليئات عن قليله بمائة درجة حسنات تضاعف اثاره آثار
ملك السيئات هذا ان قلت جعل اولا اضعافه وجلاوه ثم اظهاره بسبب عارضة
فما التفصيل الاول بعد بطلان الشغل اذ ليس شغل الصلاة الا ازالة الصدأ عن
المرآة لشغله اهل اصل المرآة هذه اشتغال عملية لا ينقطع املا وكل ذلك رجع
الى التوبة فاقول ان هذا لا يستقيم واجابه هو فصل وطلب كان اعلم
ان الواجب لا يعدان احدهما ما دخل في صور الشيء وشرطه فيه كافة الحي هو
القدر الذي لو اشتغل كافة الخلق لم يزد عليه ولو كلف الناس كلهم ان
يقفوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ولم يتفرغ احد للقوت بل اشتغل العباد في
والخير يسوق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج اليه مجموع هذه الدرجات لديه واضح
بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول الى الوقت المقدر
من رب العالمين والمعاد المحمود بين الصدق والتوبة عن جميع ما دار زاده واجبة
الوصول اليه كالمعاد الطهارة واجبة وصلوة التطوع اي ملزوم لها فاذن الوصول
اليها الا بها ما مرض بالنقصان والحرمان عن فضل صلوة التطوع فالطهارة ليست
واجبة عليه لا عليها كالمعاد العين والاذن واليد والرجل شرط وجود الانسان
يعني ان شرط لمن يريد ان يكون انسانا كاملا متمما بالغاية وسهل بالله التوفيق
التطهر الذي ما مر فتنوع اصل الصلاة وفرعها ان يكون كل منهما على وجه وكيفية
طلبت شرط قبول ما اليه عن وجه وعلى اصل الواجب الداخل في صول العلم
لا وصلا الا الى اصل الصلاة واصل الصلاة كاصل الحياة وما وراء اصل الصلاة
من العادات التي بها يتم الغاية عن وجه لا بعضا الذي بها يتم الصلاة وفيه
سر الاعضاء والاولياء والعلاء والاعمال فالاصل وعليه كان وضع وجوه

(٨)

ولاجله كان رفضه لذات الدنيا بالكلية انتهى عيني صلوات الله على الان توسعة
حال بنا مر اليه الشيطان وقال لمالك تركت الدنيا للآخرة مال نفوز بالاولى
حدث حال توسعوا لهذا المجتمع بالدنيا فلم لا تتمتع راسك على الارض وكان ذي النجر
توبته عن ذلك التمتع افترى ان عيسى عليه السلام ان وضع الرأس على الارض
فتاوى العامة اعني ان صلوات الله عليه لما شغله الشر الذي كان على
وصلوته حتى نزعه وشغله شر اهل الذي جدده حتى اعاد الشراك الخليع ما علم ان
ذلك ليس مما جاز شرعه الذي شرعه لكافة العباد فاعمل ذلك فانه تمام عنه
بتركه وهل كان ذلك الا لانه رآه مؤثرا ان قلبه ازاميته عن طبع المعاد والمراد الذي
اوترى ان الصدق بعد ان شرب البول ومرض انه مرغوب او هل اصبغه حلية
حتى كاد ان يخرج سره وما هو الا لقدر وهو ان ما الكلية في جهل هو وآخر لا
يجب ان فتور الغيبة اخراجه عن شرعه بالمدارك على حسب امكانه بعد ان
حال كان ذلك الا لتسرع في صدور مرتبة ذلك الشر ان حتى اعاده حدوث الجوان
خطر طريق الآخرة لا توفه الا القدر تتوفى فتامل احوال بعد الاولياء م اعرف على بالله
وبطريق الله وبكل الله وبكل من الغرور بالله وبالله مرة واحدة ان تفوز الحياة الدنيا
والمال ثم المال الذي ره ان تفوز بالله الغرور بهذه اسرار من استغرق بها دي رد بها
على ان لزوم التوبة النصح لازم للعبد ان لكل نفس من انفاسه ولوع وقوع
وان ذلك واجب على المؤمن غير مهملة ولقد صدق ابو سليمان الداراني رحمه
حيث قال لو ان بكل الخلق ما بين مشرق ومغرب الا على موت ما مضى منهم عن طاعة الله كان
خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بين مشرق ومغرب مثل الجبل جهلا وما
قال هذا لان العامل اذا ملك جوهرة نفسه اذا ضاعت منه بعض فادها ولكنها
لا محالة وان ضاعت منه وضاع ضياعا سبب بلا كان بكاؤه منه اشد

وكل ساعة من العمر على كل نفس جوهرة نفيسة لا تفنى ولا تبدل بملك الدنيا
لان توصلك الى سعادة الابد وتنقذك من شقاوة الابد وای جوهر اشرف من
فاذا ضيعته على الغفلة فقد حسرت حسرا ما بعدها وان صرفتها الى معصية فقد
اهلكت بالاكاه فان كنت لا تبكى على هذه المصيبة فذلك لجهلك وصيتك
بجهلك اعظم من كل مصيبة لكن الجهل بمصيبة لا توجب المصاب بها انه صاحب مصيبة
فان نوم الغفلة يحول عنه وبين سوء عاقبته وان لم ينم فاذا ماتوا انتبهوا عند ذلك
يكشف لكل مغفل فلاسفة وكل مصاب بمصيبته وقد قيل لياس عن اقدار ان فقال
بعض العارفين ان ملك الموت اذا اطلع للعبد اعلمه انه مدقق من عمرك ساعة لك
لا تستاخر فيها ساعة ولا تعجل فيها ساعة فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا لبذلها
بها على ان يضم الى ملكه ساعة اخرى ليستعتب فيها وتدارك ما فرط
فلا يجد اليها سبيلا وهذا اول ما نظهر من معانى قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون
واليه الاشارة بقوله تعالى من قبل ان ياتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى
الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها
فقيل الاجل الموت الذى نظلبه معناه انه يقول عند كشف الغطاء اللهم اجلنى الموت
اخرنى يوما اعتذر فيه الى ربى وانوب واتزود صالحا لنفسى فنفيت الاجابة
فلا يوم يصول اخرنى ساعة يصول فيقال انقضت الساعات فلا ساعة تنظر ولا يقبل
التوبة ضعف ورجوعه وتردد انفاسه فى شراسيفه ويتجرع غصة اليأس عن الحياة
وحسرة الندامة على تضييع العمر مضطرب (اصل) اما انه فى صدمات ملك الموت
فاذا زهقت نفسه فان كانت سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على احسن
وذلك حسن الخاتمة وان سبق له الشقاء والعياذ بالله خرجت روحه على اشد
الاضطراب وذلك سوء الخاتمة وكذلك اذا قال سبحانه وتعالى

(٨) كذا في م
ن تستعتبوا اى ان
تعتبوا ربكم اى تطلبوا منه العتبى ان ارادكم الله
ق

(٩) الله سوف لمصدر منقول الفعل
وهو الظرف المتمحض للاستقبال
ق

ولست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى
تبت الآن ولا التوبة على الذين يموتون وهم كفار فمعناه
عن قرب عهد بالخطيئة ان تتقدم عليها وجوا ثرا لحسنة ترد نهارها قال ان تراكم
الرين على القلب فاقتل للهو ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة
ولذلك قال لقمان لابنه يا بنى لا تؤخر التوبة فان الموت يأتى بغتة ومن ترك
المبادرة الى التوبة بالتسويف كان من خطرين عظيمين احدهما ان تتراكم الظلمة
على قلبه من المعاصى حتى يصير رينا وطبعا فلا تقبل البتة وان قبل ان يجاء بالنبيين
او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بمحو ما فعل لكن ورد فى القرآن الكريم ما يدل
من التسويف فانه يهلك به الا التسويف يكون مستنده الغفلة فقط وجهلا
بالعاقبة اما ان يتعلق الاجل فيقال الله تعلب غير سليم ولا يجوز الامن ان الله
تعلب سليم فالتعلب امانة الله تعالى عند عبده والعوامانة الله عنده وكما ساير
اسباب الطاعة فمن خان فى الامانة ولم تدارك بخيانته فاره مخطر فان اصل الاخطار
ان الله تعالى ائتمن عبده سترين بسرهما الى الاجل سبيل الاجل احدهما اذا خرج من
بطن امه تقول له عبدى قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا استودعتك عرضك
واشتملت عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف لقائى واتانى عند خروج
روحه تقول عبدى ماذا صنعت فى امانتى عندك هل حفظتها حتى لقائى على العهد
فالعاكل على الوفاء اذا اقتضتها فالقاك بالمطالبة والعقاب واليه الاشارة
بقوله تعالى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم وبقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
فبان ان التوبة اذا استوفت شرايطها فهى مقبولة بالجملة
اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك فى ان كل توبة صحيحة فهى مقبولة

ترك الذنب ولا يكفي ترك الشيء الا بعد موقفه واذا كانت التوبة واجبة كان ما يقبل
اليها التوبة واجبا فتوبة الذنوب اذا واجب والذنب عبارة عن كل ما يخالف الا
الله تعالى بترك فعل وتفصيل ذلك مستدعي شرح الكلمات من اولها الى آخرها
وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى جامعها ومرابطاتها فان اقسام الذنوب
بالاضافة الى صفات العبد اعلم ان للانسان اخلاقا واوصافا كثيرة على ما مر في
كتاب عجائب القلب وعمله ولكن نحصر شارات الذنوب في اربع صفات رديئة
وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طبيعة الانسان
عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط المجتمعة منه اثرا من الآثار كالحقد
الحسد والحقد والكبر والعجب الى آخر الكثير من آثارها مختلفة فاما مقتضيات الرذائل
الرديئة مثل البغي والخيانة والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنى وحب الدنيا
وطلب الاستعلاء على الاقران حتى كاد ان يتعذر ان تقول ان ذكر الاعلى واشتغل من
جملة ما يراد الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا من المهلكات العظيمة التي هي
لاكثر العاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات الثانية من الصفات الشيطانية
التي منها تشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والاصرار على الفساد والمكر وفتح باب البغض
والنفاق والدعوة الى البدع والضلال الثالثة الصفة البهيمية ومنها تشعب الشره والكلب الذي
على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه تشعب الزنا واللواط والسرقة واكل مال الايتام وشدة
النطاح لاجل الشهوات الرابعة الصفة السبعية ومنها تشعب الغضب والحقد والتهجم
على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال وينبع عنها جملة من الذنوب
وهذه الصفات لما تدرج في الفطرة فالصفة البهيمية التي تفعل اقل لا يرسلوا الصفة السبعية
ما لم اذا اجتمعا استولا العقل والخداع والمكر والحيلة هي الصفة الشيطانية وهي الاخرة
تفعل الصفات الرديئة من الحقد والحسد والعلو وطلب الكبرياء وحصول الاستعلاء على الخلق

هذه امهات الذنوب وما بعدها تتشعب الذنوب من هذه المنابع على الجملة فبعضها
في القلب خاصة كالكبر والعجب والنفاق واظهار التودد للناس وبعضها على اللسان
والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين
وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل ذلك اما مواضع
اعلم ان الذنوب منتسبة الى ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق العباد
فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلوة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق
العباد كترك الزكوة وقتل النفس وغصب الاموال وشتم الاعراض وكل ما يتناول
من حق الغير فاما ما بين العبد وبين الله تعالى فكل ما يتعلق بالدين والاعتقاد
والدعاء الى البدعة والترغيب في المعاصي وتهيج اسباب الجراءة على الله تعالى كما
بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالاقسام
اغلظ وما بين العبد وبين الله اذا لم يكن شركا فالعفو فيه راجح وواقع وقد جاءت الاخبار
الدواوين ثلثة ديوان لا يعفو الله ديوان لا يترك فالديوان الذي لا يعفو
ذنوب العبد منه وبين الله واما الديوان الذي لا يعفو فالشرك واما الديوان الذي
لا يترك فظلم العباد اذ لا ديوان يطالب بها حتى تنقضي فيها

قسمة ثالثة

اعلم ان الذنوب تنقسم الى صغائر وكبائر وقد كثر اختلاف الناس فيها
فقال قائلون لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وهذا ضعيف اذ قال الله تعالى
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش الا اللمم وقال صلى الله عليه وآله الصلوات الخمس والجمعة الى
مكفرات ما بينهن اذا اجتنب الكبائر وفي لفظ آخر كفارات لما بينهن الا الكبائر وقال
النبي عليه السلام فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين

ما منهن الا الكبائر فان هذا اشارة الى الكبائر والحق ان لك ان الذنوب منقسمة
في نظر الشرع الى ما يعلم استحقاقه اياها والى ما يعلم انها معدودة من الصغائر
وكل ما شك فيه فلا يدرى بكونه من موبقة حد عامه او عدد جامع مانع طلبا للامن
فان ذلك لا يكفى الا بالسماع من رسول الله فان يقول ان اردت بالكبائر شيئا
اوحى وتفصيلها فاذ ورد فالمرد في بعض الالفاظ ست من الكبائر وفي بعضها
سبع من الكبائر وورد ان البغى بالسبة الواحدة من الكبائر وهو خارج عن السبع
فالحق على انه لا مقدر به العدد والحصر مكلف بطلبه في عدد ما يعده الشرع موبقا قصد
الشرع اياه بذلك ليكون العباد منه على وجل كما امر الله تعالى بقطع جد الناس ان طلبها
نعم لنا سبيل الى ان نعرف بالجملة من جنس الكبائر وانواعها المحققة قطعا
اعيانها فتوقف الظن والريب ونعرف ايضا الكبائر مما هو الصغائر فلا يحمل
على موفته وسياتي انا نعمل شواهد الشرع وانوار البصائر جميعا ان مقصد الشرائع
كلها سياقة الخلق الى جوار الله وسعادة لقائه وانه لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة
الله ومعرفة صفاته ورسله وكتبه واليه الاشارة بقوله نعم وما علمت الجن والانس
الا ليعبدون اى ليكونوا عبدا ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية
فلا بد وان نعرف نعم وربه لعلنا هو المقصد الاصلى بجملة الانبياء ولكن ناتج هذا الى الدنيا وهو للعبد مقصود اما
الدنيا مزرعة الآخرة فمصارف الدنيا ايضا مقصودة اما
للدين لانه وسيلة اليه والمتعلق بالدنيا بالآخرة يشتمل النفوس والاموال فكل
ما يتداب معرفة الله فهو اكبر الكبائر وعليه يتداب جناية النفوس وعلى ذلك
ما يتداب المعاش التي هي جناية النفوس فهذه ثلث مراتب فحفظ النفوس على الجملة
والحاجة على الاعيان والاموال على الاشخاص ضروري في مقصد الشرائع كلها وهذه

ثلثة امور لا خصوصا ان يحلف فيها الملل فلا يجوز ان يسعى الله تعالى بغيار بعثته
اصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يامرهم بالمنع عن معرفته ومعرفة رسله واليوم الآخر
النفوس والاهلاك الاموال فحصل من هذا ان الكبائر على ست مراتب الاولى
ما منع من معرفة الله ومعرفة رسله وهو اكبر موبقة اذ الهلاك بسبب الله على العبد
هو الجهل والوسيلة المؤدية اليه هو العلم والمعرفة وقوته بقدر معرفته وبعده بقدر جهله
وتلوا الجهل الذي يسمى كفرا الامر بكراهته والتخطيط من رحمته فان هذا ايضا عين
الجهل فسمى عرف اسما مصدرا ان يكون آمنا ولا ان يكون آيسا وتلو هذه المرتبة
البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وافعاله وبعضها اشد من بعض وهي ايضا
على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه وتعالى
وشرها بدعة داعية وفي نواحيه ومراتب ذلك لا ينحصر ومن ستر على ما علم انها داخلة
تحت ذكر الكبائر المذكورة في الوان وعلى ما يعلم انه لا مدخل وله لان شك فيه وطلب
الشك في العلم المتوسط طمع في قطع المرتبة الثانية النفوس اذ سعيها
وحفظها مدح الحياة وتحصيل المعرفة بالله تحصيل النفس لا محالة من الكبائر دون
كان دون الكفر لان ذلك يصدع عن المقصد وهذا يصدع وسيلة المقصد اذ حياة الآخرة
لا تراد الا للآخرة والتوصل اليها معرفة الله ونعم وتلو هذه الكبائر قطع الاطراف
وكل ما يفضي الى الهلاك صرا الضرب وبعضها اكبر من بعض وتفصيل هذه المرتبة يجري الزنا
واللواط لانه لو اشتغل الناس على الاكتفاء بالذكور وقضاء الشهوات اما بالتسلل
وذمع الوجود دون قطع الوجود واما الزنا فانه لا يفوت اصل النسل ولكن يفوت
الانساب ويبطل التوارث والتناصر وجملة من الامور التي لا تنقطع العيش الا بها

بل كيف تم النظام مع اباحة الزنا والاختلاط امور البهائم ما يتميز الفحل منها بل شيء يخيض بها
عن ساير الفحول ولذلك لا يتصور ان يكون الزنا مباحا في شرع قصد به الاصلاح وقول
ان يكون الزنا حلالا البتة دون القتل لانه ليس يفوت دواعي الوجود ولا يضع لصلاحه
بفوت تميز الانساب ويحرك من الاسباب ما يكاد يفضي الى التقاتل وسيأتي ان
اشد من الاولاد ان الشهوة داعية اليه من الجانبين مكررة وقوعه وعظم اثره فهو مكرر مهم
المرتبة الثالثة الاموال فانها معايش الخلق فلا كون تسليط الناس على اتلافها
شائعا واضحا بالاستيلاء والسرقة وغيرها بل سبيل ان يحفظ الشرع منها السوس الا ان
الاموال اذا اخذت المكن استرادها وان اكلت امكن تغريمها فليس يعظم الامر فيها
اذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك لا سيما ان يكون ذلك من مالك يرود ذلك ربما
اصعا الخفية وهي السرقة فانه اذا اطلع عليه غالبا فيمكن تدارك والثاني اكل مال بالباطل
ايضا من الخفية واعني بذلك الربا والقمار فانه موقوف فيه وليس ارتضى سوى البيع
وهو يسير لا يوقف فيه يعظم الامر فيه واحد تحالف الغصب فانه ظاهر يوقف في كلا الجهتين
الوديعة فان الموجود منها في نصف البيت والثالث قليل منها شهادة الزور والرابع
احد الودعة وغيرها مما يعسر التحرز فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا كون ان يكلف
الشارع ان يحرمها اصلا وبعضها اشد من بعض فكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس
وهذه الاربعة تجد رتبان تكون مرادة بالذي يراد ان يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن
الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها واما اكل الربا فليس فيه الا اكل المال العسر
مع الاخلال بشرط وضعه الشرع ولا يجدان يكلف الشارع مثل هذا اذا جعل العقوبة

الذي هو اكل مال الغير بغير رضاه ويغرض الشرع في الكبائر فاكل الربا اكل مال الغير
ولكن دون رضاه الشرع وان عظم الشرع الربا فانه جر عليه فوائد عظم انضم النظر الى عظم
وعظم الخيانة والمصير الى ان كل واحد مالية اذ الغصب في الكبائر فيه نظر وذلك في
مظنة الشك والكثير مما يظن به انه غير داخل تحت الكبائر بل ينبغي ان يختص الكبير
بالابعاد اختلاف الشرائع فيه لكون ضروريا في الدين فسق جاحده اتوطأ على الله
والشرب والسحر والفواحش من الزنا وعقوق الوالدين اما الشرب فانما يزيل العقل
فهو جدير بان يكون من الكبائر وقد دل عليه شدادات الشرع وطرق النظر ايضا لان
العقل محفوظ كما ان النفس محفوظة بل الاضر في النفس دون العقل فان ازالة العقل من
الكبائر لكن هذا الاجرى في قطرة من الخمر ولا شك انه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر
لم يكن ذلك كبيرة واما هو شرب نجس والعطرة وجدان محل الشك والحاجب الشرع الذي
دل على تعظيم امره فيعد ذلك في الكبائر بالشرع وليس في العقوبة الشرعية الوجوب
جميع اسرار الشرع فان ثبت اجماع ان انه كبيرة وجب الاتباع والا فالموقوف فيه محال واما
الحد فليس فيه الا تناول الاعراض والاعراض دون الاموال في الرتبة وانكل بها
مراتب واعظمها التناول الاضافي فيه الفاحشة الزنا وقد عظم الشرع امره واطن ظنا
ان الصحابة كانوا يعتقدون كل جلدة في كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا يكفره الصلوات الخمس
وهو الذي يريده بالكبيرة الآن ولكن مع حيث انه يحلف فصار اشد من القتل
مجرده لا يدل على كبره وعظمه بل لان يحتمل ان يريد الشرع بان العدل الواحد اذا رأى
ان ما يزين فله ان يشهد وبجلد المشهود عليه بحد شهادته فان لم يقتل شهادته فقد وجد
ليس ضروريا في مصالح الدنيا وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الكمال
فاذن هذا الفصل يحتاج الى كلام وحتى نعرف حكم الشرع فاما من ظن ان لسان شهادة

او وطن انه يعاد على الشهادة غيره فلا يجوز ان يصلي واحد منهما على الكبير واما الصغير
فان كان فيه كبر فكبيره والا فغيره بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس او عضو او
اوغيره واما الوارث من الزوج وعتيق الوالدين فهذا ايضا ممنوع ان يكون من جملة
القاسل في محل التوقف اذا قطع بان بيت الناس بكل شيء سوى الزنا
وضربهم والظلم بعضهم اموالهم واخراجهم من مساكنهم وبلادهم واجلائهم في اوطانهم
ليس من الكبائر اذا علم ذلك في البيع عشرة كثيرة وهو اكثر ما قيل فيه فالوقف
هذا ايضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على ستة كثيرة فليتبع بالكبائر فادخ
حاصل الامر الى انا نعني بالكبيرة ما يكبر ان يكون الصغير وذلك ما
ينقسم الى ما علم انه كبيرة قطعا والى ما يجوز ان يكون كبيرة والى ما يوقف فيه والموقوف فيه
بعضه مظنون كالمس والاثام وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا نص كتاب
او سنة واذا لا مطمع فيها فطلب رفع الشك فيه محال فان قلت فهذا اشارة الى
على استحالة معرفة ما كلف به الشرع باستيعاب معرفة حده فاعلم ان كل ما تعلق
حكم الدنيا فيجوز ان يطرق اليه الاتهام لان دار التكليف هي دار الدنيا والاحكام
المخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كثيرة بل موجبات الحدود معلومة تقريبا
كالسرقة والزنا وغيرها وانما حكم الكبيرة ان الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا الوصف في الاثم
والاتهام التي به يمتنع كون الناس على ولاية وعداوة فلا يتجرؤون على الصغائر اعتمادا على
الصلوات الخمس ولذلك يصح ان يقال الكبائر تكفرها الصغائر بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ولكن اجتناب الكبيرة انما تكفر الصغيرة اذا اجتنبها
مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة وفي مواقعتها تمكن من الزنا ويعلم ان لو

فان

فان مجاهدة نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظرة
الطلاء فهذا معنى كونه كبيرة فان كان عينيا ولم يمكن استئناؤه الا بالقتل فهو او كان تعاديا
وكان امتنع الجواز او لغير هذا لا يصلح لتكفيره اصلا وكل شيء لا يشتهي بطبعه ولو ابيح له
كالشيرة فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من جنسه كسماع الملاهي والاوتار
مع ان شهوة الخمر وسماع الاوتار يعسر جدا بالمجاهدة بخلاف الخمر التي ارتفعت اليه
من معصية السماع وكل هذا الطعام الحرام يجوز ان يكون من بعضها ومحل الكبائر والكبائر
من المشتبهات ولا يوقف تفصيلها الا بالنص وما ورد النص بعده ولا حد عام
ورد باسقاط تعلقه بعد ورد الحديث انه عليه السلام قال الصلاة الى الصلاة كفارة
ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلث الاشراك بالله وترك السنة وثلث الصفة
قيل وما ترك السنة قال الخروج من الجماعة وثلث الصفة ان سابع رجلا فخ عليه
بيمينه فهذا واضح ان من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا تدل على حد جامع مستوعب لجماعتها
فان علمت الشهادة لا تقبل الا في مكتب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطا
في قبول الشهادة وهذا من اطلاع الذي اعلم انا لا ننقض رد الشهادة بالكبائر
خلافا في ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتخذ خاتم الذهب ويشرب من
اواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته وهل مذهب احد منا ان هذه الامور الكبائر
وقال الشافعي اذا اشترى الخل النجس حدوده ولا ترد شهادته حتى جعله كثيرا بالماء الكثير
فلم ترد به الشهادة دل على ان الشهادة عنده انما لا ترد على الصغائر والكبائر بل على
الذنوب تقع في العدالة اما لا تخلو الانسان عنها لضرورة مجاري العادات كالغيبة
بالتحسين وسوء الظن والكذب في بعض الاقوال وسماع النفس وترك الاولى والوقوف
مع الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زادا على الصلحة

الخمر

ويطلق في السماع فجاءة
هذه النفس بالكف ربما
يحوم قلبه الطاهر

والراء السلاطين النظر ومصاحبة التجار والمكاسل عن تعليم الاهل والولد
جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه ذنوب لا يغفر ان سلك ان ادمن
عليها واكثر منها الانسان يعتزل الناس ويتجرد للامر الآخرة ويجاهد نفسه بدنيته
بين هذا السبع مع المحافظة بعد ذلك ولو اتى بكل الاقوال الشاذة يعز وجوده ويطلب
الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد
ومجالسة الشرب وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات واشال هذه الاشياء
من هذا القبيل فاما مثل هذا المجاهد بنفسه ان يظن بقبول الشهادة وردها لاجل
الكبيرة والصغيرة ثم اذا وجد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها ازالت
رد الشهادة وكذلك اخذ الصغيرة من مثل هذا الناس عادة وكذلك مجالسة الذين يتعاطون
والصغيرة تكبر بالمواظبة كالعب بالشطرنج والنرد مثلا على الدوام وغيره فهذا انسان حكم
الصغائر والكبائر بان لهم توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الانسان
والسيئات في الدنيا اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من
عالم الغيب والملكوت واعني بالدنيا ما لك قبل الموت وبالآخرة ما لك بعد الموت فذلك
وآخرتك صفاتك واحوالك بسبب القرب الذي بينهما وان ما آخرته وعن الآن
تكون في الدنيا في الآخرة فانا الآن في الدنيا وهو عالم الملك وعند شرح الآخرة هي
عالم الملكوت ولا حصول شيء عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك
قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا لان عالم الملك
نور بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال عليه السلام ان لله سبعين حجابا من
نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وما يمكن في النطفة
لذلك مسكون في النطفة الآخرة لا يشبه شيء من نوع الدنيا الا في كونه من الامثال

وانما يكون الامثال ما توقف من علم التعبير ولذلك منه ان كنت فطانا ثلثة
معدودا رجل قال اني رأيت في المنام كان في يدي قارورة فيها خمر فقال له
الرجال وزوجها النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الفجر فصادفت
وجاءه آخر فقال رأيت كان اصبت الزيت في الزيتون فقال ان كان
تحت جارية اشتريتها فتمتع بها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت
مصورة للاصل فنظر فاذا جارية كانت اتته وقد بيعت في سوق فقال الخمر
رأيت كاني اقطر الدم في اعناق الخنازير فقال انك تقع الحكم غير اهلها وكان كما
قال فالتعبير منه قوله في الآخرة مثال يعرف من طريق ضرب الامثال وانما يعرف
ادراك العبد بصورة ان نظر الى معناه وجده صادقا وان نظر الى صورته كاذبا
فالمؤذن ان نظر الى صورة الفأرة والخمر بالعسل الزوجة رآه كاذبا فانه ليس
وان نظر الى معناه وجده صادقا فانه قد صدر منه زوج الخمر ومعناه وهو المنافق
يزاد الخمر له وليس للانبياء ان يكلموا الا بالفاظ اقرب الامثال لانهم كلفوا ان
يكلموا مع الخلق الا بقدر الامثال التي يدركها الناس على قدر عقولهم وقد
عقولهم انهم في النوم والنائم لا يكشف له شيء الا بمثال ولذا قالوا انتهوا وعرفوا ان
الرؤيا جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله قلب المؤمن بين اصبعين
من اصابع الرحمن وهو في المثال الذي لا يعقله الا العالمون فانا الجاهل فانما وجده
ظاهر المثال لجهلي التعبير الذي يستر تارة ولا كما يسير مرارا من الاشياء التي
تعبرا فيثبت بعد بدوا واصبعا فانها الله في قوله ولذلك قوله عليه السلام ان الله على
آدم على صورته فانه لا فهم منه الصورة الآدمية والله كلام الهيئة ثبت الله بمثل
ذلك تعالى الله عن قوله علوا كبيرا ومن هنا يعلم ان صفات الله ليست

وجملة صنوفا وجزءا الى غير ذلك من الصفات والتوقف بطول وكذلك تقدر في امر
الآخرة ضرب امثلة كذب بها الله المجهود نظر على ظاهر المثال وما قصده عند قوله
عليه السلام عليه آلة يوتى بالموت يوم القيامة صورة كبش املح فيذبح وهو المثل الاعلى
وكذبه يستدل على كذب الاعداء وقول سبحان الله الموت عرض والكبش
ملك سلب الموض جسما محال وهذا الا محال ولكن الله عز وجل هو الذي خلق الموت
الله تعالى محال وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين ان من محال ما ثبت في
ما ثبت حتى كبش وقتل فيها هو الذي في البلد وذبح محال الجهل صفة الاعداء
وهذا على الذي هذا الوباء سقطع ولا يعود قط لان الذبح وقع بالناس فرفعا التعبير
صادق في قصديه هو صادق في رؤيته وترجع حقيقته الى ان الملك الموكل بالروح
وهو الذي يطلع الارواح عند النوم على اللوح المحفوظ عرفه مثال اللوح المحفوظ
ضربه لان النار اذا حملت الى الماء فكان مثالها صادقا وكان معناها فاسدا فالماء
لكون الناس في الدنيا مع الاضافة الى الآخرة نوم فيوصلون الى الدنيا من
حكمة الله ولطائف عبادة وتعبيره الادراك المعدودين عن ادراك دون ضرب الامثال فصوله
قال الموت في صورة كبش بالمثال ضربه ليصل الى الانبياء وصول الناس على الكيس
وقد جبلت القلوب على الانس بالامثال وشوت المعاني فيها متواطئة وذلك غير الواجب
بقوله كبش ملكون عن نهاية القدرة وغيره صلى الله عليه وآله وسلم قوله على الدرع الصغير من
اصابع الرحمن عن سرعة التقلب في قدرته اشارة بذلك الى سعة قواعد التعابير
ربع العبادات على نوع الآن على النوع من فالمقصد ان توقف توزع الدرجات والدركات
على الحسنات والسيئات لا يمكن الا بضرب الامثال فانهم من المثل الذي تقصر
معناه لا صورته فتقول الناس في الآخرة يتفاضلون اصنافا وتفاوت

درجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوت في سعادة
الدنيا وشقاوتها ولا يفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى اصلا والبتة
فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له فسنة الصادرة عن ارادته الازلية
مطردة لا تبديل لها الا ان عجزنا عن احصاء آحاد الدرجات فلا نعبر عن آحادها كما
يقول الناس في الآخرة سيمون بالقوة الى اربعة اقسام هالكون ومعذبون
وناجون وفائزون وسائر من الدنيا ان يتناول ملك من الملك على اطلاقه
بعضهم فيهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يعلمهم فيهم المعذبون ويخلي بعضهم فيهم الناجون
ويخلع على بعضهم فيهم الفائزون فان كان الملك هالكا فيهم كذلك الانبياء والصديقون
فلا يقبل الا ناجيا لاستحقاق الملك معاذ الله اصل الدولة ولا يعذب الا من
قصر في حد متسع الاعراف بحكم وعلو رتبة ولا يخلي الا من هو فالمرتبة الملك
الى نصير لتعذب ولم يحذر فيخلع عليه ولا يخلع الا على من هو اهل لخلعة الفقر
ثم سنوان يكون طبع النار من سعادت الدرجات بحسب درجات هذه
والهلاك الهالكين اما بحيث يجوز الرقية او بكيلا الملة بحسب درجات معاذهم
وتعذب المعذبين في الحفرة والشدة بطول المدة وقصرها واما دوامها ابدا فلا
بحسب درجات تقصير فيتقسم كل سيتعذبه الرب الى درجات لا يحصرها الا
فاهم ان الناس في الآخرة بالحقيقة ثلاثة ناجون وفائزون ومعذبون ثم
يخلع على دار السلام ومن فائزون والفائزون سيمون الى من يخلون في جنات
عدن او جنات المأوى او جنات الفردوس والمعذبون سيمون الى
من يعذب قليلا والى من يعذب الف سنة الى سبعة آلاف سنة وذلك ليخرج
منه بحر من النار كما ورد في الخبر وكذلك الهالكون الآيسون يخرجه الله سبحانه
درجاتهم وهذه الدرجات بحسب اصناف الطاعات والعاصي فلذلك كثرة نوعا عليها

امّا الرتبة الاولى وهى الملك وعنى بالملك من الآيسين من رحمة الله اذ
الذى فقد الملك والمال الذى ضرباه آيس من رضا الملك والله فلا
تغفل عن هذا المثال وهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين والمعرضين المحجوبين
للذين الكذبين بالله ورسله وكتبه فان السعادة الاخروية فى التوسل الى الله
والنظر الى وجهه الكريم وذلك لا ينال اصلا الا بالمعرفة التى عبرنا عنها بالايمان
والتصديق والجاحدون هم المنكرون والمكذبون هم الآيسون عن رحمة الله اذ
وهم الذين يكذبون برب العالمين وبالجنة والمرسلين وهم عن ربهم يومئذ محجوبون
لا محالة وكل محجوب عن محبوب فهو لا محالة معذب وما يشتهيه ولا محالة يكون محترقا
مع نار جهنم نار الفراق ولذلك قال العارفون ليس حوض فى نار جهنم ولا حاجة
بالحبيب انا مطلبنا اللقاء وههنا مع الجاحد فقط فاما الحور والقصور فقد لا يشتهيها
واما النار فقد لا يتقيها اذ ربما غلبت النار المحرقة للاجساد نار الفراق فان نار الفراق
نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة لا شغل لها الا مع الاجساد والله الموفق
للصواب

يرتبط احدهما بالآخر برابطة تأليف التركيب الاجسام فالذى تفرق من القلب
ومن محبوبه المرتبط به برابطة تأليف اشد احكاما من تأليف الاجسام وهو اشد
ايلاما ان كنت من ارباب البصائر وارباب القلوب ولا سعداد لا يدرك
من الالم الا شدة هذا الالم المستحوذ بالاضافة الى الم الجسم الذى لو خير بين
الم الجوع عن الكرة والصوجان وبين الم الجوع عن رتبة السلطان لم يكن الم
الجوع عن رتبة السلطان اصلا ولم يعد ذلك الما وقاس العدو فى الميدان مع
الصوجان احب الى من سرير السلطان مع الجلوس عليه بل من مقابلته
شهوة البطن لو خير بين الدرهم والحلوا وبين فعل جميل يتهيأ الاهداء وفتح به
الاصدقاء لاثر الدرهم والحلوا بذلك الالم لعدم الغرض الذى يوجوده يصير الى المجموع
ووجود الغرض الذى بوجوده يصير الطعام لذيذا وذلك لم تستوفه صفات الجاه
والسماع وان نظر فى الصفات الملكية التى لا نهاية لها ولا يتذوق الا القرب من رب
العالمين ولا يولها الا البعد والحجاب ولا يكون الذوق الا للعين والسمع الا
فى الآذان فلا كون هذه الصفة الا لقلب لا قلب ليس بهذا الحس
كمن لا سمع له ولا بصر ليس له لذة الالحان وحسن الصور والالوان وليس
لكل انسان قلب ولو كان لناصح قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب
فجعل من لم يتذكر كأنه لا قلب له وانت اعنى بالقلب هذا اللحم الذى
يكتنفه عظام الصدر بل اعنى السر الذى هو من عالم الامر وهذا الجسم الذى هو من عالم
الخلق عرشه والصدر كرسيه وسائر الاعضاء جنوده وملكته وعبيد الخلق والاجسام
ولكن ذلك السر هو الذى قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربى وهو الملك والامر الآن
من عالم الامر ومن عالم الخلق ترجمانا وعالم الامر اعلى عالم الخلق ومن السلطنة ان

صلحت على الماء ابر الجد فرعها فقد غرسها ونبتت وفرعت فيه وعهد ذلك الا يشبه العبد بادى رواح المعنى المطوى تحت قوله اصل الاصل والاصل
ان الله خلق آدم على صورته وبظاهر بعين الرحمة على الجاهدين على ظاهر لفظ وان عن
فى طرق تاويله وان كانت رحمته للجاهد على اللفظ اكثر فهى رحمة للتفت التاويل
لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة اولئك اكثر وان اشركوا فى مصيبة الحرمان
عن صفة الاخرة فالمصيبة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولكنه
يخص بها من يريده ومن يفوت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ولنعد الى الغرض فقد
ارخينا الطول وطولنا النفس فى امر هو اعلى من علوم المعاملة الى تقصدنا فى
هذا الكتاب فقد ظهر ان رتبة الملك ليست الا للجهال المكذبين وشهادة الله
فى كتاب الله وسنة رسوله لا محل لحث الحصر فلذلك لم نورده والرتبة الثانية
رتبة العذبين وهذه رتبة من اخل باصل الايمان ولكن قصر الوفاء بمقتضاه
فان راس الايمان هو التوحيد وهو ان لا يعبد الا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ
الهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك لا اله الا الله قولك لا الله
ثم ذريعة وهو ان يورد بالكلية غير الله ومعنى قول الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
فلما كان الصراط المستقيم الذى لا يكمل التوحيد الا به استعاذ عليه ادق
من الشعر واحد من السيف مثل الصراط الموصوف فى الاخرة فلا يمكن
المشى عليه الا لمستعاذ ولو فى اوسع ولا يخلو عن اتباع الهوى ولو بمثل
قليل وذلك قادح فى كمال التوحيد فقد سبيل عن الصراط المستقيم فذلك
معنى لا محالة مقتضاه من درجة القرب ومع كل نقصان نار ان نارا من النار
لذلك الكمال الذات بالنقصان ونار جهنم كما وصفها القرآن ميكون

كل مايل عن القراط المستقيم معذبا قربن من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وضعفه
وتفاوته بحسب طول المدة اما يكون سببا اربعة من احدها قوة الايمان وضعفه و
الثانى كثرة اتباع الهوى وقلته واذ لا يخلو شر فى غالب الامر عن احد هذين قال
الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين
فيها جثيا ولذلك قال الخائفون من السلف انا خوفنا لانا تيقنا انا مارون وقد
وشكلنا فى النجاة ولما روى الحسن الخبر الوارد فى خروج من يخرج من النار بعد العذاب الشديد
يا ابا سعيد يا حسن قال الحسن بالبيت لسمعت ذلك الرجل واعلم ان الاخبار
ما يدل على ان الموحد يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة وان الاختلاف فى المدة
بين الخطء وبين سبعة الف سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار كمن خالف ولا يكون له
نهاية وبين الخطء وسبعة آلاف سنة درجات متفاوتة بمقدار اليوم والاسبوع والشهر
وسائر المدد وان الاختلاف بالشدة لا نهاية لاعلاه وادناه العذاب بالنار
فى الحساب كان الملك قد يعذب بعض المقربين فى الاعمال بما قشة التى
ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع اخر من العذاب وتطرق الى العذاب
اختلاف ثالث غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بحبس
المال يفطن يعذب باخذ المال وقتل الولد واستباحة الحرم وعذب الاقارب
والضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغيره الاختلافات
ثابتة فى عذاب الاخرة دل عليها قواطع الشرع وهى بسبب اختلاف قوة الايمان
وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها اما شدة العذاب
فمع السيئات وكبرها واما كثرتها وما الاختلاف انواعه فاختلاف انواع السيئات
وقد انكشف هذا الارباب القلوب مع شواهد القرآن ببشور الايمان

وهو الذي يقول له ثم وما ربك بظلام للعبيد ويقول اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
ويقول وان ليس للانسان الا ما سعى ويقول في مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك
مما ورد في الكتاب والسنة من كون الثواب والعقاب جزاء على الاعمال وكل ذلك
يبطل لانه فيه وجانب العفو والجوارح اذا قال تم فما اجزعنا صبرك الله
عليه وآجرك سبقت رحمتي غضبي وقال تم وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من
لدنه اجرا عظيما فاذا اخذ الامور الكلية في ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات
معلومة بنور الشرع ونور المعرفة فاما التفصيل فلا يعرف الا ظنا وستند معرفة الاعتبار
ونوع حدس يستمد من انوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل من حكم
اصل الايمان واجتنب جميع الكبائر واحسن جميع الفرائض اعني الاركان الخمسة
ولم يكن منه الا صغائر متفرقة اصرت عليها فيشبه ان يكون عذابه ان قسط الى الحساب
فانه اذا هو سيق رجحت حسناته على سيئاته او ورد في الاخبار ان الصلوات الخمس
والجمعة وصوم رمضان كفارة لما بينهن وكذلك اجتناب الكبائر يحكم نص القرآن يكون
للصغائر وافل درجات المكفرات ان دفع العذاب ان اندفع الى الحساب فكل
هذا احتمال معدل سواء سنه ينبغي ان يكون بعد ظهور الرحمان في البرزخ وبعد
الفراغ من الحساب في عيشة راضية مع التي في اصحاب اليمين او المقربين ونزوله
في جنات عدن اول الفردوس الاعلى فلم يقع اضاف الايمان لان
الايمان الخالص كالايمان المقدس كالايمان الموازن يصدقون بالمبدأ والمعاد ويستمرون على ايمانهم
كشرح الله صدر سيدنا ابي بكر فهو كالنور على ما ورد عليه فيقع ان
الكل في الله رجوعه ومصيره اذ ليس في الوجود الا الله وصفاته وافعاله فهذا الصنف
المرتضون الناظرون في الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب من الملأ الاعلى

وهم ايضا على اصناف فمنهم الذين هم دونهم في درجاتهم وصفاتهم
بالبعد بعدد درجات العارفين في المعرفة فلا تحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكن
وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمقه وانما يغوص فيه الغواصون فتقدر قوامهم ويعجز
عما سبق لهم من العلم الازلي فالطريق الى الله لا نهاية له فلا يكون سير الله
لا نهاية له درجاتهم وامامهم ايضا معلوم فهو من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة
المقربين وهم ايضا متفاوتون على درجات فالاعلى منهم درجات اصحاب اليمين قارب الادنى
منهم درجات المقربين بحسب كل الكبائر وتوابعها التي هي نواقض كلمة الاسلام
الاركان الخمسة التي النطق بكلمة الشهادة بالجنان والصلاة والزكوة والصوم
والحج وامامن اركب كبيرة او كبائر واهمل بعض اركان الاسلام فان تاب توبة
نصوحا قبل قرب الاجل العقلي بان ركب لان التائب من الذنب كلا ذنب له
والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ اصلا وان مات قبل التوبة فهذا امره مخطر
عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار بسبب لتزلزل الخاتمة نعم ان سبقت الحسنى له
اذا كان ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان جزما فهو قابل للانحلال باذل شك فيما
والعارف البصير العدل ان خاف عليه سوء الخاتمة وكلما ان تامل الايمان بعيد
الا ان يعفو الله عنه فانه مرد على عذاب المناقش الحساب ويكون كثرة العذاب من
حيث المدة بحسب كثرة عدة الاصرار ومرجعه الشدة بحسب الكم وهو في اصل
النوع بحسب اضعاف اضعاف السيئات وعند انقضاء مدة العصاة تبقى الدار
في درجات اصحاب اليمين والفائزون المستبصرون في اعلى عليين مع المقربين
يخرج من النار بعيط مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف ولا نطيق ان الارادة بقدر ما
الاطراف الاحاد فان قابل في سبع نوسبعين او عشرة فان هذا اجمل بطريق الحرث
بل هذا كنوع القابل اخذ جملا واعطاه بعشرة امثاله وكان الجمل ثمن عشرة دنانير

رتبته رتبة

فاعطاه مائة دينار فان الهم منه اثقل الا الثقل في الوزن والثقل لا يكون الا
دينارا لو وضعت كفة الميزان والجبل الكفة الاخرى عشرة بل بهموازنة
الاجسام وارواحها دون اشباحها وبيانها فان الجبل لا تقصد اثقاله وطوله
وعرضه ومساحته بل لما فيه من فوائد المالية وجهة النفع والدفع ومائة دينار تساوي
بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق فندس يوف روح الملك
من الذهب والابل بل لو اعطاه جوهرة فوزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال
اعطيتك عشرة امثالها كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهري فان روح الجوهر
لا تدركه بصيرة البصر بل بقطنة اخرى وراء البصر فلذلك يختص به البصير بل التروي
والدربة ويقول ما هذه الجوهرة الا بحر وزنه مثقال ووزن الجبل الف الف مثقال
فقد كذب في قوله ان اعطيت عشرة امثاله وان كان لا يحقق هو الصدق ولكن لا
سبيل الى تحقيق ذلك عند الاباني بمنظر البدن والكمال وان يصل الى البصر
الذي به يدرك ارواح الجواهر وسائر الاموال فعند ذلك تنكشف لكل احد
العارف ظاهر غني فهم المعلم القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله
اذ تقول الصبيان السموات كاوراق الاشجار والسموات مع الدنيا كطبق يكون في
اثقال الدنيا الا وهذا الكاتب الذي عجز فهم الصبي لك الموازنة وكذلك عجز عن فهم الصبي
وكان الجوهري وهو اذ بل البدوي والقروي ما عجز عن الموازنة فالعارف هو
اذ بل البلداء الاطفال فهم هذه الموازنة ولذلك قال عليه السلام ارحموا العلماء بالاباني
الجهال ومعنى رحمهم اسعافهم وعذرهم ذلك والاباني هو موسوم بان الامة هذا الاسم وتعاطيا
لتصور معقول الامة فتشبه لهم واني؟ والبلاء من الله وهو الموكل بهم يسقي من كأس الغضب
الازلي وهو المعني بقوله عليه السلام البلاء موكل بالاتقياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
فلا تظن ان البلاء بلاء ايوب عليه السلام وهو الذي ترك المدن فان بلاء نوح عليه السلام

ايضا من البلاء العظيم اذ بلي بجماعة كالانام وهم دعاة الاوزار ولذلك قال صلى الله عليه وآله بكلام بعض الناس قال يرحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر
من هذا فصبر فاذن لا يخلو الانبياء عن الابتلاء بالحاسدين فلا يخلو الاولياء والعلماء
عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قل ما سلك الاولياء غير طريق الابتلاء و
انواع البلايا بالاخراج من البلاد والسعاية بهم الى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر
والخروج على الدين وواجب ان يكون اهل الهوى عند اهل الجهل من الكافرين
كما يجب ان يكون المعاصي عند الملك الكبير صغيرة عند الحلي بلباس المتدين
المتشبهين فانا عرفت هذه الدقائق فاعلم ان قول علي عليه السلام انه يعطى آخر من يعطى
من النار مثل الدنيا عشر مرات وما بال ان يعتبر مقدار ذلك على ما يدركه البصر الحواس
فقط فتكون جمارا برجلين لان الجمار ركل الحواس الخمس وانما
يفارق الجمار بسترة الهرم عرض على السموات والارض والجبال فابين ان
يحملنه واشفقن منه فاورد ما يدرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف الا
في عالم ذلك الستر الذي يفارقه الجمار وهيهات الهيهات فسد باب عن ذلك و
عطله واعلم وفتح بدرجة الهباء والجماد والمحسوسات فهو الذي ابطل عنه
بتعطيلها وشغلها بالاعراض عنها ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
وكل من لم يعرف الا الادراك بالحواس فقد فسر الله عز وجل اذ ليس ذات الله مدركا
في حال العالم بالحواس الخمس وكل من فسر الله تعالى بما لا يفهم فقد نزله
مرتبة الهباء وترك الرتبة التي تليق بالله الاعلى وكان في الاماتة التي اوذيها الله
وانع بها عليه كافر النعمة ومتعرضا لنقمة الاماتة اسوء حالا من البهيمة فان البهيمة
تتخلص بالموت واما هذه الامانة يستريح الجماد بالموت عنها فالمريض هو الامانة مصيبتها
وتلك الامانة كالشمس الزاهرة فانما بسطت الى هذا الباب الخال وغربته

واحد ان لا تعود عن ذكر
الكلمة الدوسة التي تنا

واالله سبحانه

وستطلع هذه الشمس عند خراب الكائنات من مغربها وتعود الى مدارها فتكون
مظلة مشكفة واما ناظرة مشرقة والارض الشرقية هي محجة الحضرة الربوبية المظلة
ايضا رابعة الى الحضرة اذ الرجع والمصير للكل الى الله الا انها ناكسة رؤسها عن جهة الله
الى جهة اسفل السافلين ولذلك قال تعالى ولو ترى اذ الظالمون ناكسوا رؤسهم
وبقين انهم فيها الا انهم منكوسون محبوسون هذا طبيعة وجوهم الى الحضيض والبلى
غير جهة من الى جهة اسفل وذلك حكم الله فيهم في حضرته وارادته ولو شاء
بالهدى الضلال والوصل الجمال لهداكم اجمعين ولكن حق القول مني لاملأن
والت اعني ملك التوحيد ان يقول شاهنامه لا اله الا الله خان الخان مرغ الملك وانشقة
فلاسمع الآل على الملك صدع السيف عن رقبته واوى الغاضين عن علو وهو الشقاوة
والمال بؤرة الحياة محبث لاسرقه ولا مال لاسبع الموت الانسان وانما الضعف
في التوحيد وكمال التوحيد ان لا يرى الامور كلها الا من الله وعلامة ان لا
يعتمد على احد من الخلق بما يجري عليه اذ لا يرى الوسايط وانما يرى مسبب الاسباب
كما يأتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت في الناس من لدن التوحيد
مثل الجمال ومنهم من له مثقال ومنهم من لم مقدار خردلة وذرة فمن له مثقال ذرة من الايمان
فهو اول مخرج من النار ومن الخردل اخرجوا من النار ومن له مثقال دينار من الايمان
وآخر من يخرج من النار من له مثقال ذرة من ايمان ومابين المثقال والذرة عالم كبير
درجاتهم نحو من بين طبقة المثقال ومن طبقة الذرة هي الموازنة بالمثقال والذرة على سبيل
ضرب المثل كما ذكرناه في الموازنة بين ايمان الاموال وبين النفوس والكل ما يدخل
الموقدون النار مظالم العباد وهو الديوان الذي لا يترك وانما تقبل
فيه بارع العفو والكفر الهامر الاثر ان العبد ليوقف بين يدي الله عز وجل
وله قدر الحسنات امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة

فيقع اصحاب المظالم فكون قد سبت عرض هذا واخذ كل هذا وضرب هذا
بمقص من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فيقول الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته
ونقي طالبون كثر فيقال القوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا لهم كتابا الى النار
وكما يهلك هو بيئة غيره بطريق القصاص فكذلك يجوز المطلوب بحسنة الطالب
اذ مثل السيئة ما ظلمه وقد حكى عن ان البلاء ان بعض اخوانه اغتابه فاراد
الاستحلال فقال لا افعل ليس في صحيفتي حسنة افضل منها فكلف المحال وقال
فقره ذنوب اخواني من حسناتي اريد ان ازين بها صحيفتي فهذا ما اردنا ان
نذكره من اختلاف العباد في المعاد ودرجات السعادة والشقاوة وكل ذلك
حكم بظاهر الاسباب يقضي حكم الطبيب على مريض بانه يموت لا محالة اذا تعاطى
وعلى مريض آخر بانه يموت لا محالة اذا لم يتعاطى الدواء وعلى مريض آخر ان عاش
وعالجه يبرأ فان ذلك ظن يصيب في اكثر الاحوال ولكن قد يشوب الى الشرف
على الهلاك فيبرء حيث لا يشعر الطبيب وقد ساق الى ذي العارض المضعف اجله
فيحيث لا يطلع عليه وذلك لاسرار الله بها المحيطة باروح الاحياء وغوامض الاسباب التي
ربها سبب الاسباب بقدر معلوم اذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها كلها
النجاة والفوز في الآخرة لها اسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها بالعقل
ذلك السبب الخاص المقتضي للنجاة بالعفو والرضا وما يقتضي الهلاك بالعقاب الاليم
ووراء ذلك سر المشية الازلية التي لا يطلع الملك عليها فلذلك يحسن ان يجوز
العفو عن العاصي وان كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وان كثر طاعاته
الظاهرة فان الاعمال دلائل على البغوي والسعادة في العلم هو الغيب فمن يطلع
عليه صاحب الكشف غيره ولكن قد انكشف لارباب العلوم انه لا يغفر عبد الا بسبب

حتى وقع بعض العفو والغضب الأسلب باطل يقتضي البعد من الله ولولا ذلك لم
يكن العفو والغضب جزاء على الأعمال ولا وصاف ولولم يكن جزاء لم يكن عدلا
ولولم يكن عدلا لم يقع ولو تم وما ركب بطلان العبيد ولا قوله ان الله لا يظلم مثقال
ذرة وكل ذلك صحيح فليس للانسان الا ما سعى وسعيه يراه الذي يراه وكل
نفس بما كسبت رهينة ولما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وما غيره والله سبحانه اعلم
ما بهم بعضها ليتوهم ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهذا كله مما كشف
لارباب العقول الكمل فما ادهى مرايا شاهدة بالبصر اذا البصر على الغلط فيه اذا قد
يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا وشاهدة العقل الغلط فيها واما ان كان الناقص
بصيرة القلب والافاق بعد الانعام فلا يصور وهم الكذب والميل الاشارة
بقولهم ما كذب الفؤاد ما راى الرتبة الثالثة رتبة الناجين وهي التي
السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم اخذوا الفلح عليهم ولم تقدر ان يفلحوا
ويشبه ان يكون هذا حال الجاهلين والصبيان من الكفار والمقتولين والذين
لم تبلغهم الدعوة في اطراف البلاد وعاشوا على البلد وعدم المعرفة فلم يكن لم يعرفوا
محمودا ولا طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم فهم من اهل الجنة
ولا من اهل النار ولهم نزلة بين المرتبتين ومقام بين المقامين جزاء على ما
بالعواقب وعلوم الله محيطة بما كان منها من الآيات والاخبار وفي الآثار
الاخبار ما يدل على هذا كما ان الصبيان المسلمين كلهم هذا مظنون وليس يعلم
الا الله على القطع في عالم السر وسيعلم ان يرتقي الى الرتبة الاولى والعلم والآثار
في حق الصبيان ايضا متعارضة من حيث تعارض الآيات بعض الصبيان بحضور عصاة
فانكر رسول الله ذلك وقال ما يدريك ان الامر كذلك والاشبه اغلب في هذا القبيل

الرتبة الرابعة الفائزون وهم العارفون دون المقربين وهم المقربون الذين
فاق المقربون كان الفوز على الجملة عاما في الجنة فهو فوز اصحاب اليمين وهو لاء هم المقربون
وما قبلهم هو لاء يجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره فما قتله القرآن فليس معروفا كان
والذي لا يمكن التعبير عنه من هذا العالم فهو الذي اجلة قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين وقوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
لاحظ على قلب بشر فالعارفون مطلعون على تلك الحالة التي لا يتصور ان يخطر على قلب
من هذا العالم فاما الحور والقصور والفواكه واللبن والعسل والخمر والحلل والاساور
فانهم لا يخصون عليها ولو اعطوها بيقينها ولا مطلعون الا لذة النظر الى وجه الله الكريم
فهو غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف عبادك
في الجنة فقالت الجار ثم الدار فهو لاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار فرؤيتها
بل عن كل شيء سواه حتى عن انفسهم ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه
المستولي على بصره بالنظر الى وجهه او الفكر فيه فان حال الاستوان غافل عن كل شيء
بالصبية التي هو مستغرق بالنظر اليها فهذه الحالة ان فهمت عن يقين وعلم
صورتها واعدادها وهو محبوب وهو حق عند من يتمنى المحبوب يتمنى بلغت البلاغة في الغاية
يقين وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة الى رؤية عين لا يتصور ان يخطر في هذا العالم
على قلب بشر كما لا تصور ان يخطر صورة الالوان والالحان على قلب الاكمه والاصم
الى ان رفع الحاجز عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حالة يعلم قطعا انه تصور ان
يخطر له قبل ذلك صورة فالذي حجب عن المعرفة هو بكثرة الغطاء فعند ذلك
يدرك ذوق الحياة الطيبة وان الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون
فهذا القدر كاف في بيان تفاوت الدرجات على الجملة فان ما يعظم به الصغار

منها

من الذنوب اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة فانه قيل لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار وكثرة واحدة مصر ولا يعد ذكرا لو تصور ذلك كان العفو عنها ارجى من صغيرة واظب العبد عليها وشال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توالي فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صبت عليه دفعة لم تؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله غير الاعمال ادومها وان قل والاشياء تعتبر باضدادها فان كان الذي في العمل هو الدوام وان قل والكثير المتقطع قليل التفاوت بل التفاوت وتظهر فلذلك القليل منها الساعات اذا دام على ما تزل اظلام الليل الى الزوال كثير بل ما يتصور ان يجمع عليها بقية عمره سوا بقي ولو احتج في حمله الصغائر قليل ما نزل الزوال بقية عمره غير اودية ومستقمات وتل ما تقل بقية عمره من غير شاهقة سابقة ومعادلة وكل كثرة يكتسبها صغائر سابقة ولاحقة ولو تصور كثرة وعدها بقية واسفي البهائم ربما كان العفو فيها ارجى من صغيرة واظب الانسان عليها عمره ومنها ان استصغار الذنب كان العبد كلما استعظم من بعض صغر عند الله وكل ما استصغره كبر عند الله لان استعظام الصغير من غفور الله عنه وكراهته له وذلك الشعور مع من شدة تاثره به واستصغار الكبير من الغفور الله عنه وذلك موجب شدة الاثر في القلب والقلب هو الذي يطالع بالله عز وجل والمحذور تسويده بالمعاصي ولذلك لا مواخذة بما يجري على اللسان فان القلب لا اثر له في ذلك ولا يسوده وقد جاء في الخبر المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فطاره وقال بعضهم الذنب الذي لا تغفر قول العبد لشيء كان علمه الله لم فعلته وانما يعظم الذنب قلة المبالاة بعظمة الله فاذا نظر الى عظم من عصى به صغر الذنب كبيرا وبدا وان الله تعالى لبعض اعدائه لا ينظر الا قطعة الديباج وانظر الا عظم بعد ذهاب اللحم عليها ولا ينظر الا صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من ارتكبها ومن هذا الاعتبار قال

بعض

بعض العارفين لا صغيرة مع كل مخالفة انها كبيرة وذلك قال بعض الصحابة انكم لتعملون اعمالا هي ارق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله من الموبقات اي كانت موبقة على عهد الصحابة بحلال الله تعالى وكانت الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله كالكبائر وبهذا الاعتبار يعظم خطر الجاهل ويحقر ما لا يعظم من الجاهل ويحقر ما وزع العالم من امور لا يحاسبون على مثلها لعلمهم بالفارق بين الذنب والطاعة بالنسبة الى جلال الله تعالى وعظمته

ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التائب من ذلك نعوذ بالله من كل ذلك فان قال رسول الله صلى الله عليه وآله الذنب الذي لا اصر عليه خير من الف توبة وقال صلى الله عليه وآله ان المؤمن يرى ذنوبه كانه قاعد تحت جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على انفه فقال به هكذا فطاره فالجواب ان الاصرار على الذنب هو ان يعزم على ان يعاوده متى قدر عليه وهذا هو الخبيث الذي لا يتوب منه ولا يستغفر منه ولا يندم عليه فان من زنى مثلا وهو نادم على ما فعل يستغفر منه ويتوب ويقول في نفسه لو قدرت على ان لا اعاوده لفعلت فهذا ليس بمصر وانما المصر من يقول في نفسه لو قدرت على الزنا بعد هذا لزنيت فهذا هو الخبيث الذي لا يتوب ولا يستغفر ولا يندم وقد يكون الانسان مصرا على الاصرار ولا يعلم ذلك من نفسه ومن لا يعلم ذلك من نفسه فهو مغرور وقد يكون الانسان مصرا على الاصرار ولا يعلم ذلك من نفسه ومن لا يعلم ذلك من نفسه فهو مغرور وقد يكون الانسان مصرا على الاصرار ولا يعلم ذلك من نفسه ومن لا يعلم ذلك من نفسه فهو مغرور

ومنها ان يأتي الذنب وينظر بعين انه ذكر بعد اتيانه او اتاه غيره فان ذلك منه جناية على ستر الله الذي اسدله عليه وتحريك لرغبة الشرهين

فالتوبة عنه بالندم والعزم على ان لا يعود اليه ما دام يتذكره ومن حيث الكثرة ومن حيث الدوام وطلب
لكل معصية منها حسنة تناسبها فاتى من الحسنات بمقدار تلك السيئات اذا
في قوله اتبع السيئة الحسنة تمحها قال في قوله ان الحسنات
يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي سماع القرآن ومجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد
جنبا بالاغتسال منه بالاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا بالوضوء ويكفر
قراءة القرآن مع كثرته بقلة وذلة وان كنت مصحفا وجهادا وفقرا ويكفر شرب الخمر بالتصدق
بكل شراب حلال بواطيء واجب اليه وعد جميع المعاصي غير الكفر وانما المتصور
طريق القضاء فان المرض يعالج بضده فكل حالة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا محو الا
فورد برفع اليه بحسنة تقاوم او تقضي المناسبات فلذلك سمعوا ان يعمل كل سيئة
بحسنة من جنسها لكي تقاوم فان الشاهد يزال بالشاهد لا بالاراءة والرد. وبذلك
والتحقق من التلطف في طريق الموفق لما فيه لصدق والشهرة اكثر من ان تواطأ على
نوع واحد من العادات وان كان ذلك ايقع مؤثرا في الموفق امكم ما منه وبين الله
ويدل على ان الشيء يكفر بضده ان حب الدنيا راس كل خطيئة واتباع الدنيا تقلب
السرور بها والالف لها والحنين اليها فلا جرم كان كل اذى يصيب المسلم مذهبا قبل ان
يكون كفارة لزاد الله تعالى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وآله وسلم
من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفي لفظ لغوا الا الهم يطلب البعثة وفي الحديث عائشة
اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له اعمال يكفرها ادخل الله عليه الغموم فتكون كفارة لذنوبه
ويقال ان الم الذي يحصل على القلب والعبد لا يعرفه هو نظير الذنوب والم بها وشعور القلب
الحساب وهو الاطلاع فان قلت هذا الان فان مال ماله وولده وجاهه وهو خطيئة فما تكون
كفارة فاعلم ان الكتب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة

فقد روي ان جبريل دخل على يوسف عليه السلام بحال رآه تركت الشيخ الكنعاني فقال
حزن عليك حزن مائة ثكلى فان فاز عندالله فعال اجر مائة شهيد فاذن الهموم والغموم كفارات
حقوق الله فهذا حكم ما بينه وبين الله واما مظالم العباد فمنها معصية وعاصي الله
فان الله نهى عن ظلم العباد امره فما سلق من حق الله تداركه بالندم والتحسر وترك مثله للمستقبل
والاحسان بالحسنات التي تقابل اضدادها فمقابل ايذاء الناس بالاحسان اليهم
ويكفر غصب اموالهم بالتصدق بملك الحلال ويكفر تناول اعراضهم بالغيبة والقدح بالثناء
على اهل الدين واظهار ما عرف من خصال الخير من اقرانه واشباهه ويكفر قتل النفوس
باعتاق الرقاب لان ذلك احياء، اذا العدد مفقود لنفسه بوجود نفسه فالاعتاق احياء
لا تقدر الانسان على اكثر منه فمقابل الاعدام بالايجاد وهذا الوجه فان ما ذكرنا من سلوك
طريق القضاء دليل الكيفية والموشهود له في الشرع حيث كفر القتل العمد برقبة اذا فعل
ذلك لكرامة الكعبة والبيت فما خرج من نظام العباد ونظام العباد اما المال النفوس او الاموال
او الاعراض او التعلق بهن به الايذاء المحض اما المال والنفوس فان جرى على طريق خطأ
فتوبته بتسليم الدية واليها ان الى المستحق اما منه او من عاقلته وهو عهدة ذلك على الجاني
وان كان عامدا موجبا للقصاص فالقصاص فان لم يعرف يجب عليه ان يتعرف عند ولي الدم
ويكفل بروحه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ولا يسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاعتفاء
وليس هذا كالزنا والشرب او السرقة او قطع الطريق او اشر ما يجب فيه حد لله فانه لا يلزم
في التوبة ان يفضح نفسه بهتك ستره ويليق من الوالي استيفاء حق الله عليه ان تيسر له
وتعم حسنة الله على نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو المحض حدود الله تعالى فيما بين
ان، بين فان رفع امره الى الوالي حتى اقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة عند الله
بدليل ما روي ان ماعزا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله ان فلانة

فاعلم

نفسي وزنيت واني اريد ان تطهرني فرقد فلما كان من الغد اتاها فقال يا رسول الله ان قد زنيت فرده الثانية فلما كان في الرابعة امر به فحفر لها حفيرة ثم امر به فرجم فكان الناس فيه فريقين قائل يقول لقد هلك لقد احاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة افضل من توبته ما عز فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم وجاءت الغامدية فقالت يا رسول الله اني زنيت فطهرني وانه ردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعلك تردني كما رددت ماعزا فوالله اني لحبلى فقال اما الان فاذهبي حتى تضعي فلما ولدت اتت بالصبي في خرقة فقالت هذا قد ولدته قال اذهبي فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته اتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد اكل الطعام فدفع الصبي الى رجل من المسلمين ثم امر بها فحفر لها الى صدرها وامر الناس فرجموها فاقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله سبته اياها فقال مهلا يا خالد والذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم امر بها فصلى عليها ودفنت واما القصاص وحد القذف فلا مدخل لتحكيم المسلمين فيه وان كان المتناول مأتانا وله بعض اجزاء او عين من مال نوع ملبس لزوج زانٍ او سترعورة لمسلم او نقص اجزاء او منع اجرة فكل ذلك يجب ان يقتص منه لامر مدلوله بل مر في اول مدة وجوده فان ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولي قد قصر فيه فان لم يعلم كان ظالما مطالبا اذ يستوي في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليس يسقط على البالغ والذمي اداء موته حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب الناس وليس قبل ان يحاسب بين يدي الله ما يحاسب به الا ما ذا حصل محمود وما عليه مظنون غالب ومنع من الاجهاد لكن فلكتبة وليك اسباب اصحاب المظالم واحدا واحدا ولنطف

في مواقع الغلام وليظلم وليتعلل او ليؤدة معوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا قدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد ان يعمل ما يقدر عليه فان يعجز فلا سبيل لطرق الآن كثير من الحسنات حتى تقتص منه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم وان كثرة حسناته قد كثرت مظالمه فانه ان اتى بها حسناته على مزيئات ارباب المظالم فهلك بسيئات غيره وهذا طريق كل من يتأمل ردالمظالم وهذا يوجب استغراق العمر لاطال الاكسب طويلة المظالم فكيف وذلك مما لا يوقف وربما يكون الاصل قريبا فتعوزان تكون تشتمل الحسنات والوقت يضيق اشد من ضيق العمر الذي كان للعاصي ان يتمم الاوقات فيها حكم المظالم الآتية من زمنه اما اموال الحاضرة فليزل الملاك بما لا يوقف له بما لا عينا وما لا يوقف له بما لا فعلى ان يتصدق به فان اختلط الحرام بالحلال عرف قدر الحرام بالاجتهاد وتصدق على الفقراء كما سبق تفصيله في كتاب الحرام والحلال والله على التوفيق وشافهة الناس بما يؤلمهم او تعييبهم بما يعيبه فليطلب كل من تعرض لعرض احاد من قليه بفعل من افعاله وليتحمل واحدا واحدا منهم وزلات او عتاب مدة حياته ولا تدارك الا بكثير الحسنات ليؤخذ منه عوض الى اتيانه وما مر وجده واحد يطيب منه قلبه كفارة وعليه ان يوقف قدر حاجته وتوضع له فان استحلال الميت لا يمكن وربما لا يعرف ذلك وكثرة تعديه عليهم تطيب نفسه بالاحلال وادخر ذلك في الكفارة وخيرة بان من يأخذ ما مر حسناته او يحمل من سيئاته فان كان في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه لم يرض عنه كزنا بحارته او ابنته او شتمه بالفسق ان عرف ما عيره به فعفا يعفو اذا مهما شوفه به فقد انتقد عليه طريق الاستحلال فليس له الآن ان يستحل بها فيتركه على ظلمه فليجبرها بالحسنات كما مر بظلامة الميت والغائب فاما الذكر والوقوف فهو سنة جديدة

يجب الاستقلال بها وهذا ذكر غايته ومعرفة الجنى عليه فلم تسمح نفسه بالاعلان تحت
المطالعة عليه فان هذا حقه يعلم ان يلطف به ويسوغ له مهاته واغراضه ويظهر له حبه
والشفقة عليه بالستر على قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من تحبب اليه
بحسنة فاذا طالب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاعلان فان ان الاقلاع
فكون تلطفه به واعتداده اليه من جملة حسناته التي يمكن ان تجبر بها الفادحة التي
وليكن قدر سعيه في ذلك بحسب ما يليق بحاله وقدر جنايته وتلطفه فقد سعيد ليلة
الاخ اوزاد عليه اخذ ذلك منه فوضاق القاضي بحكم الله به عليه. الملف الثاني
فقال مثله فامتنع من الحكم في الفصل وبعثني الاسراء فان الحكم يحكم عليه بما يقتضي منه شاء او ابى
فلذلك يحكم لسعيد القاضي احكم الحاكمين واعدل المقسطين. قال المسيب عليه من الصحيفة
عن ابي سعيد الخدري ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا ثم
عن اعلم اهل الارض فدلت على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل لي من توبة
فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه
قتل مائة نفس فهل لي من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا
وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض
سوء فانطلق حتى اذا انتصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة
وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب
انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين
فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته
ملائكة الرحمة وفي رواية فكان الى القرية الصالحة اقرب بشبر فجعل من اهلها
رواية فاوحى الله الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقربي وقال قيسوا ما بينهما

فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له هذا يوقف انه لا خلاص الا بزحمان يزان
الحسنات ولو بشعال فتيل لتاسع كثرة الحسنات هذا هو القصد المتعلق بالمعنى
فاما العزم المرتبط بالاستقبال فهو ان يعقد مع انعقادا موكدا وعاهده موثقا
ان لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى ما شابها كالذي يعلم في مرضه ان الفاكهة
تضره مثلا فيعزم عزما جزما انه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم تاكد الترك
وان كان يتصور ان تغلبه الشهوة في ثاني الحال ولكن لا كون ثابتا ما لم يعزم
في الحال ولا يتصور ان يتم ذلك الا بشغل اول لمرة الا بالعزم والصحة وقلة
الاكل والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال موروث حلال او كان قوته
مكتسبا بما قدر الكفاية فلم يقتصر عليه فان راس المعاصي الاكل الحرام وكيف يكون تائبا
مع الاصرار على الاكل الحلال وترك الشهوات التي لا يقدر على تركها الشهوات
الاكولات والملوسات قال بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه فيها
سبع مرات اعتقها الله وقال آخر من تاب من ذنب واستهان عليه ستين
اعيد اليه ابدا ومن تهاون التائب اذا لم يكن عالما ان يعلم ما يحل له الاستعمال وما
يحرم عليه حتى يملكه الاستهانة وان اثر العزم الم يزل الاستهانة المطلقة الا ان يتوب
عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا والغصب مثلا ولم تصح توبته
مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة في
المقام محال بل يقول لم يحل لا تصح ان عنيت به ان تارك بعض الذنوب لا يغفر اصلا
بل وجود كعدمه فالاغلط خطاك فانا نعلم ان لكثرة الذنوب سببا لكثرة العقاب
وقلتها سببا لقلته وقولك لم يحل لا تصح لان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب
توجب قبولا موصلا الى النجاة والعفو هذا الضغط بل النجاة والعفو بترك الجميع

هذا هو الظاهر ولسنا نكلف خفايا اسرار عفو الله وان قال عز وجل لا انه لا تعلم الى
اردت به ان التوبة عبارة عن ترك الذنب وانا نذم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها قبيحة
ويستحيل ان نذم عليها دون الزنا ان كان توقعه لاجل المعصية فان العلة شاملة
اذ من يتوقع من قتل ولده بالسيف يتوقع من قتل غلام السكين لان توقعه بتوقع محبوبه
سواء كان بالسيف او بالسكين فكذلك توقع العبد فوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء
عصى بالسرقة او بالزنا فكيف يتوقع من البعض دون البعض فالذم حالة توهمها العاصي
المعصية معنى المحبوب في حقها انها معصية فلا صور ان يكون على بعض المعاصي دون
بعض ولو جاز هذا لجاز ان يتوب عن شرب الخمر فيما احد الدنين دون الآخر فان استحال
ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحدة وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان المعاصي
الآلات للعاصي والمعصية من حيث انها مخالفة الامر واحدة فاذن معنى قولهم ان الله يغفر
الذنبين رتبة وذلك الرتبة لا تنال الا بالذم ولا يتصور الذم على بعض الممكنات دون بعض
الترتب على الاسباب والعقول بعلل ان العقد لا يصح الى لا يترتب عليه الثمرة وهو الملك
ويحقق هذا ان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب تارك وثمرة الذم ان يحترز بالمنع من ترك
السرقة لا يكون السرقة قبل الذم عليها ولا تصور الذم الا لكونها معصية وذلك هو جميع
المعاصي هذا كلام مفهوم واقع يشتمل المنصف بتفصيل بعد كشف الغطاء فنقول
التوبة عن بعض الذنوب لا محالة ان يكون عن الكبائر دون الصغائر او عن الصغائر دون
الكبائر او عن كثرة دون كثرة اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فهو ممكن لان يعلم ان
الكبائر اعظم عند الله واطلب لسخطه ومقته والصغائر اقرب الى تطرق الغفران اليه
فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويتمادى عليه كالذي يجني على اهل الملك وحرمه ويحني
على دابته فيكون خائفا من الجناية على الاهل مستحقا للجناية بتحمل الدابة والذم يكسب

استطاع الذنب واعتقاد كونه مبعدا عن الله وهذا ممكن وجوده في الشرع وعند كثير
الناس في الاعصار التي لم يكن احدهم معصوما فلا استبعاد عن التوبة عن المعصية والطبيب
قد يحذر المريض العسل تحذرا شديدا او يحذره السكر تحذرا اشد منه على وجه اشعر
معه بانه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر
فهذا غير محال وجوده وان الكل جميعا بكم شهوة تدعو على اكل العسل دون السكر
الا ان ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده بان
بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله كالذي يتوب عن القتل والزنا دون الظلم و
سفك العباد ولعلمه بان ذنوب العباد لا يترك وما منه وفي الاسراع الى العفو اليه
فهذا ايضا ممكن كالتفاوت في الصغائر والكبائر لان الكبائر ايضا متفاوتة اذ انها
قد تعتاد ويكثر فعلها وكذلك قد يتوب عن الكبائر التي لا تعلق بالعباد كالتوبة عن
شرب الخمر دون الزنا مثلا اذ منع الخمر يمنع الشرور وانه اذا زال تعلق الرب
جميع المعاصي وهو لا يدري فيحسب ترك شرب الخمر عنده منعه منه فوق ذلك
تركا للاستقلال وذما على الماضي الثالث ان يتوب عن صغيرة وهو مصر على كبيرة
بعلم انها كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة وعن النظر الى فرج ام ما يجري مجراه وهو مصر
على شرب الخمر وهذا يقع ممكن ووجه امكانه انه ما من ذنب الا وهو خائف على صاحبه
نادم على فعله نذما اما منعقدا واما قويا ولكن يكون لذة نفس ذلك المعصية اقوى
من الفاظ الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة اما
توجب قوة الشهوة بكون الذنب موجودا ولكن لا يكون طالبا تمام العزم ولا قويا عليه
فان سلم عن شهوته اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف قدرا لخوف اشد وغلبة
واوجب ذلك ترك المعصية وقد تشتد ضراوة النفس بالخمر فلا تقدر على الصبر عنها

ويكون تصوره ما بلغه من ثلب الناس والنظر الى غير الرحم وخوفه من الله قد بلغ سلطانا
يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون التوبة فوجب عليه جهد الوسع لعله يترك الزنا
بل نقول هذا الفاسق في نفسه ان قدر ان الشيطان بواسطة غلبة الشهوة لا يحبب
المعاصي فلا بد ان يأتي عليه اوقات يترك العصيان بالكلية ان جاهد في بعض المعاصي فيجب
ان يكون قد ترك البعض كفارة لبعض ذنوبه ولهذا تصور هذا لما تصور في الفاسق
ان يصوم ويصلي ويقبل له ان كانت صلاته لغير الله فلا تصح فاترك الفاسق بقية
فان اراد الله به خيرا فلا تصور ان تقصد بصلاتك التوصل الى الله عالم بتركه
الفسق وهذا محال بل يقول عبدي على اوان ولي على الما لغة فيها تقوى بان وانا لي
فاعبدها بقدر السلطان عاجز عنه في الاخر فاقدر عليه واوجوحها جاهدتي فيه ان
تعجز عني ما عجزت عنه بمرة شهوتي فكف لا تصورها وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم
الا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبيل الا ايجاد اذا فهم هذا فهم ان غلبة
الخوف للشهوة في بعض الذنوب فكن وجوده والخوف اذا كان من فضل ما يض
اورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبي صلى الله عليه وآله الندم توبة
واشترط الندم على كل ذنب وقال عليه السلام الناسف على الذنب كمن لا ذنب له
فلم يعمل الناسف على الذنوب كلها وبهذه الاعتبارات ان التوبة عن بعض الذنوب
لانها تحاذيه في حق الشهوة وفي حق التوضي لسقط الندم يجوز ان تتوب عن الزنا دون
اللعب لسهولته ما لم اقضا السقط وتتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة المعصية تأثيرا
في كثرة العقوبة فضاعف الشهوة ما تقدر الذي يعجز عنه وترك بعض شهوته لله كالمريض
الذي حذره الطبيب الماكدة جانبه قد عنا وله فلها ولكن لا سكر منها فعلى هذا
انه لا يمكن ان تتوب عن شيء ولا تتوب عن مثله الا وان يكون ما تاب عنه مما لا يمكن

وان كانت عبدي

اما في شدة المعصية اما في غلبة الشهوة واذا حصل هذا التفاوت في تصور
اختلاف حالي الخوف والندم فتصور اختلاف حال الترك بقدره على ان الادب
ووظائفه يعزه على الترك بلقمة من حرام وان لم يكن قد اطاع الله في جميع الاوامر والنواهي
فان قلت هل تصح توبة العنين عن الزنا الذي فارقه قبل طريان العنة فاقول
لان التوبة عبارة عن عزم يمنع العزم على الترك فما قدر على فعله وما لا فلا عزم
فعدم العزم منه لا يترك اما ه ولكني اقول لو طرى ما يعيد العنة كشف وهو يشتهي
صبرا الزنا الذي فارقه وثار منه احتراق وتحسر وتندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع قائمة
لكان حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فان ارجو ان يكون ذلك مكفرا لذنبه ماضيا
عنه سيئة اذ لا خلاف في ان توبة قبل طريان العنة وما تعقبه كان مرتفعا
وان ابطل عليه جاز تهيج فيها الشهوة وهيجها اسباب العضا للشهوة ولكنه تاب بقدار
ان ندم بلقما او حضر في قصده عن الزنا لو ظهر قصده فان لا يستحيل ان تبلغ
قوة الندم في حق العنين هذا المبلغ الا انه لا يوجد في حقه فان كل من لا شهوة له يتصور
قادرا على تركها وفي خوف الله مطلع على ضميره وعلى مقدار استدراجه بعلمه
بل الحق انه بعلمه والحصيل ما ذكرنا ان ظلم المعصية عن الغلبة شيئان احدهما عزم الندم
والآخر شدة المجاهدة بالترك المستقبل وقد استمتعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن لا يحصل لا
ان يقوى الندم بحيث تقوى على مجاهدة دون المجاهدة ولولا ما قلنا ان التوبة لا تقبل
ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في تلك الشهوة ومراداتها ومتعلقاتها وذلك
لا دليل ظاهر الشرع على اشتراطه اصلا فان قلت اذا فرضنا ان احدهما سكنت نفسه
عن الزنا لا لدين والآخر تنازعه نفسه يزوج البنت ويجاهدها ويمنعها فايهما افضل فاعلم
ان هذا ما اختلف العلماء فيه فقال احمد بن حنبل الحواري واصحاب سليمان الداراني

اخوان صه

ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك الاخر افضل لانه لو فتر
في توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة الفترة عن المجاهدة
وكل واحد من القولين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه ان الذي
انقطع نزوع نفسه له حالتان احديهما ان يكون انقطاع نزوعه اليها بفتور في نفس الشهوة
فقط فالمجاهد افضل من هذا اذ ترك المجاهد قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه
على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين واعني بقوة الدين قوة الارادة
التي تنبعث باشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهاتان قوتان
يدل المجاهد عليهما قطعا وقول القائل ان هذا اسلم اذ لو فتر لا يعود الى الذنب فهو صحيح
ولكن استعمال لفظ الافضل فيه خطأ وهو كقول القائل العنين افضل لانه في
امن من خطر الشهوة والصبي افضل من البالغ لانه اسلم والمفلس افضل من الملك القاهر
القامع لاعدائه لان المفلس لا عدو له والملك ربما يغلب مرة وان غلب مرات
وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غافل عن ان العز في الاخطار وان
العلو شرطه اقتحام الاغوار بل هو كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب
افضل في صناعة الاصطياد واعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس لانه امن من
ان يجمح به فرسه فيكسر اعضاءه عند السقوط على الارض وامن من ان يعضه الكلب ويتعدى
عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب اذا كان قويا عالما بطريق تاديبهما اعلى رتبة
واحرى بدرك سعادة الصيد والحالة الثانية ان يكون بطلان النزوع بسبب
قوة اليقين وصدق المجاهدة اذ بلغ مبلغا قمع هيجان الشهوة حتى تادبت
بادب الشرع فلا تهيج الا باشارة الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين
عليها فهذا اعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها وقول

الذنب

اكبوه

العا

القائل ان ذلك فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا
لعينه بل المقصود قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك
فلا يصدك عن سلوك طريق الدين فاذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما
دمت في المجاهدة فانت بعد في طلب الظفر ومثال الكامل من قهر العدو واسترقه بالاضافة
الى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله ايضا مثال من
علم كلب الصيد وراض الفرس فهما عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس
الجماح بالاضافة الى من هو مشغول بمقاساة التاديب بعد ولقد انتهى هؤلاء الى
فظنوا ان الجهاد هو المقصد الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق
وظن اخرون ان قمع الشهوات ومحوها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فعجز عنه فقال هذا محال
فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل
وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات فان قلت
فما قولك في تائبين احدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والاخر جعله نصب عينيه
ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه فايهما افضل فاعلم ان هذا ايضا مما اختلفوا فيه فقال
بعضهم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك وقال اخر حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك
وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة الى حالين وكلام المتصوفة ابدا يكون قاصرا
فان عادة كل واحد ان يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فيختلف الاجوبة لاختلاف الاحوال
وهذا نقصان بالاضافة الى درجة العلماء فان معرفة الاشياء على ما هو عليه افضل واعلى ولكنه
كمال بالاضافة الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه امر
غيره اذ طريقه الى الله نفسه ومنازل احواله وقد يكون طريق العبد الى الله العلم والتعليم
فالطرق الى الله كثيرة وان كانت مختلفة في القرب والبعد والله اعلم بمن هو اهدى سبيلا

تائبان

مع الاشتراك في اصل الدناءة فاقول تصور الذنب وذكره والتوقف عليه كاف في حل العقدة
الاولى لانه اذا نسيه لم يكن اخراقه فلا تقوى ارادته واساءته لسلوك الطريق والى
ذلك يشير قوله الخوف الطارئ عن الرجوع الى مثله فهذا لا ضافه الى ما قبله كالحال
والمكنة لا اضافه الى سالك الطريق فان شغل قلبه في سلوك الطريق بل
سالك الطريق ممنوع ان لا يعوج على غير السلوك فان ظهر له مبادئ الوصول اكتفى
انوار المعرفة ولوامع الغيب استوفته ذلك فلم يتسع للالتفات الى ما ترك خلفه
وهذا الكمال بل لوعاق عن الطريق الى بلدة من البلاد فهو جاز ظاهرا فان عوده
من حيث كان قد جبره مرة قبل فجلس على شاطئ النهر بعد عوده بكل تباطأ عن
الجسر كان هذا مما لقوا استغفار بعد القوا عن ذلك الفاتح مع ان الكمن الوقت
وقت الرحيل ان كان ليلا فتعذر السلوك وكان على طريقه انهار وهو يخاف عليه
ان يخوضها فيطيل بالليل كافوه وحزنه على تركه الجسر الذي كان يطلب الحزن عن ان لا
يعود الى مثله فان حصل له من التفقه ما وثق بنفسه انه لا يعود الى مثله لسلوك الطريق الاولى
بعزم الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا سوء فيه الا من حيث الطريق والمقصد
والعائق وطريق السلوك وقد اشرنا الى ايضاحات من كتاب العلم من ربع المهلكات
بل ليس شرط دواء التوبة ان يكون كثرة الذنوب الا خرة لتعذر تجنب كلهن
ان كان شاقا فلا عصوان يطيل مكثه في كل ما يذكر الذنب كالجلوس والتصور فان ذلك
الذكر يا تحرك رغبته فيطلب العاجلة والارض بالاطيل مع ان سكرة لذة الشهوة
جواذبه فقط فذلك لا نظر الى الدنا فذلك تذكر الذنب معدلون محكما للشهوة فالمك
الصفة تسمى ريبة فيكون النسيان افضل له عند ذلك ولا عند ذلك عن القصد
بهذا التحقق ما يحل لك من كاد داود وياعته فان قال يمكنه ان يكل الايمان

فاسس في غار الاعوطاح لانهم قد يرون في اقوالهم وافعالهم الى العادة جاز الاقتداء
بهم فانهم ما بعثوا الا لارشادهم فطلب التلبس بما سمع انتهى شاهدته وان
كان نادرا لاعن ذروة معالمهم فقد كان في الشيوخ من لا يشرب الا من عين ويخوض معها وقد كان مشتغلا بها لغراءة عن المجاهدة وتأديب النفس وكان سهلا
الامر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم انا آتي لا انسى ولكني انسى لاتبع
ولا تعجب من هذا فان الامر في كيف شفقة الانبياء كالصبيان في كيف شفقة الاباء
وكالوالد الشفيق في كيف الرفاة اما ترى الاب اذا اراد ان يستنطق ولده الطفل
نزل الى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وآله لعمر رضي الله عنه لما اخذ قرده وهو يصيح
ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن ان تقول ارم هذه القردة فانها حرام ولكنه
اذعن انه لا يفهم مطلقه ترك فصاحته ونزل الى لكنته بل الذي يعلق ما وطأ
يصوت به رعاء وصغيرا شبها بالبهيم والطير وتطفل تعلمه فكان ان تعقل عن
امثال هذه الدعاق عاجزا فزاقدام العارف فضلا عن الفاضل كان ان (العلم)

(وجوب التوبة) اعلم ان طبقات الناس اربع طبقات الطبقة الاولى ان يتوب
العاصي ويستقيم على التوبة الى آخر عمره فتدارك ما فرط في امره ولا يحدث نفسه بالعود الى
ذنوبه الا الزلات التي لا يسلم البشر عنها في العادات نهاية المكن في رتبة التوبة
هذا هو الاستقامة على التوبة وصاحبها هو السابق بالخيرات المستدل بالسيئات
حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس ان كانت المطمئنة
الراجعة الى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه
وآله سبق المؤدون المسهدون نذرا فهم وضع الذكر اوزارهم عوردوا العاجلة
فان فتارة الى انهم كانوا تحت اوزارهم وصحبها الذكر عنهم واهل هذه الطبقة

او الشهوتان وهو يوجد الله على قهرها وكان مشربا هذا منتهى كمال نفسه، الشهوة
وعند النوع تجتمع وتقوى التفتن في الفعلة وساتوب عنه واجاهد نفسي في قهرها لكنه يقول
نفسه وسوف توبتي مرة بعد اخرى وربما يعد يوم هذه النفس من اقبح النفس
المسئولة عما صنعها من الذين قال الله تعالى منهم واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا
واخر سيئا فاعرف من حيث سوء الطبقة على الطاعات وكراهيته للمعاصي ما هو شخص انه
ان سوف عليه وعاجله محظور من حيث تسويفه وتاخيره فزما يخطف قبل التوبة و
مع اخر في المشية فان قدر الله بعضه وحبر كسره وانتهز عليه بالتوبة التفتن ان يتمن
وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فخشى ان نحن على الخاتمة ما سبق عليه من الزلل
في الاول لانه نهاه تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شوائب التعلل والتعذر على الاكثرين
من الاول ان يكون من الجاهلين بضعيف الرجال متقه واذا ثبت الاساس المواظبة
على التحصيل دل على انه سبق من الاول ان يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط
الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات كما تقدم سبب الاساس بكل ارتباط الاولى
والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط خصوصية نفسه النفس الذي يسمى آلة
العلية الدنا بترك الكسل والمواظبة على تقية النفس وكما لا يصلح منصب الرياسة
والقضاء والتقدم بالعلم الا نفس صارت فتنته بطول التعلم ولا يصلح للملك
الآخرة وفيها ولا الفوز عند رب العالمين الا قلب سليم صار ظاهرا بطول الاثر
والتطهير كذلك سبق من الاول تدبير رب الارباب ولذلك حال تعوّد نفس
وما سواها فالنفس مجبولة وتقويمها قد فاظ من زكاها وقد خاب من دسّاها وقع
العبد في دنس فصار الدنس فقد اسلم والتوبة فسخه كان هذا من علامات الخذلان
قال صلى الله عليه وآله وسلم ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة

حتى يقول الناس ما رآه من الها ولا توبة بينه وبينها الا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل اهل النار فيدخلها
فاذن الوقوف في الخاتمة قبل التوبة وكل نفس فهو خاتمة اذ ممكن ان يكون الموت متصلا
بلا تراخي الانفاس والا وقع المحذور ودامت الحسرات على حين لا ينفع القبر الطيبة
الواجبة ان سوف ويجري هذه على الاستقامة ثم يعود الى مثارة الاولى او الدنو من غير
ان تحدث نفسه بالتوبة ومن غير ان ناسف على فعله بل يهنأ بما فعل العامل مع اتباع الشهوات
فهذا من جملة المقربين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء الغوازة من الخير وهذا هو
الخاتمة فاعرف منتهاه الله فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا اخرا بها وان ختم له بالحسنى
حتى مات على التوحيد مسطرا الخلاص من النار ولو بعد حين ولا استحال ان يشمله عموم العفو
بسعة حتى لا تطلع عليه كما لا استحال ان يدخل الجنة بمجرد الفضل ان يشاء
ولا ان يجلس على البيت المعمور الا عالما بالعلوم فمن غير تعلم كما كان للانبياء عليهم السلام فطلب العفو
بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بالتجرد
الرابع خراب الاعمال كطلب العلم بالجلوس في المواضع الوعرة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليت
من اجتهد تعلم وليت من تجرأ استغنى وليت من صام وصلى غزا فان ناسا كلهم محمودون
الا العاملون والعالمون كلهم محمودون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وكان حزن
بيته وضيع ماله وقرك نفسه وعياله جاهلا يزعم انه مغفور فضل الله بان يرد مكرا بحكمة الله في
بيته الموت بغتة عند ذوي البصائر هو الحمق المغرورين وان كان ما مغفورا بمستحيل في قدرة
الله تعالى وفضله كذلك من مغفرة من يفضل الله وهو حصر على الدنو من مالك سبيل
المغفرة معدود عند ارباب القلوب من الموبقات والعجب من عقد هذه الغوة وهي جرأة
في صفحة اذ تقول ان الله كريم وجنته لست تضيق عن مثلي ومعصيتي ليست تغير من الا
ترك النار وفتح الابواب لطلب الدنا واذا قيل له ان الله كريم ودنا يزه ترانه ليست تغير من
الا

من حيث الرجوع الى الشهوات فمن تاب بسبب شهوة تحته فهو فوقه في ذلك
والبعد عن السلوك هو الى حد لا يعلم عن مجاهدة النفس والكسل عن عبادة
ودوام مداومات درجات الزهاد بالكثرة والقلة باختلاف المدة وباختلاف الاحوال
وكذلك يتفاوتون في خيبة طول العمر وقصره فربما تتوبة يحبط عمل ذلك الملائكة مدة
قبل الفترة وحين يهمل طول عبادته وصبره وثمارات استقامته وكثرة حسناته وحال
اعلى وافضل من كل مشتبه فانما تقوى خشية حتى قال بعض العلماء انما لم يذكر الله
اركان العاصي عشرات ان يكون من عشرات مع صدق الشهوة ثم صبر عنها وكسر
شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط انه تاب بعيد وان كان لا بد منه عظيم اثره لو وجد ولكن
لا ينبغي للمريد الضعيف ان يسلك هذا الطريق فيقتحم الشهوة ويحضر الاسباب حتى يمكن
ان يطيع ثم الا يمكنه فعسى انه لا يؤمن خروج فان الشهوة عن اختياره فعسى ان يصير
وينتقض توبته بل طريق المريد في ابتداء السابة المسيرة الى حد لا يشتهي المعصية
مع ذلك ان كسر شهوته بها قدر عليه بسهل توبته في الابتداء. الطبقة الثانية تائب
سلك طريق الاستمرار في انهماك الطاعات وكف النفس عن الفواحش كلها الا انه ليس
بنيك عن ذنوب نفسه لا عن عمد وقصد ولا عن تعمد لكن بتخلي بعض جوارحه
عن ان يقدم عزما على الاقدام عليها ولكنه كلما اقدم عليها لا عن عزم وتصميم وتجدد
عزم على ان يشمر للاحتراز عن اسبابها التي توقعه فيها وهذه النفس جديرة بان تكون
هي النفس الموافقة اذ يلوح صاحبها على ما يشتهي في الاحوال الذميمة لا يعتني
ويتغير راي وقصده وهذه الصفة راسخة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وان
اغلب احوال التائبين لان الشر يتمون بطبقة الا ان قل ما يملك عنه وانما
سعيد من تغلب خيره شره حتى تشمل ثمراته فروع كثيرة فاما ان تحلو

بالكلية عن السيئات فذلك في غاية البعد وهو لا يعلم الا من وعد الله تعالى
الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة وقال تعالى
مع بصيغة الجمع توطين نفس على انهم جديرون بان يكونوا من اهل المغفرة وقال تعالى
والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر
الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون فاخبر عن علمهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم ولومهم انفسهم عليه وقال مثل هذه
الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله فطوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا
وقال خير المؤمنين كل مفتن توابا وكل نساء اوابا وفي الخبر لا يداوم المؤمن على ذنب واحد
بعد التوبة الى الحين بعد الحين وكل ذلك اشارة الى ما قلناه على ان هذا القدر لا يسلم للمريد
ولا يحمى صاحبها من درجة المقربين ومن تونس بمثل هذا في درجة ان من كان كالطبيب الذي
يؤنس الصحيح بدوام الصحة بالتعاهد ولزوم الدواء والاطعمة الخاصة فترة بعد اخرى مع غير
مداومة واستمرار وكالنفقة الذي يؤنس المتمول في نيل درجة الفقهاء بتفويض الكثار
والعلق في اوقات نادرة غير متواترة ولا كثيرة وذلك يدل على فضل الطيب
والنفقة بل العفة الذي هو الذي لا يؤنس الملق في درجات السعداء ما يسبق
من الفترات ومقارفة السيئات المحبطات قال صلى الله عليه وآله كل بني آدم
خطاء وخير الخطائين المستغفرون وقال ان المؤمن وان راقع فخيرهم من راقع
رقوعه اي وان عاد الذنوب راقع بالتوبة والندم وقال تعالى اولئك يوتون اجرهم
مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة فاوصفهم بعد السيئة باصلة الطبيعة
الثالثة ان تتوب وتستمر على الاستقامة مدة ثم تعلم شهوة ان بعض الذنوب
فيقدم عليها عن قصد وصدق شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا ان ترجح ذلك بواطن الايمان
وتاركه ظلم من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قدرته بهذه الشهوة الواحدة

(١١) ح

الا من وان راقع اي يلبس
دينه بمعصية ويرقعه
بتوبة من قولهم الكذوب
اذا رقعت بها

والعزم على الطاعات واما باللسان فالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي و علمت سوءً فاغفر لي ذنوبي وكذلك اكثر من صروف الاستغفار كما اوردناه في كتاب الصلوات والاذكار واما بالجوارح فالطاعات والصدقات فانواع العبادات فقد دل الاثار والاخبار على ان الذنب اذا تبع ثمانية اعمال كان العفو عنه وهو ادبعة في اعمال القلوب وهي التوبة او العزم على التوبة وجب الاقلاع عن الذنب وخوفه لعظمه عليه ورجاء العفو او العزم في اعمال الجوارح وهي ان يصلي عقب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بعد ذلك بشيء ثم يصوم يوما وفي بعض الاثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الاخبار يصلي اربع ركعات وقد اجزاء عملت سيئة فانبعها حسنة يمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وقد ورد في قبيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار وفي الخبر الصحيح ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله اني عالجت امراة فاصبت منها كل شيء الا انسي افاضض على بكم الله فقال صلى الله عليه وآله اما صلت معنا صلوة الغداة فقال بلى قال ان الحسنات يذهبن السيئات وقد دل على ان ما دون الزنا من معاني الاثم صغيرة اذ جعل الصلاة كفارة لما بينها ما لم تؤت الصلوات الخمس كفارة لما بينهن الا الكبائر فعلى الاحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيآته ويعدد ذنوبه ويقابلها بالحسنات فان قلت فكيف يكون الاستغفار باللسان من غير ان يقترن عقيدة الاصرار والخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان بعضهم يقول استغفرالله من قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فاعلم انه قد ورد في فضل الاستغفار اخبار خارجة عن الحصر ذكرنا طرفا منها في كتاب الاذكار والدعوات حتى قرن الله الاستغفار بالاكل

عن غيرك وكذلك بترك التجارة ليس بخيرة فاطلب في تلك فضاء رزقك من حيث لا تحتسب بعيش طائر الاطلاع ويتهنى ويقول ما هذا الدرس الشاق لا تظنها بها ولا تضنه وانما يمال ذلك بالكسب هذا قدره رتب الارباب واجرى به سنته ولا تبدل لسنة الله ولا يعلم المقدور ان رتب الاخرة ورتب الدنيا واحد وان سنة الله لا تبدل انما تجاوز قد اجزأ ذلك وان ليس للانسان الا ما سعى فكيف يعتقد انه كريم في الاخرة وليس كريم في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم التنور عن كسب المال ومقتضاه التنور عن الملك المقوم والنعيم الدائم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد وهذا بضعة من مائة وعشرة الاجتهاد في غالب الامر فنعوذ بالله من العمى والضلال فاذا الانسان على الرأس والنفاس في ظلمات الجهل وصاحب جد زمان تكون داخلا تحت قوله تعالى واذا الجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا الان موقنون اذ قلت وان للانسان الا ما سعى فارجعنا لنسع لا عند ذلك لا يمكن من الانقلاب حتى عليه العذاب فنعوذ بالله من زوابع الجهل والشك والارتياب التي بالقوال السوء تنقلب والمآب بيان ما ينبغي ان يبادر اليه الانسان اذا جرى على لسانه او قلبه ذكر الله تعالى

اعلم ان الواجب عليه التوبة والدفع والاشتغال بالكبيرة بقضاءة كما ذكرنا طريقه فان لم يعاوده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة عقد عزمه على اعمال الجوارح فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يبدله بالحسنة البدلية فتمحوها ويكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا والحسنات الماحقة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح والمكفر الحسنة في محل البدلية وفيما سبق بيانها فاما ما تقبل للبكاء ما تقدم ان شاء الله تعالى سؤال المغفرة والعفو وقد ذكرنا ان العبد لا يخلو من ذنب ويكون ذلك بحيث يظهر اثره على الجوارح فيتصاغر كبره فاعلم ان العبد لا يخلو من الذنب وجه التكبر على العباد وكذلك يصغر نقل الجزات فيحسب

الذى لايدخل فيما ذكر وجيبه والمقصد ان للتوبة شرطين احدهما كالمعنى الستاخى يصير كمن
لا ذنب له والثانى نيل الدرجات حتى يكون حبيبا وللكفر اضعاف درجات فعضها محو
لاصل الذنب كالتوبة وبعضها تخفيف له ومحاولة وذلك بحسب درجات التوبة والاستغفار
بالقلب والتدارك بالحسنات وان خلا عن نيل عدة الامرار من اوائل الدرجات وكمل
عن الفائدة اصلا فلا سبيل الى نفى ان يغفر وجودها كعدمها بل الى الفائدة والثواب
نعوذ بالله لاريب فيها ان قول الله تعالى مثقال ذرة خير ايره حق وايره لاتكون ذرة
من الخير عين اثر كالاعمال شعيرة تطرح فى الميزان عين اثر ولو خلت الشعيرة الاول عن اثر لكانت
اثنتان مثلها ولكان لايرجح الميزان باحال وذلك باطل بل ميزان الحسنات يرجح بزيادات
الخير الى ان تثقل بمثقال كفة السيئات فاما ان تستصغر ذرات الطاعات فلا
وذرات المعاصى فلاشبهة فى كثرة الحق، تكمل عن القول تعللا بانها لاتقدر كل شئ
الا على خيط واحد والى عنى بتحصيل خيط ما وقع ذلك الشاب ولاتدرى المقصد ان
ثاب الدنيا اجتمعت حيطانا وان اصحاب العالم اتى على اقطاره اجتمعت ذرة
ذرة فاذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لاتضيع عند الله اصلا بل اقول الاستغفار
باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها غير حركة اللسان بلا ذكر اللسان بلغو سواء او
فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه مطلقا فضلا بالاضافة الى السكوت عنه واما يكون فضلا
بالاضافة الى عمل الطاعة ولذلك قال بعض شيوخ ابى عثمان المغربى ان لسانى لم يعتد
بجرى بالذكر والقرآن وقلبى غافل فعلمت بذلك ان الله تعالى اذا استعمل عبدا رضى عنه
الذكر فلم يستعمله الا شرفا بالعود الفضول وما ذكره حق فان تعود الجوارح الخير حتى تصير لها ذلك
كالطبع مع تعود المعاصى لم يتعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره لكنا سمى ان لايتعود
ما تعود تعالى استغفر الله ومع تعود الفضول يستولى لسانه الى ان تعود ما احمك وما اقبح كذلك

تقال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فكان الاستغفار امنة
يقول كان لنا امانان ذهب احدهما وهو كون الرسول فينا وبقى الاستغفار فان ذهب
الكنا نقول الاستغفار الذى هو توبة الكذابين هو الاستغفار بحرد اللسان من
غير ان يكون للقلب فيه شركة كما يقول اللسان بحكم العادة وعن راس الغفلة استغفر الله
وكما يقول اذا سمع صيحة النار نعوذ بالله من غضب الله وعذابه من غير ان يتاثر به قلبه وهذا مما لا يحرم الثواب
ولا يجدى نفعا واذا انضاف اليه ندم وتاسف على الاقدام على سؤال المغفرة
عن صدق ارادة وعزم على ترك تلك السيئة فهذه حسنة لا سبيل الى ان يدفع بها السيئة وعلى
هذا تنزل الاخبار الواردة فى فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وآله ما اصر من استغفر
ولو عاد فى اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب واللسان والاستغفار درجات واولها
لا تخلو عن الفائدة وان اخسه ان يؤخر العذاب الى اوان اخر ولذلك قال سهل لاحد لعبد فى كل حال وهو فى
فاحسن احواله ان يرجو الى كل شئ لان عصى قال مارب استر على فاذا فرغ من المعصية
قال مارب تب على فاذا تاب قال مارب ارزقنى العصمة واذا عصم قال يا رب استعمل حتى فى
مثل انضم عن الاستغفار الذى هو كفارة الذنوب مثال اول الاستغفار الاستجابة للامر
ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة اعمالهما جميعا مثاله ان
يرى الملك ثم يستيقن بقبحه الذى هو فيه ومن الجهل الذى هو فيه وتركه الشكر فعند ذلك ينتبه
ويكون عنده ما وقع فيه من الغفلة الانتباه ثم الالتفات الى البيان ثم الترتيب ثم العزم ثم الشروع
ثم المضاغاة ثم المواظبة ثم محاولة الترك وهو الخلع ولا يستقر هذا على عبد حتى يكون الله تعالى
والدكر قوته والرضا غذاءه والشوق مطيته ثم نظر الله اليه فوقه الى العرش فكون ساعة من
حملة العرش وسئل ابو يزيد عن قول الله عليه وآله الناس صنفان احدهما اذا مكون الناس
حسنا واذا كان نسمع ما ذكر قوله تعالى الناسون العابدون الى الساجدون الآية وقال الخليع

ومن تعوذ الاستعاذة اذا اغتذت بظهور عبادي الشرين شر قال لهم بس الان
نعوذ بالله واذا تعوذ الفضول قال لعنة الله فيخصص ان اعذر الكلب ويسلم الاخرى
وسلامة اثر اقتادان نه الخير وهو في جملة معاني قوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين في
معاني قوله تعالى وان لك حسنة نضاعفها فتركيف ضاعفها ان جعل الاستعارة
العقلية عادة اللسان حتى رفع سلك العادة بشر العصيان بالعبد والعصيان
هذا تضعف ان الذنا لاذن الكاتبة وتضعف الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون كما ان الخير
في الطاعات مجرد الافات فتقرر بذلك العادات فان هذه مكيدة روحها التخيل
بلعبه على المغرورين وقيل له انهم ارباب البصائر واهل الفطن للعقبى والبدايات
فاني ضمن ذكر اللسان مع غفلة القلب فاتسم الحلق في هذه المكيدة على الغفلة عما
وتقصد وسائل المال ان تقال صدقت يا مولون ولكن هي لكم حق اردت بها
باطلا فلا جرم اعدتك ربك وارغم انفك يا وجه خاضع الى وكر اللسان وكر القلب
كان كالذي راوى جرح الشيطان بنزع الحلية واما الطعام المغرور فاستغنى عن ذكره
لهذه الدقيقة ثم جرح الاخلاص بالقلب منزل مع ذلك عهود اللسان بالدعاء على الشيطان
فداوى بعمل غروره فقت عنها الملكة والداعية كاصل وافق شين بلطيفه وافقه فاستقبح
واما المقصد فم تعذر على الغافل باشراك القلب في العمل وتعطل لعصان حرك اللسان
الى القلب ولكن القدرة في كلا الاضافة الى السكوت والعصوف واستر على سائل
ان سئل القلب مع اللسان في اعتاد الخير كالمالك الذي فت حياكة فركها فاضع فانا
والظالم المتعلق كالذي ركل الحاكة واصح كنا والمقصد كالذي عجز عن الكتابة فمال لاالة
الحاكة ولكن الحاكة مدموغ بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى الكاغد فان
عجزت عن الكتابة فلا ارث الحاكة ولا مالت رابعة العدوية استعفاء الحاكة على استعفاء

فلا تظن انها تزم حركة اللسان مرجحة انه ذكر الله بل تذم غفلة القلب فهو علاج الاصل
من غفلة قلبه لامن حركة لسانه فان سكت عن الاستعفار باللسان ايضا احتاج
الى استعفار من لا الى استعفار واحد فهكذا يسوق ان نهم ذم يذم وحمد يحمد والا
جهلت معنى ما قال الامام الصادق حسنات الابرار سيئات المقربين فان هذه
امور ثبتت بالاضافة فلا يسوغ ان يؤخذ من غير اضافة فيسوغ ان لا يستغفر ذنبا قط
والمعاصي ولذلك قال الامام جعفر الصادق عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى
رضاء في طاعتك فلا تحقرها انها شاهد لعبد غضبه وغضاء ولا تسه في عباده فلا تحقروا منهم احدا
فلعله ولي الله الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لمن عرف انه مريض
اعلم ان الناس فسان شاب لا صبوة له ومن اعلى المراتب واصحاب الشرف وهو الذي
قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من شاب ليست له صبوة وهذا عزيز
والقسم الثاني هو الذي لا يخلو عن تقارفه الذنوب ثم هم مقسمون الى مصرين وان تابين
وغرضنا ان نبين العلاج في حل عقدة الاصرار وتذكر الدواء فنقول اعلم ان شفاء
التوبة لا يحصل الا بالدواء ولا سبيل الى الدواء من لا يعرف علل الداء اذ لا معنى للدواء الا
مناقضة اسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حذف ذلك السبب ورفعه والمرض
ولا يطلق الشفاء الا بعد قطع الاسباب للاصرار الا الغفلة والشهوة ولا يفاد الغفلة الا العلم
ولا يفاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب الموكدة للشهوة والغفلة راس الخطايا
قال تعالى وتلك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون فلا دواء اذن للتوبة
الا معجون معين من حلاوة العلم ومرارة الصبر وكما يجمع الكحل بين حلاوة الكحل ومرارة
ومقصد كل واحد منهما غرض لتعاطي العلاج بجموعهما سمي الاسم المتجه للصواب فكذلك
ان مهم علاج الغفلة بما به مرض الاصرار فاذن لهذا الدواء اجزاء احدها العلم والثاني

الصبر فلا بد من بيانها فان قلت اسنع كل علم لكل الامراض لا بد من علم مخصوص
فاعلم ان العلوم كلها ادوية لامراض القلوب ولكن لكل مرض علم خصه كما ان
علم الطب نافع في علاج الامراض كلها ولكن لكل علم مخصوص فكذلك
داء الاصرار فلا بد له من علم مخصوص ذلك العلم على سوائر امراض القلوب اقوى في النهي
متوسل بحاجة الى تصديق ما مر في الاول ان يصدق على الجملة ان في
الصبر اسما يتوصل اليها بالاذكار على مراتبه بسبب الاسباب وهذا هو الايمان
باصل الطب فان من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويخلي على الهلاك وهذا وزانه
فيما نحن فيه الايمان باصل الشرع وهو ان للمعاد في الآخرة سببا هو الطاعة
سببا وهو المعصية وهو الايمان باصل الشرائع وهذا لا مدرج حصوله الا من يحقق ويتيقن
وكلاهما في جملة الايمان الثاني انه لا بد وان يعتقد المريض في طب معين انه عالم
بالطب جاذق فيه صادق فيما يخبر عنه لا يلبس ولا يدلس فان ايمانه باصل الطب
لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان ووزانه فيما نحن فيه العلم بصدق الرسول عليه السلام
والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا طعن البتة انه لا بد وان
يصغي الطبيب فيما يحذره من سائر العوائق والاسباب المضرة على الجملة حتى يطلب
علة الخوف في ترك الاصغاء فيكون شدة الخوف باعثة على الاصغاء ووزان هذا من
الدين الاصغاء الى الآيات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير
من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما نطق الى سبيل الى ذلك
غير شك واشتراط حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الاخير
العلاج الايمان بصنوع الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه حتى الاصغاء عن سؤاله
اولا مفصلا ما يضره وما ينفعه واحواله وما كان وما يكون وحتى لا يمل من كل بعض الاصغاء

ولا ينفع كل دواء بل لكل علة خاصة يعلم ما خص به ووزانه من الدين ان كل معصية
مهلكة لكل شهوة وان لكل سائل من كل موبق ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة
وانما حاجته الى العلم ومرتبته الى العلم ما نهاذ نوب ثم الى العلم ما نهاذ نوب فورا
في الدين ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية ما يسن منها افيده
علوم تختص بها الفقهاء الدين وهم العلماء ورثة الانبياء فالعاصي ان علم بها يطلب
العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان لا يدري ان ما به مرض وجب على العالم ان يعرفه ذلك
بان يشتغل كل عالم بافادة ولاية او محلة او بلد او مشهد يتيقن اهل ديهم ويعتبر ما يضرهم عالمهم
وما ينفعهم عالمهم ولا يسعهم ولا يسعه ان يصبر الى ان يسأله بل يجب ان يتصدى لارشاد
الناس الى منهاج ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس على جهلهم كالبهائم
في بحر يموج ويدورون على ابواب دور هي في الابتداء دور واحدا واحدا فيشاهدهم
فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا رآه يعلم انه برص
مرضه ما لم يقرأ غيره وهذا مرض عن علم العلماء كافة وعلم الاطباء كافة فان يرتبوا كل
قرية وكل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فان الخلق لا يولدون الا جهالا فلا بد
من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل والفرع فالذي ادار مرض ازليس يعطى الا مرض الا يعلم
والاعلى طبها الا سعد ومرض القلوب اكبر من مرض الابدان والعلماء اطباء والسلاطين
قوام دا ما مرضى فكل مرض لم يقبل العلاج بداواة العالم يرفع الى السلطان ليكفه بسيفه
كما يعالج الطبيب المريض الذي لا يعقل والذي عليه الجنون الى ان قال ويعتبر بالاكل
والاغذية وكيف يشرع في سائر الناس وانما مرض القلوب اكبر من مرض الابدان
ثالث علل احدها ان المريض به لا يدري انه مريض والثاني انه يعلم انه مريض ولكن
يخالف مرض البدن فان عاقبته موته شاهد تنفر الطباع منه وما بعد الموت غير شاهد فيميل

النوع الرابع ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والضرب والكبر والحسد وذلك مما لا يمكن حصره وذكر ما غلب على الوضع الدنيا فان غرضنا ان يكون العالم الطيب الخائف يتداول اقوالا بالبعض والبحث ووجوه الدلالات على العلل الباطنة ويشتغل صلاحا ملتمسا تزايل الاحوال على خبايا النفاق ليتوفر للاقتداء بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال لرجل اعدل فقال ويحك من يعدل اذا لم اعدل وقال لآخر اوصني فقال ايك ان تغضب فان ذلك هو الغي وايك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلوة مودع وايك وما تعتذر منه وقال رجل لموسى واصني اوصيك ان تكون ملكان الدنيا والآخرة فقال كيف لي بذلك قال ازهد في الدنيا فكانه علم ان قوسه في الميل الاول فحايل الغضب فيها وفي الميل الآخر فحايل الطمع فالناس وطول الامل فتقتل مجدين واسع الميل فحايل الحرص على الدنيا وقال جل لعاد اوصني فقال كن حييا اكتن لك حيا فجعلها كلمة تؤنس منه اثار الحفاظ والتحفظ والتلطف على قدر حال الميل الاول من ان يكون بحسب حال القاتل وكتب سعيد الى عائشة تعزيه عن ابيها تؤنسني من ذلك كتبت اليه من عائشة الى سعيد سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكلاه الله الى الناس ومن التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام عليك فانظر لما فقهها كيف توقف للآفة التي تكون اولا بصدورها وهو مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتب اليه رجل اخر اما بعد فاني اتقيت الله كان الناس وان اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام فاذن على كل ناجم ان يكون فاتحة مصروفة الى تؤنس الصفات الخفية فتوكل الاحوال اللاحقة لكون اشعاره بالهم فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد من

وقال آخر الوقوف العقوبة قال فارسي وقال بعض حكماء الفرس اذا نظرت الى غلام حدث السن حسن الوجه فوقعت نظرة فرأى ان الجلاء الرشد فاجتنبه فاستحيت منه فقلت ما عسى الله ان يعاقبني على هذه الصورة الحسنة وجهه الصعقة الحمراء كيف حالك للنار فقلت وما حال الموتى فقال لا تعرف حتى تموت بعد ثلاثين سنة وقال اوسكان الدار الى الاقلام عقوبة وقال لا تقوت احدا صلوة جماعة الا مذنب وقال الحر ما انكر من زمانك ما عرفت من اعمالك وقال الموت اهون من ان اذن له اصنع بالعبد اذا لم تشهوه على طاعتي ان اميته لئلا تعصاني وسئل عن الموت على اي حال يقبض فقال اذا مال نهاره كما مال ذات يوم فاصبح على حين طاولته بكرى حتى تولد منه شهوة الرجال فوصت الى الارض اسود جسدك كله واسترخت الست فلم اخرج حتى شاهدت الحاجات فصرن الى الحاجات فلا تزداد الا سوادا حتى اذا كنت بدرك غلقيت الحنة وكان قد وقر الى بعض من الرقة حالة بينه قال اما استحيت مني الله حتى استولت عليك وقد حاز شكك عرض مدى الله عليه لا اني دعوت الله لك وقت الا عنك للست الله شاهدك الان حال بحث كيف عمل ذلك وهو سنداد واما الاية واعلم انه لا تزداد العبد ذنبا الا اسود به قلبه فان كان سعيدا ظهر السواد على ظاهره لسرعة وان كان شقيا اخر عنه ذلك وسوست الناس والاسارع شره في اثبات الذنوب في الدنيا مع الفوت والمرض وغير بل يشوم الذنب في الدنيا على الجزاء ان يكتب له عدة حسنة فان اتبل شيء كان عمله ذهبي حمل الارق حتى يصاعف شقاوته وان اصابه نعوذ كان استصغارا وهو يحرم حمل الشكر حتى يضاعف على كبوته واما الطيع فيرى اطاعته ان يكون كل يوم حمد جزاء على طاعة يوفق لشكرها وكل ليلة كفارة لذنوب يوم زيادة في درجاته

النوع

والاشتغال بوعظه ما يوجب عن الوعظ فيضيع زمان فان علمت فان كان
الواعظ سكن في جمع احوال من الاحوال ما ظن بحاله ان يعظه وكلف فعل ما علمت ان
ملازمته في ذلك ان يعظ بايثار كافة الخلق في الحاجة اليه اما على العود واما على الاكتفاء
في علوم الشرع اغذية والاغذية للكافة والادوية لارباب العلل وقيل مالك
ان رجلا قال لابن سعيد الخدري اوصني قال عليك بتقوى الله وعليك بجد فانه
راس كل امر وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فانه
نور لك في الارض وذكر لك في السماء وعليك بالصمت الا من خير فانك تطرد الشيطان
وتكتسب رجل المسكين اعزوا امراته يعزك الله وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلماء
بركبتك ولاتجادلهم بقدميك وخذ من الدنيا بلاغك وافق فضول كسبك للاخرة
ولاترفض الدنيا كلها فتكون عيالا على اهلك الرجال كلا ومع هذا
لكسر شهوتك ولاتصم صوما يضر بصلاتك فان الصلوة افضل من الصوم ولا
تجالس السفهاء ولاتماظ الوجهاء وقال لقمان لابنه ايضا يا بني لاتضحك من غير عجب
ولاتمش في غير ارب ولاتسال عما لايعنيك ولاتضيع مالك وتصلح مال غيرك
فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما اخرت يا بني ان من رزح نوح ومن بعث يحيى
ومن قتل الجبار نمرود ومن حمل الشرائع ومن الاملاك اربعة جبرئيل وميكائيل
واوصى معاذ بن جبل فقال اوصيك بكل ما اوصى الخضر موسى عليهما السلام
عليه واتبعه بصلبة فاجتنبه وقال موسى عليه السلام الخضر اوصني قال كن تقيا
ولاتكن عقيا ولاتكن نماما ولاتكن ضرارا وازع عن الجاهل ولاتمش في غير حاجة
ولاتضحك من غير عجب ولاتعب الطايين بخطاياهم وابك على خطاياك وقدر بيتك
في حياتك وقال رجل لعامر الشعبي اوصني قال اجعل ادبك طاعة
الله وقدرة الله على

ووجه الحاجة اليه ان المرض ربما يطول ويضنى وله بقية وربما تتناول ذلك المائدة
عن حضرة والمائدة فلربما شهوة فلسان ما ذكرنا علاج الفضل على علاج الشهوة وقد
علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله ان المرض اذا اشتد ضر لموته
باكول مضر وطريقه ان تستوعب مظم ضرره ثم تجتنبه وتجتنب ذلك عن غيره فلا ضرر ثم تسل عن ما
يفوت منه في صورته ولا مضرة ضرره قوة الخوف على الالم الذي ناله فرب مريض لا يجد
من مرارة الدواء ما يجده لكل يعالج الشهوة الذي العاصي كان يشتهي شيئا اذا غلبته الشهوة حضر ذلك الشيء
على حفظ عينه وحفظ قلبه او حفظ جوارحه من السوء وراء شهوته فعلم ان تستوعب ضرر تلك الشهوة
المهلكة التي جاءت فيه من كتاب الله وسنة رسوله فاذا اشتد خوفه تباعد عن الاسباب
المهيجة لشهوته وهي الشهوة من خارج هو حضور الشهوة والطرق اليه وعلاجه الهرب والفرار
ومن داخل تناول الاغذية الاطوبة وعلاجه الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا تتم الا بصبر وتصبر
الآخر على خوف ولا يخاف الا على علم ولا يعلم الا على بصيرة واحكام او عن سماع وتقليد
الا وحضور مجالس الذكر ثم الاستماع عن طلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف الى السماع
ثم السكوت لتمام الفهم وصحة تصور تمام لما تعرفه واذا قوي الخوف تيسر عليه الصبر وشدت
الدواعي لطلب العلاج وتوفق الله وسهل من وراء ذلك كله فعلم ان العلم اعظم قبله وان الاصغاء
والاستماع الخوف فالمتكلم بالحق وتصديق الحق فيه بقدر الله للعبد في
من علم واستغفر وكذب بالحق فيه بقدر الله للعبد في ثم لا يعني بهذا الاشتغال من
علاج الدنيا بما لك فيه دنيا ما لا يعني الآخرة طرق الهدى والبداية الآخرة والله
فان قلت قد رجح الاكثر على الاطلاق الامان لان ترك الذنب لا يمكن الا بالخوف والصبر
لا يمكن الا بالخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم بعظم ضرر الذنوب والتصديق بوعيد
الذنوب هو تصديق الله ورسوله فهذا الامان فكل من هو اصر على الذنب اجبر الا

لا يغتر مومن فاعلم ان هذا لا يكون لعدم الامان بل يكون لضعف الايمان اذ كل من
مصدق في بان المعصية سبب البعد من الله وسبب العقاب في الآخرة لكن سبب
وقوف في الذنب امور احدها ان العقاب الموعود غير ليس بحاضر والمعجل يعمل
متاثر بالحاضر فتاثير بالموعود ضعيف بالاضافة الى تاثير بالحاضر والى ان الشهوات
الى الذنب عاجل الدنيا تاخرة ومن المال آجلة بالعين وقد تقوى ذلك بوسوسة
سلب الايمان والعياذ بالله - العادة طبيعة جامدة والنزوع عن العاجل لطول الاجل
شدة على النفس ولو لا كمال تتم للابل يختارون العاجل ويذرون الآخرة وقال بل
تؤثرون الحياة الدنيا وقد عير عن شدة الامر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة
بالكاره وحفت النار بالشهوات وقول الله تعالى ان الله خلق النار فقال لجبريل اذهب
فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لا يسمع بها احد فدخلها فحفها بالشهوات ثم
قال اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا ينجو احد الا دخلها فحفها بالكاره
ثم قال اذهب فانظر اليها فنظر اليها فقال وعزتك لقد خشيت الا يدخلها احد فاذن كون الشهوة
مرتعة في الحال وكون العقاب متاخرا الى المال سببان ظاهران في الاسراع الى فصول
اصل الايمان فليس كل من يشرب دواء مرا يعلم ان المرارة شدة عطشه بكذا ما اصل العلة والا بان
بان ذلك مضر خشية ولكن الشهوة تغلبه والصبر عنه ناجز فشهوته على الا السطوة والغالب
انه ما من مذنب يموت الا وهو في الغالب عازم على التوبة ولكن التسامح بالحسنات
وقد وعد بان ذلك يكفره الآن طول الامل غالب على الطباع فلا زال يسوف التوبة والتكفير
فرحت رجاء الموفق للتوبة ربما تقدم على الايمان والرابع انه ما من مومن الا
وهو معتقد ان الذنب لا يوجب العقوبة كما لا يمكن العفو فيها هو عند ومنتظر العفو

انكا لا على فضل الله بهذه اسباب اربعة موجبة للاصرار على الذنب معتادا اصل الانسان
هم قديم الذنب سبب ثالث يقبح في اصل الانسان وهو كونه شاكا في صدق الرسل
وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب عاصفرار الرجل وكان الموت عاجلا فقد فعل به ذلك
فكذبه او شك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر فان قلت فما علاج الانسان الجاهل
هو الفكر وذلك بان تقدر على نفسك الاول انه هو ناجز العقاب ان كان عاجلا فهو آت
وان غد الضاطر فرب وان الموت اقرب الى كل احد من شراك نعله فاجعل هذا
قدرت والمتاخر اذا وقع صار ماضيا وقد آمنت منه ابدا فان ذلك شغل الحال فخوف امر الآخرة
اذا ركب البحار وقاسى الاسفار للاجل الربح الذي يظن انه قد يحتاج اليه ثم نال المال الذي رجاه
واثره فضرر ان طلب ثم شرب الماء البارد يضره وسوقه الى الموت وكان الماء الذي
الاشياء عنده تركه مع ان الموت المحقق اذا اتى فما بعده وفارقه الدنيا لابد منها فكل شيء
الى الدنيا الى عدمه ازلا وابدا فلا كيف يدار الى ترك ملاذ وشهوات هي التي منعوه عن طلب العلم
يلتفت ان يكون قول الانسان الموت عندي دون قول بضرار ان متوعد الطب
بلا سبب تعلل به للشهداء الاقوام المطلق وكيف يكون عذاب النار اخف عندي من عذاب الدنيا
وكل يوم الآخرة عندك خمسين الف سنة من ايام الدنيا وهذا السكر يعقب بعالج اللذة الفانية
وكلفت نفسه تركها وتقول اذا انت لا اقدر على ترك لذاتي ايام الدنيا قليل
ملكت اقدر على ذلك ابدا الاباد واذا انت لا اطيق الى الصبر ملكت اطيق الى النار واذا انت
لا اصبر عن زخارف الدنيا مع كدورتها وتنغصها واتركها مضمونا بكدرها ملكت اصبر عن نعيم الآخرة
واما ضعف القوة فمعالجته بالفكر لان اكثر صياح اهل النار من القوة من لان المرء يعجز
الامر على ما ليس له وهو الفتى، فطعله لا يشق وان تعذر فلا قدرة على الترك غدا كما لا قدرة عليه
اليوم فليست شهوة الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة ليست قدرة عند

بل تضاعف ازدياد الاعتياد وقلت الشهوة التي اكدها الانسان بالعادة
اما وكدها دين هذا هلك المستورون لانهم يطيعون الفرق بين التعاطي ولا يطيقون ان
الايام مشابهة فمن ترك الشهوات فيها اياما شاق وما مثال السوف الا مثال
من احتاج الى قطع شجرة فرآها قوية لا يستطيع الا بمشقة شديدة فمال باحد يديه
اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما نبت ازداد رسوخها وهو كلما طال بقاؤه ازداد ضعفه
فلا جاءه فصل الدنيا اعظم فرجاءه اذ عجز مع قوته عن قطعها وهو ضعيف فاحد بسط العلة عليه
اذا ضعف هو ل نفسه وقوى الضعيف واما العمل الرابع وهو اسقاط بعضه عن العلة
ما سبق بحمد الله جميع امواله وترك نفسه وعياله فقرا آسفا نادما من فضل الله ان يرزقه
العشور على كنز ارض خربة فان المكان المعتاد الدنس مثل هذا الانسان وهو مثل من
وقع النهب من الظلم في بلده ونهاره اموال الناس فصعق ناره وقدر على دفنها واخفائها فمثل
وحال انظر من فضل الله ان سلط عقله على الظالم ان يهجم بالسيف على الناس في دارهم اذا
انتهى الى داري مات على باب الدار فان الموت ممكن بالعقل ممكنه وقد قطع الانسان ان
مثل ذلك وقع فاما انظاره فضل الله مثله ينتظر امر ممكن ولكنه ان عاجله الموت وطالبه
الخلق من وراء الشك بهذا كفر وعلاجه الايمان الذي قوته صدق الرسل وهذا لا يطلب
ولكن ان عالج بعلم وتبين بحجة عقلية لذة ما فاتك الا الدنيا، الموعود بالمعجزات مثل صدقه
ممكن او تقول اعلم انه محال كما اعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة
فان قال اعلم استحالة كذلك لانه آخر في معقوله وكما تقه لا وجود لمثل هذا الصفة، ان
قال الاشكال فيه محال ولو اخبر الشخص واحد مجهول عند تركك طعامك الذي اشتهيته
انه قد وقعت فيه حية والقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تاكله او تتركه والآن كان
الذي الاطوه مسموما تركه لاجل ان اقول ان كذب فلا ينقص الا هذا الطعام الذي عنه

وان كان شديدا فهو قريب ولان صدق صفوتي الله عليه وآله وسلم
الى الصبر عن الطعام واضافته شدة معاناة ما سمعان الله كنا خير صدق الانبياء
كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة العلماء والاولياء والحكماء بل جميع
العقلاء وليست اغنى لهم جهال العوام اولو الالباب عن صدق رجل واحد من
لعلماء غرضا فما بقي ليس ان العقلاء الا من صدق بالموت الآخرة وانت تجد بالعيان
واعلموا ان كنتم فان صدق واحد اشرفت على عذاب الابد الاباد وان كذبوا لا
يفوتك الا بعض شهوات هذه الدنيا الخاسة المكدرة فلا يبعد ان توقن ان العاقل
مع هذا الفكر اذا لاحت له لذة الحمار الى ابد الآباد ثم توعد بالنار ليتبطل كل الالف
سنة جبة واحدة منها لفنيت لذته ولم ينقص ابد الآباد شيئا فكيف يغتر ذو
العاقل الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لاجل سعادة من ابد الآباد ودركا لا
منتهى له وذلك قال ابو العلاء المعري قال النحو والطب كلاما لاخير الصوم قلت لكل
ان صح قولكما فلست بمجاهر اوضح قول فافخر عليكما وذلك قال على عليه السلام لبعض
من قصر عقله عن فهم معنى الامور وكان شاكا ان صح ما قلت فقد خلصنا جميعا وان
فقد خلصنا وهلكت ان العاقل يسلك طريق الاحتراز في جميع الاحوال فان طلب في
امور جليلة ولكنها لست تنال الا بالفكر فالقلوب جرت الفكر فيها واستشفته
وما علاج القلوب الا الفكر لا سيما من آمن بأصل الشرع وحصل فاعلم ان المانع
من الفكر امران احدهما ان الفكر المانع هو الفكر في عقاب الآخرة وانا هو الباعث شديدا
وحسرات العاجزين في الجنان عن النعيم المقيم وهذا فكر لذيذ مؤلم للقلب مستلذ للعقل
ويبلغه بالفكر في امور الدنيا على سبيل النوح والاستراحة والثاني ان الفكر شغل
الحال مانع من لذات الدنيا وقضاء الشهوات وما مر ان الاولى لكل عاقل ان يجاهد

ونفس من اغلبه شهوة قد تسلطت عليه واستوفته وصار عقله مسخرا لها فهو مشغول
بتدبير حيلته وصارت لذة في طلب الحيلة فيه اولى مباشرة قضاء الشهوة والتذ
بنفسه من ذلك واما عاجز عن الامتناع بعد ان يعلم ان عقوبة الله اشد فهذا تلك
في الاضطرار من الفكر في الموت وما بعده فلا يذكره مع استغراق الهموم فكيف
تصبر على تجاسارته اذا وقع فانت عاجز عن الصبر على قدر الموت وما بعده فتحالج
واما الثاني وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا فهو ان يعلم ان فوات لذات
الآخرة اشد واعظم فانها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الذهاب روي
مشوبة بالمكدرات فانها لذة صافية غير كدرة وكيف وفي التوقع للعاصي والاقدام
على الطاعة لذة ذات بهجة لا يقيم واستراحة هو فيه وطاعته وطول الانس مع الله
لكن للطبع حرا اعلى عليه الا ما جاهد من حلاوة الطاعة وروح الانس بالله حتى ان
ذلك لكان فكيف بما ضاف اليه من نعيم الآخرة نعم هذه اللذة لا تكون الا لمن ابتدا
التوبة ولكنه تعثر عليه مرة بعد مرة وقد صار الخير عندنا كالشر والشر عندنا كالخير ما
عودتها تعود والخير عادة والشر كذلك فاذن هذه الافكار هي التي توجب الخوف المهيج لشوة
الصبر في اللذات وهي هذه الافكار وعظ الوعاظ وتنبيهات مع للعلماء بأسباب
تشق لا مدخل لها تحت الحصر نعم الفكر موافقا للطبع يسهل العمل عليه ويعين السلوك الذي
اوقع الموافقة بين الطبع وبين الفكر الذي هو سعي الحر نوعا ما فالتوفيق بحالتين
بين الارادة وبين المعين الذي هو طاعة ما فعل الآخرة وقد رزق عبدا طول انه
فارغا من ما سوى الله تعالى غير المؤمن على العمل الصالح فاذا هو على الكمال
اربع دعائم على الجهل والهوى والغفلة والشك فمن جهل الحق وجهل بالباطل وجهل
ومن عرف الذكر ومن غفل عاد عن الرشد وغرته الامانى فاخذته الحيرة فالنظر

كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثاني من ربع
المنجيات من الحجة البيضاء في احياء الاحياء

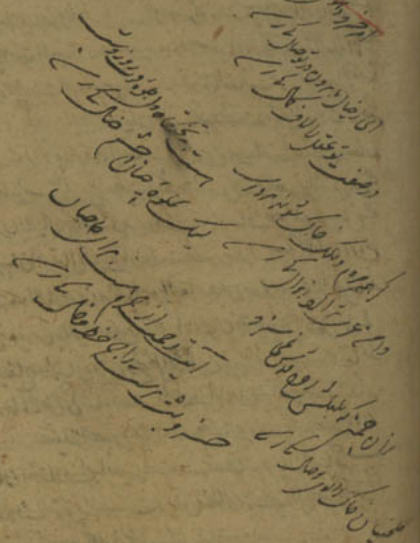

وبالله التوفيق لكن بقي ما ذكره من بعض آفات العلماء في الشكر
وهذا القدر من التوبة كاف واذا كان الصبر كنصف الايمان ودواء التوبة ظاهر من
بيان الصبر فنذكره في كتاب منفرد ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين
وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين وسلام حسبنا الله ونعم الوكيل

تم كتاب التوبة من ربع المنجيات من
الحجة البيضاء في احياء الاحياء
ويليه كتاب الصبر و
الشكر ان شاء الله
والحمد لله
م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اهل الحمد والثناء المتفرد برداء الكبرياء المتوحد بصفات المجد والعلاء المدثر
صفوة الاولياء بثمرة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلوة
على محمد سيد الانبياء وعلى اصحابه سادة الاصفياء وعلى آله التقاة البررة الاتقياء
صلوة محروسة بالدوام عن الفناء وموصولة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء
اما بعد فان الايمان ضفان نصف صبر ونصف شكر كما ورد به الاخبار
وشهدت له الآثار وهما ايضا وصفان من اوصاف الله تعالى واسمان
من اسمائه الحسنى اذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجمل بحقيقة الصبر والشكر حمل على
شطري الايمان ثم موعظة عن وصفين من اوصاف الرحمن والاسبل الى
القرب من الله تعالى الا بالايمان ولست تصور سلوك سبيل الايمان دون
معرفة بابه الايمان ومن به الايمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد
عن معرفة من به الايمان وعن ادراك ما به الايمان فالجميع كلي الشطرين الى
الايضاح والبيان ونحن نوضح كل الشطرين في كتاب واحد لارتباط
احدهما بالاخر ان شاء الله الشطر الاول في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان
وبيان اختلاف اساميه باختلاف متعلقاته وبيان اقسامه بحسب
اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة الى الصبر والاستعانة
عليه فهي سبعة فصول تشتمل على مقاصده بيان فضيلة الصبر
قد وصف الله سبحانه الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القرآن في مواضع
وضعوا واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة لاعمال
عزمن قائل وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة

مجلس شورای ملی

ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال ونجزين الذين صبروا اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون وقال اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فامن قربة الا واجرها بمقدير وحساب
الا الصبر والاصل كون الصوم منه الصبر فانه نصف الصبر قال تعالى الصوم لي
وانا اجزي به فاضافه الى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين
بانه معهم فقال واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق النصرة على الصبر فقال
بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملئكة
مسومين وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة
للصابرين والمستفتحا بجميع الآيات في مقام الصبر طول واما الاخبار
فقد قال صلى الله عليه وآله الصبر نصف الايمان على ما سياتي وصرح بانه نصف
وقال صلى الله عليه وآله من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي
حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبر واحدى مثل ما
انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم وكفى بالمرء
ان يستنجح عليكم الذنب بعدي فيكم بعضكم بعضا وشكر كم اهل السماء عند كم
لمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ ما عندكم ينفد وما عند الله
باق ولنجزين الذين صبروا الآية وورد حاد ان سئل صلى الله عليه وآله عن
الايمان فقال الصبر والسماحة وقال ايضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة
ما الايمان فقال الصبر وهذا شبيه بقوله الحج عرفة وقال ايضا افضل الاعمال
اكرهت عليه النفوس وقيل او حى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق
باخلاق واني من اخلاقي انا الصبور وفي حديث عطاء عن ابن عباس
لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على الانصار فقال مؤمنون انتم فسكتوا

مضرة لموفه الانسان كالمرض المانع له شلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر
الى قدرة وقوة يدفع بها في بحر الشهوات فيجاهد بها سلك القوة حتى تقطع عدو
عن نفسه فوكل الله به ملكا اخر يسيده ويرده ويقويه بجنود لم تروها وامر هذا
الجند بقتال جنود الشهوة فبشارة تضعف هذا الجند بقتال جنود الشهوة وتاره
تقوى فذلك بحسب امداد الله عبده بالتائيد كما ان نور الهداية ايضا يختلف
في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم
في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث
الهوى ولسمهم ان القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب
بينهم سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة
الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء
الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فلا تثبت
حتى تقهره واستمرار مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين
وان تخاذل وضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين
فاذا ترك الافعال الشنيعة على شرفها حال يسمى الصبر وموجبات
باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال شرة الموفه
بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات في الدنيا والاخرة فاذا
قوى تيقنه اعني الموفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا
لطريق السعادة وثبات باعث الدين واذا قوى ثباته تبعت الافعال على ظاهر
ما يقتضيه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث
الشهوة بقوة الموفة والايمان بقبح سعتة الشهوات وسوء عاقبتها وهذا ان
للملكان هما الملكان المتكفلان بهذين الجندين باذن الله تعالى وتسخيره اياهما من الكرام
الكاتبين وهما الموكلان بكل شخص من الآدميين واذ عرفت ان ربه الملك

الهادي الى على من رتبة الملك المتوسل الخفف عليكما ان جانب اليمين الذي هو اشرف
الجانبين من حقيق الدست ينبغي ان يكون مستلما لهذا فاذا صاحب اليمين
والاخر صاحب الشمال والعبد مطرد ان الفعل في الخير وفي الشر وفي الاشراك
والمجاهدة فهو بالفعل معرض عن صاحب اليمين ومسيئ اليه فكتب اعراضه
سيئة وبالفكر يقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو يحسن فكتب له حسنة
وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تاركا للاستبداد منه فهو
مسيئ اليه فتكتب عليه سيئة وبالمجاهدة مستدرس جنوده فتثبت له حسنة
وتاثيث هذه الحسنات والسيئات باثباتها هاهنا ملك سيأتي ذكره الا الكاتبين
الا الكرام فلا تنفاع العبد بكونهما والان الملائكة كلهم كرام برره واما الكاتبون
فالاثبات لهما الحسنات والسيئات وانما الكتبان في صحائف مطوية في ستر القلب
ومطوية بين سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانها وكتبتها وحفظها
وصحائفها وحملها ما تعلق بهما من عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة
وشئ من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف
المطوية عشر مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى ولعني
بالقيامة الصغرى حال الموت اذ قال صلى الله عليه وآله من مات فقد قامت
قيامته وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعند ما يقال لقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
واما القيامة الكبرى الجامعة للخلائق لا يكون وحده بل ربما يجاب
على ملا من الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار
زمرا الاحادا والقول الاول هو حول القيامة الصغرى وجميع احوال النشأة
الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان ارضك
الخاصة بك تزلزل في الموت فانك تعلم ان الزلزلة اذا تراءت بلدة

افلا تتبكي القيامة الصغرى او اسمعت قول سيد الانبياء كفى بالموت واعظا
او اسمعت بكرة صلى الله عليه وآله الكافي وقت الموت حتى قال موتوا على ملة محمد
الموت وما استحى من استطاعته بجرم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين
لا يتطرقون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية
ولا الى اهلهم يرجعون فيا تهم للمرض نذير امر الموت فلا ينزجرون ويا تيهم
الشيب رسولا منه فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا
كانوا به يستهزؤن افيظنون انهم في الدنيا خالدون او لم يروا كم اهلكنا قبلهم
من القرون انهم اليهم لا يرجعون ام يحسبون ان الموتى سافروا من عندهم
فهم معدودون كلا ان كل ما هو آت لدنيا محضرون ولكن ما تانيهم من آية من
آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين وذلك لانا جهلنا من باب اليه يستدلون
خاتمهم سدانا فحسبنا هم نهم لا يبصرون وسواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون وتنزجر الى الغرض فان هذه تلويحات تشير الامور راسا على علوم
المعاملة فنقول تذكر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في
مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصية الادميين لما وكل بهم
من الكرام الكاتبين فلا يكتبان من شامل الصبيان والمجانين اذ ذكرنا
ان الحسنة في الاتي فعلى الاستفادة منها والسيئة في الاعراض عنها والصبي
والمجنون سبيل الله الاستفادة فلا تصور منهما اقبال واعراض وما لا يكتب
الا الاقبال والاعراض ولعني بنظر مبادي اشراق نور الهداية عند من التميز
ونعني بالتدريج الى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح الى ان يطلع قرن الشمس في
كل بداية قاصرة لا ترشد الى مضار الاخرة بل الى مضار الدنيا فلذلك
يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب في الاخرة ولا يكتب عليه من
الصحائف ما تنشر في الاخرة بل على التقدير العدل والوجه البر الشفيق ان لا يكلف

الابرار وكان على سمت الكرام البررة الاخيار ان يكتب على الصبي حسنته وسيئته
على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتوبيخ ثم يعذبه عليه
بالضرب فكل ولد هذا سته في حق الصبي فقد ورث اخلاق الملائكة واستحقها
في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة المكرمون
مع البنين والمقربين من الصديقين واليه الاشارة بقوله عليه السلام كما قال
البتيم كما تهين يهن

بيان كون الصبر نصف الايمان

اعلم ان الايمان
تارة يخص في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين وتارة يخص بالاعمال الصادرة
منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللعارف ابواب وللاعمال ابواب وللاشتمال
لفظ الايمان على جميعها كان الايمان تسعة وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات
ذكرناه في كتاب قواعد العقايد من ربع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان
باعتبار رابع معنى من اطلاقات احدهما ان يطلق على التصديقات والاعمال
جميعا فتكون الايمان ركنان احدهما اليقين والاخر الصبر والمراد باليقين المعارف
التي حاصلة بهداية الله عبده الى اصول الدين والمراد بالصبر العمل المقتضي
لليقين اذ اليقين يوقفه ان المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك
المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في
قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا
جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما فقال من اتاه اويتم اليتيم وغرته
الصبر الحديث الى اخره الغرر اركك ان يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال
على المعارف وعند ذلك فتنقسم جميع ملاقيه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والاخرة
او يضره فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حالان الصبر وبالاضافة الى ما ينفعه حالان الشكر
فيكون الشكر احد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما كان التقى احد الشطرين
بالاعتبار الاول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه الايمان نصفان نصف

صدق ان بنى قد زالت ارضهم وان لم تزل البلاد المحيطة بها بل لو زال مكن
الانسان وداره فقد حصلت الزلزلة لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع
الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فحينئذ من الزلزلة قد تؤمن
من غير نقصان واعلم ان ارضك التى تحلق من التراب وحطك الخاص
من التراب بدنك فقط فما بدن غيرك فليس يحطك والارض التى انت
جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان انما تخاف من تزلزلها ان
تتزلزل بدنك بسببه والا فانها لا تزال وانت لا تخشاه اذ ليس تزال
به بدنك فحطك من زلزلة الارض تخلها زلزلة بدنك فقط فانه ارضك وترابك
انخاص بك وعظامك جبالك ارضك وباسك سماء ارضك وفكك شمس ارضك
وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومغيض الهوى غير بدنك
بحار ارضك وشعور بدنك نبات ارضك فلا تظن ان شجار ارضك وفلك
شمس ارضك وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم وهكذا الى جميع اجزائك
فاذا انت تالموت اركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها فاذا انفصل
العظام من اللحوم فقد حلت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا ارتفع العظام
فقد نسفت الجبال نسفا فاذا اظلم فلك عند الموت فقد كورت الشمس وكدرا
فاذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا
فاذا انشقق داعك فقد انشقت السما انشقاقا فاذا انفجر من هول الموت
عرقا جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت ساقك بساقك بالقوى
وبها مطيتك فقد عطلت العشار تعطيلا فاذا فارق الروح الجسد
فقد حملت الارض اثقالها وتخلت عما فيها وتخلت ولست اطول بموازنة
جميع الاحوال والاهوال وكلى اقول بحر الموت تهوم عليك هذه القيامة
والا فقد فاتتك من القيامة الكبرى شئ ما يحطك بل ما يحط غيرك فان نجا الكواكب

فى حق غيرك ما ذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التى بها تنتفع بالكواكب والاعمى
يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانه قد كسفت
حقه دفعة واحدة وهى حسته منها فلا انجلاء بعد ذلك حسته غيره ومن
انشق رأسه فقد انشقت سماؤه اذ السما عبارة عما على جهة الراس
فمن لا راس له فمن ليس يفجه بناء السماء لغيره وهذه هى القيامة الصغرى
والخسف بعد السفل والقتل بعد الجرح وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى
وارتفع الخصوص وطلت السهلات والارض ونسفت الجبال فتلك القيامة
ولعل ان هذه الصغرى وان طولنا فى وصفها فانا لم نذكر عشر اوصافها
فهى بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى
فان للانسان ولادتين احدهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع
الارحام وهو الرحم فى قرار مكين الى قدر معلوم ولزمن مسكور الى الحمال
منازل واطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغير ذلك ان يخرج من ضيق
الرحم الى فضاء العالم فتشبه عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى
كتشبه فضاء العالم الى سعته فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذى تقدر على العبد
بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا الى فضاء الرحم بل اوسع واعظم
فمن الاخرة بالاولى فاخطئكم ولا بعشر الا كنفس واحدة وما الشاة الثانية
الا عظم فاس الشاة الاولى بل اعداد الشات ليست محصورة فى اشارة ذو
اليه الاشارة بقوله تعالى ونشئكم فيما لا تعلمون فالمقامة بلقمتان من
بعالم الغيب والشهادة وموتن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى
دون الكبرى ناظر بالعين العور الى احد العالمين وذلك من الجهل والضلال
والافتقار بالاعور الدجال فما اعظم غفلتك يا مسكين وكظما ذلك المسكين
وبين يديك هذه الاهوال فان كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال

صبر ونصف شكر وقد يرفع ايضا الى رسول الله صلى الله عليه وآله بل ما كان الصبر صبرا عن بواعث الهوى بثبات بواعث الدين وكان باعثا للهوى من باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب والشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب عن المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان الصبر صبر عن داعي الشهوة وداعي الغضب جميعا فكمل الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان فكذا تفاوتت ان بهم بتقديرات الشرع لحدود الاعمال والاصول ولنسبتها الى الايمان والاصل فيه ان ثمرة كثيرة ابواب الايمان وان اسم الايمان يطلق على مجموعه

بيان الاسامي التي تنطلق للصبر بالاضافة الى ما عنه الصبر

اعلم ان الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل الشاق بالبدن والثبات عليه وسهولة بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة اما من العبادات او من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم واخراجات المال بلية وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع وكمل المحمود اتمام هو الضرب الاخر وهو الصبر النفسي عن شهيات الطبع ومستقبحات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان على احتمال مكروه اختلفت اسامية عند الناس باختلاف المكروه الذي عليه الصبر فان كان من مصيبة اقتصر على اسم الصبر وضده خالة يسير الجزع والملع وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وضده خالة البطر وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة وضده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما وضده التذمر وان كان في ناسبة من نوائب الزمان سمي سعة الصدر وضده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمانا وسر صاحبه وان كان بفضول العيش سمي زهدا وضده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة وضده الشره فاكثر اخلاق الانسان داخل في الصبر فلذلك ما سئل عليه الصلاة والسلام عن الايمان قال هو الصبر لانه اكثر اعماله واغلبها كما قال الحج عرفة وقد جمع الله تعالى اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى والصابرين في البأساء الى قوله والضراء الى الفقر وحين البأس اي المحاربة اولئك الذين صدقوا اولئك هم المتقون فاذا عرفت اقسام الصبر باختلاف متعلقاتها وعرفت بلغة المعاني من الاسامي يتبين ان هذه الاحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث دلت الاسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم ويتيقظ لسر الله بلحظ المعاني لا في قطع على حقائقها ثم بلاحظ الاسامي فانها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا يدوان يزل والى الوقوف الاشارة بقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي انما يخشى الله من عباده العلماء الذين يعرفون الاشياء على ما هي عليه وهذا هي الذي هو صراط مستقيم قال الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا لعمى بصائرهم

بيان انقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف

اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى لا شك ان احدهما ان يتهيأ داعي الهوى فلا يمكن لمؤمن مباشرته ويتوصل اليه بدوام الصبر وضده هذا قتال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاولون فلا حزن هم الصدقون المؤمنون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطاعت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين ورأيا هم ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية

الحالة الثانية

ان تغلب داعي الهوى ويستولي بالكلية منازعة باعث الدين فيستسلم نفسه الى جند الشيطان ولا يجاهد لياسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الاخسرون وهم الذين استرقهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فتحكموا اعداء الله في قلوبهم التي هي سترس الله ورأس امور الله والهيم الله بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فاعرض عن قول من ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة اعلاها التباس والتمويه وادناها الغرور بالاماني وهو غاية الجهل كما قال صلى الله عليه وآله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست اطمع فيها او لعلي سأتوب ولكن قال ان امنه مغرور سخيف رديء فلا حاجة به الى توبتي وهذا المسكين قد صار عبدا رقيقا لشهوته فلا يستقل عند الاماني استنباط دقائق الحيل التي بها تتوصل الى قضاء شهواته فقد صار عبدا رقيقا يدير شهواته كسلم اسير فايدي الكفار فهم يستخدونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها وهذا عند الله اعظم من يتهم مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم لان فاحش خباثته سببه انه سخر ما كان حقه ان يستسخر وتسلط على حقه ان يتسلط عليه وانما يستحق المسلم ان يكون متسلطا على الخنازير من صوفة الدين وانما يستحق الكافر ان يكون متسلطا عليه فيه من اخلاق الدنيا وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه اوجب من حق غيره عليه فهذا سحر الخلق الشريف الذي هو من خواص انبيائه وجند الملائكة المقربين الذين

هم من حزب الشياطين المبعدين عن الله كان كمن ارق مسلما الى الكفار فيبيعه كمن قصد الملك المنعم عليه فاخذ عز اولاده وسلمهم الى بعض اعدائه فانظر كيف يملك كوانه لنعمته واستجابه بنقمته لان الهوى بغض الله عز وجل في الارض عند الله والعقل اعز موجود يطوى في الارض

الحالة الثالثة ان تكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا حال المجاهدين بعد لاس الظافرين واهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم فهذا باعتبار القوة والضعف وتطرق اليه ايضا ثلثة احوال باعتبار عدد ما صبر عنه فانه اما ان تغلب جميع الشهوات اولا تغلب شيئا منها او تغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض اولى والله اعلم

للحالة الرابعة مع الشهوات مطلقا يشتهون بالافهام بل هم اضل اذ البهيمة لم خلق لها المعرفة والقدرة التي بها يجاهد مقتضى الشهوات وهذا خلق له وعطله لهوانه الناقص حتى المدبر بقتا ولذلك قيل ولم ار في عيوب الناس كنقص القادرين على التمام

وينقسم الصبر ايضا باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد وليس كذلك قصيرا والى ما يكون من غير شدة تعب بل بتحمل ما في تحامل على النفس ويحصل ذلك بنور الصبر واذا دام التقوى وقوي التصديق بالعاقبة من الجنة تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على عنين فان الرجل القوي تقدر على ان يصرع الضعيف اذا في حلة واليه قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته اعياء ولا تغلب ولا تضطرب في نفسه والمنتهي والاقوى على ان يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهد وعرق حين لكذا تكون المصارعة

بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود
الشياطين وهما اذ غلبت الشهوات والتعف وتسلط باعث الدين
واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة اورث ذلك مقام الرضا كما سياتي
في كتاب الرضا فالرضا اعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وآله اعبد الله
على الرضا فان لم تستطع فبالصبر على ما تكره خير كثير وقال بعض العارفين اهل
الصبر على ثلاث مقامات اولها ترك الشكوى وهذه درجة الناسين والثاني
الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه
درجة الصديقين وسبق في كتاب المحبة ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضا
كما ان مقام الرضا اعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر
خاص وهو الصبر على المصايب والبلايا واعلم ان الصبر انقسم
باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض
وعلى المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كمن قطع يده او ولده
وهو يصبر عليه ساكتا كمن تصدر جريمة بشهوة محظورة فمنع عنها فيصبر
عن اظهار الغيظ وسكت على ما جرى على اهله فهذا الصبر محرم والصبر
المكروه هو الصبر على اذى يناله بحكم مروءته في الشرع فلكن الشرع
يحكم الصبر فكذلك الصبر يضعف الايمان لا ينفي ان يحتمل ايمانه جميع
محمود بل الاولى انواع من الصبر مخصوصة بشرط بيان مظان الحاجة
الى الصبر وان العبد لا يستغني عنه في حال من الاحوال

اعلم ان جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة الدنيا لا يخلو من نوعين احدهما هو الذي يوافق
هواه والآخر هو الذي لا يوافقه ويكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد
منهما وهو في جميع الاحوال لا يخلو عن احد هذين النوعين او كلاهما فاذا
استغنى قط عن الصبر النوع الاول ما يوافق الهوى والصحة والسلامة

والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ
الدنيا والحوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه من الانكباب
والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة لها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان
فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء صبر عليه
المؤمن والعوافي لا صبر عليها الا صديق وقال سهل الصبر على العافية
اشد من الصبر على البلاء ولما فتحت اموال الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا
بنعمة الضراء فصبرنا وابتلينا بنعمة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله
تعالى عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال يا ايها الذين امنوا ان من
ازواجكم واولادكم عدوا لكم وقال صلى الله عليه وآله ولد مجبنة مبخلة محزنة وما نظن لاحد
ثوبا احسن من ثوب الصبر ترك عن النبي صلى الله عليه وسلم واحتضنه ثم قال صدق الله انما اموالكم
واولادكم فتنة اني لاراني ابني يتقلب الملك نفسي ان آخذه في ذلك
عبرة لاولي الابصار فالرجل كل الرجل من صبر على العافية ومعنى الصبر عليها
ان لا يركن اليها ويعلم ان ذلك مستودع عنده وعسى سترجع على القرب
وان لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا يهمك في التنعم واللذة وتناول الطيبات واللعب
وان يرعى حقوق الله في ماله بالانفاق ورفع ما يجب منه بذل المعونة للخلق وقول
لسانه بذل الصدق وكذلك في سائر ما انعم عليه وهذا الصبر متصل الشكر
فلا تتم الا بالقيام بحق الشكر كما سياتي وانما كان الصبر على السراء اشد
لانه مغرور بالقدرة ومن المعصية ان لا تقدر والصبر على الحاضر والقصد
اذا تولا عنك ايسر من الصبر على فقدك نفسك وحاجتك تعيشك
والجايع عند غيبة الطعام اقدر على الصبر منه اذا حضرة الاطعمة الطيبة
اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء النوع الثاني

ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلوا اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات
والمعاصي او لا يرتبط باختياره كالمصايب والنوايب او لا يرتبط اولا باختياره
ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهذه
اقسام القسم الاول مما يرتبط باختياره وهو سايرافعاله التي توصف
بكونها طاعة او معصية وهاهنا ضربان الضرب الاول الطاعة العبد
تحتاج الى الصبر فالصبر على الطاعة شديد لان النفس طبعها متغير
عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما نفس
الاوهي مضرة اظهر ما تكون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون لعنه
له مجالا وتسولا فاظهر اذ استخف قومه فاطاعوه وباس واحد الاوهو
يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت امره وطاعته
وان كان مختفيا لاظهاره فان امتاحضه وغيظه عند تقصيرهم في
خدمته واستبعاده وذلك ليس لصدر الامن اضطرار الكبر ونازعته
الربوبية وداء الكبر يافاذن الصلوة شاقة على النفس مطلقا ثم
من العبادات ما هو شديد الكسل كالصلوة ومنها ما هو شديد البخل
كالزكاة ومنها ما هو شديد لسببها جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة
صبر على الشدايد يحتاج المطيع الى الصبر على طاعته في ثلثة احوال الاولى
قبل الطاعة وذلك لتصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوايب الرياء
ودواعي الافات وعند العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من اشد الضروب
عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وافات الرياء ومكايد النفس
وقد نبه عليه صلوات الله عليه وآله اذ قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل
امرئ ما نوى وقال استقاموا ولما امروا الا يعبدوا الله مخلصين
له الدين وبهذا المعنى قدم الله الصبر على العمل فقال الا الذين صبروا

وعلوا الصالحات اي الحالة الثانية حالة العمل كما لا تنفصل عن الحالة الاولى
عليه ولا يتحاسل عن تحصيل آدابه وسننه ويدوم على شرطه الا ويلي
الاخر فيلازم الصبر عن دواعي القصور والفتور وقد ايضا من شدايد الصبر
ولعل المراد من قوله تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا الى الصبر والى الكل
العمل اي الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل اذ تحتاج الى الصبر عن افشاءه
والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن التطرب بعين العجب وعن كل
ما يبطل عمله ويحبط اثره كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والاذى فقد ابطل عمله والطاعات
تنقسم الى فرض ونفل وهو يحتاج الى الصبر عليها جميعا وقد جمعها الله
تعالى في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية
وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر الضرب الثاني المعاصي فما
احوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله انواع المعاصي في قوله ونهى
عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال صلى الله عليه وآله المهاجر من هجر
السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي تنقضي بالعمر وانشد
انواع الصبر عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مالوفة
بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضاف الى الشهوة
ظاهر جند من جنود الشيطان على جند من الله تعالى فالقول باعث
الدين على قمعها ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه اثقل
على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والفحش
والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزاح المؤذي للقلوب و
ضروب الكلمات التي تقصد بها الازراء والاستهزاء وذكر الموتى بالقبح
فيهم نزل على علومهم وسيرهم ومناصبهم فان ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه

ولا تبطلوا اعمالكم وكما

فالعدل هو الفرض والاحسان
هو النفل وايتاء ذي القربى

صه

المؤذي

كلهم قد زار القبر وروى جابر انه عليه السلم قال رايتني دخلت الجنة فاذا انا بالرميصا امراة ابي طلحة وقد قيل الصبر الجميل هو الذي لا يلوى على صاحبه المصيبة او شبه عيزة والاكثر هو حد الصابرين توجع القلب والافيضان العين بالدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا ينافي الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابرهيم ولد النبي صلى الله عليه وآله وعليه السلم فاضت عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء وذلك ايضا لا يخرج من مقام الرضا فالمقدم على القصد والجاهم راض به وهو متالم لسببه الاحم وقد تقدم عنه اذا عظم الهم وسياتي ذلك في كتاب الرضا ان شاء الله وكتب ابن ابي الخير الى بعض اخلطائه كتابا ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذه من عظم حق الله تعالى عنده فيما ابقاه واعلم ان الماضي فكلك هو والباقي لك والبائد بعدك هو الماجور فيك واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعم عليهم فيما خولوا فيه فاذا تنهادفع الكل اليه بالتفكر في فضل الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين فمن كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة فقد ظهر لك بهذه التنبيهات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كف الشهوات كلها واعزل وحده فلا استغنى عن الصبر على الوارد ولا انفراد ظاهرا ومن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن فاكثر جولان الخاطر انما يكون ان فاتت لا تدارك له انزل مستقبلا لا مدوان حصل منه ما هو مقدر هو كسب فكان تضييع زمان والة العبد قلبه ربما عشى فاذا غفل القلب شمل الجد

عن ذكر يستعيذ به الشيطان او عن فكر يستعيذ معرفة بالله يستعيذ بالمعرفة بحقيه فهو معقول هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات متصورا عليه والا فكذلك غالبا بل منكر شدة وجوه الحيل لقضاء الشهوات اذ لا تزال تنازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع حركاته او صنع به انه ينازعه ويخالف غرضه بظهور امارة له منه بل يتقوا ويتحاشى من اخلص الناس وصحبهم حتى اهله وولده وتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية تهديدهم وجرائم عاستقلوا به من مخالفته ولا يزال في تشغل في ايام فلشيطان حينذ بطيء وجد يسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الشيطان وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبعه السكون والنار طبعها الحركة فلا تصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطيش عن حركته ساجدا لما خلق من الطين فابى واستكبر واستعصى وعتر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذا حيث لم يسجد الملعون لابينا آدم صلوات الله عليه فلا ينبغي ان يطمع في سجوده لاولاده وهيهات من القلب الوسواسه وخدوانه وطيرانه وخوالنه فقد اظهر انقياده واذعانه وانقياده لا لاذعان بجوده بل لروح السجود وانما وضع الجبهة على الارض قالبه وعلامته الدالة بالاصطلاح عليه وانه جعل من وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانبطاح بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدعي صدق المحب من الجوارح وقال الروح من الروح والقلب عن اللب فمتى من مقيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وحقق ان الشيطان من المتطرس فلا تزال تضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين

الطيار والشهوة عا

الا ان تصبح وهو معك تما واحدا فيشتغل قلبك بالله وحده فلا يخلو الملوك
مجالا اليك فعند ذلك تكون من عباده المخلصين الداخلين الا بشيء
عن سلطنة هذا اللعين ولا تظن انه يخلو عنه وقت فارغ بل الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيطانه بمثل الهواء القديم فلك ان ترى
ان يخلو القدح عن الهواء عن ان تشغله بالماء لغيره فقد طبعت على
غير مطمع على بعد ربما يخلو من الماء وخلو فيه الهواء لا محالة كذلك القلب المشغول
بفكر مهم قل ان يخلو من جولان الشيطان والا فمن غفل عن الله ولو لحظة
فليس في كل لحظة قرين الا الشيطان ولذلك قال تعالى ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال صلى الله عليه وآله ان الله يبغض
الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن كل شغل باطنه بباطل
يستغني به على دينه كان ظاهره فارغا وباطنه قابلا يعشش فيه
الشيطان ويبيض ويفرخ ثم يزدوج اذا طنهم ويبيض مرة اخرى وهكذا
تتوالد نسل الشيطان فتوالد السريع من توالد سائر الحيوانات لان
طبعه مستمد من النار وان واحد الحيات اليابسة كثيرة توالده فلا تزال تتوالد النار
ولا تنقطع البتة بل يسري شيء فشيء فالشهوة في نفس الشاب
للشيطان كالحطب اليابسة للنار وكالابل للنار اذا لم يبق لها قوت
وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم تكن شهوة فاذا اذا تاملت
علمت ان اعدى عدو لك شهواتك وهي صفة نفسك التي وذلك قال الحكيم
من تصور الخلاء حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف فقال ما هو قال
تتساند لم تشغلها شغلت فاذا حبست الصبر وكان الصبر من كل الكف
مذمومة وحركة الباطن اولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دايم لا ينقطع الا الموت

بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه اعلم

ان الذي انزل الداء انزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وان كان شاقا او
مستثقا فتحصيله ممكن بمجرد العلم والعمل فالعلم والعمل بها الاخلاط التي
منها تركب الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر
وعمل آخر وكما ان اقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منها مختلفة
واذا اختلفت العلل اختلف العلاج اذ يعني العلاج مضاد العلة
وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة
فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة الوقاع مثلا فقد غلبت عليه
بحيث ليس يملك معها صبرا وهو ملك مرضه ولكن ليس يملك عنه او ملك
عينه ولكن ليس يملك قلبه وعنه اذا لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوة
ويصرفه ذلك عن المواظبة على الفكر والذكر والاعمال الصالحة فنقول قد بينا
ان الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل منهما
اردنا ان نغلب احدهما الآخر فلا طريق لنا فيه الا التقوية من اردنا ان
تكون اليد العليا وتضعيف الآخر فلنر فيما نحن فيه التقوية باعث الدين والتضعيف
باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلثة امور احدها ان تنظر الى اذى قرنه بها
الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا يدرك
قطعها بالصوم الدايم مع الاقتصاد عند الافطار على طعام قليل في نفسه
ضعيف في جنسه فيجتنب عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة والثاني
قطع اسبابه المهيجة له الى الخيال فانه يهيج بالنظر الى اوطان الشهوة اذ النظر
يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل الغرض والاحتراز عن مظان
وقوع البصر على الصور المشتهاة والثالث ان يعالج نفسه بالكلية قال رسول الله صلى
الله عليه وآله النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهذا سهم يسدده الملعون
والترس لمنع منه الاقتراض الاجتناب او الهرب من صوب رميه فانه

فاما باعث الشهوة

واذاه من انسان وطغيان من مخالط اذا لا يستغني عن مخالطته بعينه في
بعض اسباب المعيشة هذا احد الانواع الشاغلة واما النوع الآخر وهو
ضروري اشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب المعاش
فان تهيئة ذلك ايضا يجر الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا تخلو عن
شغل طلب من تولاه وكلي بعد تولاه غيره فلا تخلو عن قطع العلائق كلها
يسلم الا قليل الاوقات ان لم تهتم به غاية وفي القليل من تلك الاوقات تصفو
القلب وتستنير الفكر وتكشف فيه من اسرار الله في ملكوت السموات
والارض بالقدر على شهر وشهرين زمان طويل لو كان مشغول القلب
بالعلائق والاشغال الى هذا هو اقصى المقامات التي يمكن ان تنال في الكشف
والمجاهدة فما تقدير ما ينكشف وينال في مدارس لطف الله في الاحوال
والاعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو سبب الرزق فقد قيل الصيد
وكل الصيد وقد يطول الصيد وقتل الحظ والمعول وراء هذا الاجتهاد
على جذبة من جذبات الرحمن فانها توازي اعمال الثقلين وليس ذلك اختيار
العبد نعم اختيار العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه
جواذب الدنيا فان الجذوب الى اسفل السافلين لا يجذب الى الله
عليين وكل مهموم بالدنيا فهو مجذوب اليها فقطع العلائق الجاذبة هو المراد
بقوله عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك
لان تلك النفحات واجذبات لها اسباب سماوية اذ قال تعالى وفي السماء
رزقكم وما توعدون وهذا اعلى من انواع الرزق والامور السماوية غالبة عن
فلا ادري متى ييسر الله اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار
لنزول الرحمة وطلوع الكتاب اجلهم كما ان بصلح الارض وتفتيشها عن الحشيش
وبعث البذور فيها وكل ذلك لا ينفع الا بطر ولا ادري متى قدر الله اسباب

الطر الا انه شق بفصل الله انه لا تخلو سنة عن مطر فكذلك قلما يخلو سنة وشهر
ويوم عن جذبة من جذبات نفحة من النفحات فينبغي ان تكون العبد
قد طهر القلب عن حشيش الشهوات ومذر فيه بذر الارادة والاخلاص
وعرضه لهبات رياح الرحمة وكما تقوى انتظار الامطار في اوقات الربيع
وعند ظهور الغيم فتقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند
اجتماع الهم وتضاعف القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وايام رمضان
فان الهمم والانفاس اسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته حتى
يستدر بها الامطار في اوقات الاستسقاء وهي لاستنزار امطار الملكوت
ولطائف المعارف من خزائن الملكوت اشد مناسبة منها لاستدرار
قطرات الماء واستحدار الغيوم من اقطار الجبال والبحار بل الاحوال
والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانت مشغول عنها بعلائقك
وشهواتك فحضارك كحجابك وبينها فلا تحتاج الا الى ان تكشر الشق
ويرفع الحجاب فيشرق انوار المعارف من باطن القلب وظاهره
الارض بحفر القنى اسهل واقرب من استنزال الماء اليها من
مكان بعيد منخفض عنها وكونه حاضر القلب ومنها بالشغل عنه
سد الله جميع مجاري الايمان تذكرا فقال ولتذكروا ولوا الالباب وقال
والقديتنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج الصدع عن الرسائل
والشواغل وهو اعلى درجات الصبر وانما الصدع عن العلائق كلها متقدم
على الصدع عن الخواطر فان الجديد خير له من الدنيا الى الآخر يسهل على
المرء وجوان الخلق ان خلق شديد والذي نفس الله صعب
شديد والصدع ابدا شديد فكذلك الصدع عن شواغل القلب لم شدة
جوان الخلق واشتد العلائق على النفس علقة الخلق وحب الحياة فان

فاكثر الناس من هذا السبب من قوس الصبر فاذا انقلبت من الصبر الى الصبك سهم
الثالث تسلية النفس المباح من الجنس الذي يشتهيه وذلك النكاح فان
كل ما تشتهيه الطبيعة في المباحات ما يغني عن المحظورات منه وهو العلاج
الانفع في حق الاكثرين فان قطع الغذا يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا
تسمح الشهوة في حق اكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وآله عليكم بالباه
فمن استطاع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلثة اسباب فالعلاج
الاول وهو قطع الطعام عنها هي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب
الضاري لضعف منشط قوته وذلك ايضا هي تعذيب اللحم من الكلب والقضب
الشديد من البهيمة حتى لا تحرك برا طنها لسبب شدتها وان ثالث ايضا هي تسمين
البهيمة بقليل الميل اليه طبعها حتى يسهل عليها قهر القوة بالصبر على القليل
قوتها باعث الدين فانا نكون بطريق من احد هما في اطاعته في مواعيد المجاهدة وقهر انا
في الدين والدنيا وذلك مال كثير مذكور في الاخبار الواردة في فضل الصبر وما
حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الآثار ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر منها
فات وزنه بسبب ذلك ضعف مثلا بالمصيبة اذ فاته بالموت صحة الابدان
وحصل له بقاء بعد موته ابد الدهر وبين اسلم خسيسا في نفيس فلا يغبن ان يخسر
لموات الخسيس مع المحال وذهاب المعارف وهو منع الايمان وقوة يضعف
قوة الشهوة فان قوى قوى باعث الدين وهيج تهييجا شديدا وان ضعف ضعف
وانا قوة الايمان يعتبر عنها بالتقين وهو المحرك لعزم الصبر واقل ما في الناس
التقين وعزم الصبر واكثر ان يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى
تدريجا قليلا قليلا حتى مرارة لذة الظفر بها فتستحي عليها وتهون منتشية
مصارعتها فان الاعتبار والممارسة للاعمال الشاقة تكسر النفوس التي تصدر
منها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين والمقاتلين وغلبة

الممارسين للاعمال الشاقة على قوة الخياطين والعطارين والمنجمين والصاغين
وذلك لان قواهم لم تتأكد بالممارسة فالعلاج الاول لصناع الطباع والصارع
ان يكلفه عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند غلبة
اياهم موسى حيث قال وانكم اذا لمن المقربين والثاني لصناع تقوية الصبي
الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة مباشرة اسباب ذلك عند الصبي حتى
يأنس به ويستحي عليه وتهون عليه مشقة من ترك ما كملة المجاهدة بالصبر
ضعيف فيها باعث الدين والاقوى الشهوة وان ضعفت ومن عرف نفسه
مخالفة الهوى فليها مهما اراد فهذا منهاج العلاج في جميع انواع الصبر والممكن
استيفاؤه وانا اشد تكلف الباطن عن حديث النفس وانا نتكلف
علامتي تورع لبان قمع الشهوات الظاهرة واثر العزلة كحبس اللسان والفرج
والكف عن الوسواس لا نزال الخواطر من جانب القلب وهم الاعضاء
المتسببة الاقطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والولد و
المال والجاه والرفقا والاصدقا ثم الاعتزال الى زاوية بعدا حراز قدر يسير
من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لكي لم تصر الهموم هما واحدا وهو الله
ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يمكن ذلك الا من فتح مجال الفكر وتسخير الباطن
في ملكوت السموات والارض وعجايب صنع الله وسير ابواب سلوك طريق الله حتى
اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاهدة الشيطان ووسوسته
والى لم يمكن تسخير الباطن فلا يجيب الا لاوراد المتوالية على الترتيب في كل لحظة
من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب
الحضور فان التفكر في الباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد
الظاهرة ثم اذا فعل كل ذلك لم يسلم في الاوقات الا بعضها اذ لا خلو
في جميع اوقاته عن حوادث تجد دفشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف

الى الملك الخسيس من الملك الجائي الذي لا اصل له ان سلم فلا دوام له اصلا فاعتبر
فيهم يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض
ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة الا قليل فانزله
والانجيل والزبور والقرآن وصحف موسى وكل كتاب منزل ما انزل الا
لدعوة الخلق الى الملك الدايم الخالد والمراد منهم ان كونوا ملوكا في الدنيا ملوكا
في الآخرة اما ملك الدنيا فبالزهد فيها والقناعة بالبسير منها واما ملك الآخرة
فبالقرب من الله تعالى وادراك بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل فيه وقوة لا ضعف
فيه وغنى لا فقر معه ولا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما
كانوا يعملون فالعالم لا تعلمه نفس من النفوس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا لعلمه
بان ملك الآخرة منوط به اذ الدنيا والآخرة ضرتان ولعلمه بان الدنيا لا تنال له
ايضا ولو كانت تنال لكان يحسده ايضا ولكن بال الدنيا لا يخلو عن المنازعة
والمكابدات وطول الهموم في التدبيرات وكذلك سائر اسباب الحياة
كالبيع والشراء فانه لا يسلم في العمر حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت
وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا
كان لم تغن بالامس فضرب الله لها مثلا وقال واضرب لهم مثل الحيوة
الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما
تذروه الرياح والزاهد في الدنيا الذي كان ملكا حاضرا حسده الشيطان
عليه فصده عنه وعز الزاهد ان تملك العبد شهوته وغضبه فيستعين بالدين
لباعث الدين واشارة الايمان وذا ملك بالاستحقاق اذ نفسه صاحبه
حرا واستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لبطنه وفرجه وسائر اغراضه فكان
مسخ اشل البهيمة مملوكا لشجرة زقوم الشهوة اخذ بالجنة الى حيث يريد
ويهوى فما اعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير ملوكا
وينال الربوبية بان يصير عبدا وشتان ما بين كون الانسان ملكا في الدنيا متنعما

في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف اطلب منك حاجة وملكي اعظم من ملكك فقال كيف قال من انت عبده فهو عبد لي فقال كيف ذلك قال انت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكت انا كلهم فهم عبيدي فهذا اذا هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق الى الملك في الآخرة. فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاستقامة على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه فيسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا في الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان الف الجاه وانس به ورسخ فيه بالعادة مباشرة اسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد وان يضيف اليه العمل وعمله في ثلاثة امور احدها ان يهرب عن موضع الجاه كي لا يشاهد اسبابه فيعسر عليه الصبر مع الاسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله تعالى في سعة الارض اذ قال تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني ان يكلف نفسه في اعماله افعالا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بنقائضها حتى يترسخ باعتياد ذلك ضد ما رسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة الثالث ان يراعي في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم

٦٦

اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض الى ان تقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا فشيئا الى ان تنمحي تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله تعالى فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى والاشارة بقوله عليه السلام لا تشادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه فاذن ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه اضفه الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات واتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل الآحاد يطول ومن راعى التدريج ترقى به الصبر الى حالة لا يشق عليه الصبر كما كان يشق عليه الصبر معه فينعكس اموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا اشير بما حكي عن بعض العارفين انه سأل الشبلي عن الصبر ايه اشد فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله قال لا قال فايش قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله غنى والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقد قيل في معناه والصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر في سائر الاشياء محمود وقيل ايضا الصبر يحمل في المواطن كلها الا عليك فانه لا يحمل هذا ما اردنا شرحه من علوم الصبر واسراره

الشطر الثاني من الكتاب في الشكر

وله ثلثة اركان الركن الاول في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه الركن الثاني في حقيقة النعم واقسامها الخاصة والعامة الركن الثالث في بيان الافضل من الصبر والشكر

الركن الاول في نفس الشكر

بيان فضيلة الشكر اعلم ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله اكبر فقال تعالى اذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال وسنجزي الشاكرين وقال تعالى اخبارا عن ابليس اللعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال يرزق من يشاء وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام اهل الجنة فقال وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين واما الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروي عن عطاء انه قال دخلت على عائشة فقلت اخبرينا باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله فبكت وقالت واي شانه لم يكن عجبا انه اتاني ليلة فدخل معي في فراشي او قالت في لحافي حتى مس جلده جلدي ثم قال يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت قلت اني احب قربك ولكن اوثر هواك فاذنت له فقام الى قربة ماء فتوضأ

٦٧

فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلوة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل وقد انزل الله علي ان في خلق السموات والارض الآية وهذا يدل على ان البكاء ينبغي ان لا ينقطع ابدا والى هذا السر يشير ما روي انه مر بعض الانبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فانطقه الله فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فانا ابكي من خوفه فسأل ان يجيره من النار فاجاره ثم رآه بعد مدة مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروي عنه صلى الله عليه وآله انه قال ينادي مناد يوم القيمة ليقم الحمادون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وآله الحمد رداء الرحمن واوحى الله الى ايوب اني رضيت بالشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل واوحى الله تعالى اليه ايضا في صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الي ازيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر فاي المال نتخذ فقال عليه السلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود رضي الله عنه الشكر نصف الايمان بيان حد الشكر وحقيقته اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين وهو ايضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال

وهاى يورث العمل اما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل
بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه وتعلق ذلك العمل بالقلب
وبالجوارح وبالبيان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان
كل واحد من هذه الثلاثة عرض الاحاطة بكمال معانيه فالاصل الاول العلم
وهو علم ثلثة امور بعين النعمة وهو كونها نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود
صفاته التي بها تم الانعام وبقصد الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة و
منعم ومنعم عليه ليصل اليه النعمة من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا
من موقوفة بذاتها على حق غيرها فانها من حق الله تعالى الا بان يعرف ان النعم كلها
من الله وهو المنعم والاوساط مسخرات من حيث هم وهذه المعرفة وراء التقديس
والتوحيد اذ دخل التوحيد والتقديس فيها بل الرتبة الاولى في معارف الايمان
التقديس ثم اذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه
غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد
فقط والكمال كله منه فتنتج هذه المعرفة الرتبة الثالثة اذ ينظوي فيها التقديس
والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم حيث قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن
قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة وقال
افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله وقال ليس شيء من الاذكار
يضاعف اضاعف الحمد لله ولا تظن ان هذه الحسنات بازاء تحريك
اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فنسبتها الى هذه الكلمة
تدل على التقديس ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل
على معرفة المنعم بالواحدية فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من
ابواب الايمان واليقين واعلم ان تمام هذه المعرفة بنفي الشرك عن الافعال

الوسايط

الى نفوس هو رجوعها الى ان المنعم عليك هو الذي يتجرد لك والتي في قلبك من
الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك كان
عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت
على شكره بل كنت بهذه المعرفة بحيث لا شكر اولذلك قال موسى عليه السلام
الهي خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وعلمته بيانك وامرت الملائكة
فكانت مسوقته شكرا فاذن الاشكر الا بان تعرف ان الكل من الله تعالى وحاكك
ربك في هذا لكن عارفا بالمنعم والمنعم فلا تفرح بهما نعم وحده بل بالعزيز
المنتقص موتك منتقص حياتك في الغير هو منتقص من ملكك يتقص
ملكك فهذا بيان هذا الاصل الاصيل الثاني الحال المستتبع
من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع بهاء التواضع والتواضع هو ان
لا تنسى شكر ملكه كما ان المعرفة شكر ولكن انما تكون شكرا اذا كان جامعا
شروطه وشرطه ان تكون فرحا بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا
يتعذر عليك فهو فضرب لك مثالا فنقول الملك الذي يريد الجود الى
سوقانعم يتوسل على انسان تتصور ان يفرح المنعم عليه بالتوسل بمشيته
او بوجه آخر الا بالمنعم من حيث انه فرس وانه مال يتمتع به و
مركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لاحظ ان الملك
بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فاخذه لكان فرحه مثل ذلك
الوصف الا المنعم به لان من حيث انه فرس بل من حيث استدلاله على غاية
الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء او
اعطاه غير الملك لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس اصلا
او لاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من مثل المحل في قلب الملك الوطء الثالث
ان يفرح به لكونه يفرح خدمة الملك ويكمل مشقة السفر لنيل بغية

نعم انعم عليه ملك من الملوك بشيء فان رأى لوزيره او لوكيله او خلافي غير ذلك
وايصاله اليه فهو شراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه
بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا تكون موجها حتى
الملك نعم لا يفيض من توحيده في حق الملك وكمال شكره فانه يرى النعم الواصلة
اليه توقيعا الذي كتبه بقلم وبالكاغذ الذي كتبه عليه فانه لا يفرح
بالقلم والكاغذ ولا شكر بهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان
بانفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد فضل ان الوكيل
الموصل والخازن ايضا مضطرين جهة الملك في الايصال وانه لو رد
الامر اليه لم يكن منه جهة الملك رغبة ولا رهبة ولا خوف عاقبة بل كما يسبق
فاذا عرف ذلك كما فان نظره الى الخازن الموصل يتخطاه الى القلد والكاغذ
فلا يورث ذلك شركا في توحيده من اضافة النعم الى الملك لكن ذلك
عرف الله وعرف افعاله علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره كالقلم
مثلا في يد الكاتب وان الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس
اختيارها فان الله هو المسلط للدواعي عليها لتفعل ما شاءت كما
كان الخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو حتى في نفسه
لما اعطاك درة من يده فكل من وصل اليك نعم الله على يده فهو مضطر
اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي مع التي في قلبه ان
خيرة في الدنيا والاخرة في ان يعطيك ما اعطاك وان عرضه المنعم
عنده في الحال والمال لا يحصل الا به وبعد ان علم ان هذا الاعتقاد
فلا يجد سبيلا الى تركه فهذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك وانت كذلك
عرضه في العطا لما اعطاك ولو اريد ان منفعتك في منفعة
لهذا انما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعما عليك بل الحاكك سبيلة

رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله
في قلب الملك ان يعطيه فرسا ونعني به هذا القدر من العناية بل هو طالب
لان لا ينعم الملك بشيء من المال على احد الا بواسطته ثم انه ليس يريد منزلة الوزارة لوزاره
ايضا بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب دون الوزارة
او بين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلث درجات فالاول
لا يدخل فيها من الشكر اصلا لان قد صاحبها مقصور على النوس فقط
بالنوس لا بالمعطي وهذا حال كل من فرح بمنعم من حيث انها لذيذة به وموافقة
لغرضه فهو بعيد من معنى الشكر وان دخل في معنى من حيث انه فرح بالمنعم
ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث صفة عنايته التي تستحق على
الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله شكرا لانه
خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام هو الفرح الثالث
وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله من حيث انه يقدر بها على التوصل
الى القرب منه والتردد في جواره والتطلع الى وجهه على الدوام فهذا هو
الرتبة العليا والمرتبة ان الفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرة ومعينة
عليها وتنزل بكل لغة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن سبيله لانه ليس يريد
النعم لانها لذيذة كما يريد صاحب النرس النرس لانه جواد ومسهل
بل من حيث انه يتخلى به صحب الملك حتى تدوم مشاهدته وقربه منه ولذلك
قال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعم وقال الخواص شكر العامة على
المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها
كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس
من الالوان والاصوات وخلاعن لذة القلب فان القلب لا يلتذ

الشام

واسكنه جنتك وزوجته حوا امتك ه

في حال الصحة لابد كراهته ومعرفته ولقائه وانما يمتد بغيبة اذا عرض لسوء العادات
كما يمتد بعض الناس بأكل الطين وكما يتشع بعض المرضى الاشياء
الحلوة ويستحلي الاشياء المرة حتى قيل ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به
الماء الزلالا فان هذا شاذ والنوع منعم الله فان اكثر ابل قوى وان اكثر
هذا قادر وحال الثانية اما الاول فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من
يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله
لينعم عليه وبين من يريد نعمة الله ليصل بها اليه الاصل الثالث
العلم بوجه النعمة الحاصل من معرفة المنعم وهذه العلوم تتعلق بالقلب والجوارح
اما بالقلب فمقصد الخير واضماره كما فعله الخلق واما بالجوارح فاظهار
الشكر به بالتحدث الذي عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته
والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان لا يستعمل
عيب يراه ولم وشكر الاذنين ان لا يستمع كل عيب ليسمعه فيدخل هذا
في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله وهو
مأمور به وقال صلى الله عليه وآله لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد
السؤال فاعاد حتى قال الثالثة بخير احمد الله واشكره فقال الذي آدوت
منك وكان السلف يسألون ونيتهم استخراج الشكر به ليكون الشكر
مطيعا والمستغرق له مطيعا وما كان قصدهم الا رياء باظهار الشوق
وكل عبد يسأل عن حال المولى ان شكر او شكى او سكت فالشكر ظاهر
والشكوى معصية فنبحث عن اصل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من
ملك الملوك وخزينة كل شيء لعبد مملوك لا قدر على شيء فالاولى بالعبد
ان لا يحس الصبر عند البلاء والقضاء وافضى الضعف الى الشكوى الى مولاه

شكوا

وهم قاصر عن ادراك ما وصل اليهم وانى العلم استحالة الشكر منه فان كون العبد شاكرا
شكرا فلا آفة فان هذا العلم ايضا نعمة منه فكيف صار شكرا فلا آفة فان
هذا العلم انما نعمة منه وكان الحاصل رجع الى ان من اسبغ عليه نعمة فقد شكر وان
قصور الخلق الثاني من الملك شكر الخلعة الاول والعجز قاصر عن درك الشكر منه
فان اكثر تعريف في كذا شكال هو مهم ان نفسه فاعلم ان هذا فرع باب المعارف
وهو اعلى من علوم المعاملة وكنا نشير منها الى ملامح ونقول ههنا نظران
نظر لعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه لا شاكر ولا مشكور
وانه المحب في انه المحبوب وهذا نظر من لم يعرف انه ليس في الوجود غيره وان
كل شيء هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ازلا وابدا لان الغير
هو الذي تصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير هو الذي تصور
ملا وجود له بل محال ان يوجد اذ الموجود الحق هو الذي بنفسه وما
ليس بنفسه فوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان
اعتبرته وانه بنفسه الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الوجود هو القيام
بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره لم يوجد فان كان مع
قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يصور
ان يكون غيره ذلك فاذا ليس في الوجود غير الحق القيوم وهو الواحد الصمد فان
نظرت من هذا المقام علمت ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر
وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب الى
حبيب حيث قال انا لمن اهوى وهو انا ومن ههنا قال الصديق ما رأيت شيئا
الا ورأيت الله قبله وفيه ومن ههنا نظر الشيخ ابو سعيد المهنى حيث
قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي

الفرق بين الشكر والحمد

الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على قصد التعظيم والخضوع ويظهر بالفعل اللساني
مع بعض حوال القلب وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن
بذكر احسانه نظر الى المجرد بحمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو
اعتكاف على بساط المشهود بادامة حفظ الحرمة جامع للاشعار
الشكر لا يشذ منه الاعمال اللسان وقول من قال الشكر هو
ان ترى نفسك فيما طفيليا ترث الى معنى الحرمة من معاني الشكر
نحكما وقول الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة اشارة الى حالتين
بحوال القلب على الخصوص وهو ولاء اقوالهم تقرب عن احوالهم والذي
تختلف احوالهم والاتفاق ثم قد تختلف جواب كل واحد في حالتين لانه
لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالا بما يهمهم عما
يهمهم ويتكلمون بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا على قدر القدر الذي
تحتاج اليه واعراضا عما لا تحتاج اليه فلا ينبغي ان نظن ان ما ذكرناه طعن
عليهم وانه لو عرض عليهم جوامع المعاني التي شرحناها كانوا يأبونه وما بال
لا يظن ذلك بعاقل فضلا الا ان نعرض منازعة من حيث اللفظ ان
ان اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني ام تتباين البعض
مقصودا وتبقية المعاني تكمل من توابعها ولوازمها ولسنا نقتصد في
هذا الكتاب على موضوعات اللغات فليس ذلك من علم الدين بل الاخوة في ذلك

تعلق الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى

يخطر بالك ان الشكر انما يعقل في حق من هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر
الملوك اما بالثناء ليزيد علمهم في القلوب وينظر كرمهم عنه الناس فيزيد جميعهم و
جاههم او بالمثوبة التي هي لحاجة لهم على بعض اغراضهم او بالمسئول من انعامهم
الخدم وذلك كثير السواد هم وسبب لزيادة جاههم فلا يكون شاكرا لله الا
بشيء من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى وجهين احدهما ان الله منزه عن حظوظ
والاغراض تتدنس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الثناء والحمد بالسنة
والاطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه والعاكفين ببابه فان شكرنا
اياه بالاحظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بان نسام في بيوتنا
او نسجد او نركع اذ لا حظ للملك فيه ولا حظ يستقال في افعالنا كلها والله
الحق ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا لفوته اغراض من نواله اذ جواز حنا وقدرتنا
واراداتنا واعتقاداتنا وسائر الامور التي هي اسباب حركاتنا ونسق حركاتنا
من خلق الله تعالى وفعله فكيف نشكر نعمته بنعمته ونواله عطاء للملك مركوزا فاحضنا
مركوبا احرله وركبناه واعطانا مركوبا احزم لكن الاشكر الاول مثل
كان الذي نحتاج الى شكر كالحاجة الاول ثم لاكن شكر الشكر الاشعار اول
فنودي الى ان ملل الشكر محالا ان حق الله من هذين الوجهين والشكر
في الاولين جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان
هذه الخاطر قد خطر لداود عليه السلام وكذلك لموسى عليه السلام فقال يارب
كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية منك فمن
قبل التظاهر بشكري كل نعمة اجزى منك توجب علي الشكر لك
فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت ذلك فقد شكرتني وقل حين اجزاء عرفت
ان النعم مني رضيت مني بذلك شكرا فان علت فقد نفت السؤال

انما بحث نفسه اشاره الى انه الموجود المحبوب وهذه رتبه عاليه لا تنهض الا شال
على حد عشقك ولا تكن عليك ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه و
الصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه والوالد اذا احب ولده من حيث انه ولده
فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله فهو تصنيف الله وصنعته فان احب
فما احب الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فمن احب احب والده كما نظر من
التوحيد وتقرير الصوفيه عن هذه اى الانبياء النفس الى فنى عن نفسه وعن غير
الله ولم ير الا الله فمن لم يفنه انكر عليهم وتقول كيف فنى وطول الليل اربعه
اذرع وعلمه بكل شئ كل يوم ارطالا من الخمر فيضمحل احتمال جهلهم جهالا لا منهم
وضروره العارف ان يكونوا افضل من الجاهلين والبه الاشاره بقوله تعالى
الذين ءامنوا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون
واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون
وما ارسلوا عليهم حافظين ثم بين ان ضحك العارفين عليهم اعظم اذ قال فاليوم
الذين امنوا من الكفار يضحكون على الاراءك ينظرون وقد ذكر انهم كانوا
يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينه فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم
كما تسخرون فهذا احد النظرين النظر الثاني نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء
عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يثبتوا الا وجود انفسهم وانكروا ان يكون لهم رب
يعبدونه وهؤلاء هم الدهريه المنكوسون وعلامتهم ان كلمتي العينين لا تنفعلوا
هو اثبات محتسا وهو التقدير الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت
وكل قائم يقوم به ولم تقدروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا لعلموا انهم ليسوا
هم لا اثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث اوجد والا من حيث
وجد ذا وفرق بين الموجد وبين الموجد ليس هو الوجود الا موجود واحد
وموجد فالموجد حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم

والموجد

قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ
بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله اعوذ بعفوك
من عقابك كلام عن مشاهده فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله فاستجاز
بفعله من فعله ثم اقرب فنفى عن مشاهده الافعال وترقى الى مصادر الافعال
وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم رأى ان ذلك
نقصان في التوحيد فاقرب ورقى من مقام مشاهده الصفات الى مشاهده
الذات فقال اعوذ بك منك وهذا ازاله منه اليه من عز رؤيه فعل صفته
وكلمته رأى نفسه فاره منه اليه ومستعيذا ومثنيا فنفى عن مشاهده
اذ راى ذلك نقصانا واقرب فقال انت كما اثنيت على نفسك لا احصي ثناء
عليك فقوله لا احصي خبر عن فنائه نفسه وخروجه عن مشاهده وقوله انت
كما اثنيت على نفسك بيان انه المثني وهو المثنى عليه وان الكل منه بدا
واليه يعود وان كل شئ هالك الا وجهه فكان اول مقامه نهايه مقامات
الموحدين وسر ان لا يرى الا الله وافعاله فيستحيل ان يفعل ويرتفع النظر
الى ذا اثبت نهايته اذا انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره وشاهده
سر الذات الحق والذي كان عليه في النظر الثاني من رؤيته الى الحق في
الاول وبعدا بالاضافه الى الثانيه فكان استغفاره من الاولى يدرس
ذلك نقصان في سلوكه وتقصير ان مقامه والبه الاشاره بقوله عليه السلام
انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله اليوم والليله سبعين مره فكان
ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها بعد البعض واوايلها وان كان
مجاوزا القصى غايات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافه الى اواخرها فكان
استغفاره لذلك وبما قالت عايشه ليس تعني غفر الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فما زال البكاء في السجود وما زال الجهد الشديد حتى قال افلا اكون عبدا

شكورا

شكورا امضاء افلا اكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزياده حيث
قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم فلنقبض العنان
ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعامله فنقول الانبياء بعثوا للدعوه الخلق الى كمال
التوحيد الذي وصفنا وكان بينهم وبين الوصول اليه مسافه بعيده وعقبات
شديده وانما الشرع كله طريق سلوك تلك المسافه وقطع تلك العقبات
وعند ذلك يكون النظر من مشاهده اخرى ومقام اخر فيتغير ذلك المقام
بالاضافه الى تلك المشاهده الشكر والشاكر والمشكور والمعروف ذلك الا
مثال فاقول يمكنك ان تفهم ذلك من الملوك اذا ارسل الى عبد قد عصاه
مكروبا وملوما وقد الاجل زاد في الطريق حتى تقطع به مسافه البعد وتوقف
من حضره الملك ثم يكون لحاله احد امرين اما ان يكون قصده من وصول العبد
الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له غناء في خدمته والثانيه ان لا يكون
للملك حظ في العبد ولا حاجه به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يتوقى على
القيام بخدمه يقفى منه غناء وعبيده لا ينتقص من ملكه فيكون قصده من الاشغال
عليه بالمركوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعاده حضرته
ليتمتع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وباشتغاله فمثل العبد من الله تعالى
في المعرفه الثانيه لان المعرفه الاولى فان الاولى محال عن الله تعالى والثانيه
غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحاله الاولى بحرد الركوب
والوصول الى حضرته ما لم تقم بخدمته التي اراد بها الملك منه واما في الحاله الثانيه
فلا يحتاج الى الخدمه اصلا ومع ذلك تصور ان يكون شاكرا وكافرا وعاصيا
شكره بان يستعمل ما انفذ اليه مولاه فيما احب لاجله لا لاجل نفسه وكفره
ان لا يستعمل ذلك فيه بل يعطله او يستعمله فيما يزيد في بعده منه فيما
لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر

مولاه اذ استعمل نعمته في محبته اي فيما احبه لعبده لانفسه وان كرهه واستدبر
حضرته واخذ بعبده منه فقد كفر نعمته اي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لانفسه
وان جلس واتركب لان طلب القرب ولان طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ اعملها
وعطلها وان كان هذا دون الاول عنه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وثم
ابتداه بطائفتهم بحيث اجل الى استعمال الشهوات ليكمل بها ابدانهم فيتعدن
بها في حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فاعدهم من النعيم ما قدروا على
استعماله في حال رحمته القرب ومن بعدهم وقربهم غير تعالى اذ قال لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا الآية
فاذن فمراده الآيات ترى العبد بها من اسفل السافلين خلقها الله لها لاجل
العبد حتى ينال بها سعادة القرب وابغى عينه قرب اولعبد والعبد فيها من
ان يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لمولاه نعمته محبته مولاه وبين ان يستعملها
في معصيته فكفر نعمته لمخالفة مولاه ولا يرضى لعبده الكفر والمعصية وان عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران
للنعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا انما خلق آلة للعبد ليتوصل بها الى سعادة
الاخرة ونيل القرب من الله فكل مطيع فهو معتد طاعته شاكر نعمة الله الآلات
التي استعملها في الطاعة وكل عاص متروك الاستعمال او عاص استعمل شيئا من
طرق العبد فهو كافر بها غير محب الله فالمعصية والطاعة يشملهما الشكر ولا
يشملهما المحبة والكفر الله هل رتب مراد محب ورتبة مراد مكروه وورا ء هاتين
هذه الدرجة سر العبد الذي منع من انشائه وقد اخل بهذا الاشكال الاول
وهو انه اذا امكن الشكور خط فكيف يكون الشكر عندا ايضا مخلا بالشكر فانا نقول
بالشكر الا نصرف نعمة الله ان جعلت محبة الله فاذا انصرفت النعمة في محبة
نفسه الله تعالى فقد حصل المراد وفك عطاء من الله ومن حيث انه قاطع فقد

الاخر عسير وهو اجل ذلك عزيز فلذلك ارسل الله الرسل وسهل بهم الطريق
على الخلق ورسوفه ذلك يتبنى على معرفة جميع احكام الشرع في افعال العباد فمن
لا يطلع على حكم الشرع في جميع افعاله لم يمكنه ان يحكم الكثر احيانا فضلا
انك وهو الناظر بين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه
اذا خلق سبحانه العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود
هو المحبوب وتلك الحكمة منسوبة الحليته وضيه اما الحليته فكما لعلمان من
الحكمة في خلق الشمس ان تحصل بها الديل والنهار فتكون النهار معاشا والليل
لباسا فتصير الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من حكمة
الشمس لا تحكم فيها حكما اخر كثيرة دقيقة وكذلك سوفه الحكمة في
الغيم ونزول الامطار وذلك لاشتقاق الارض بانواع النبات مطعما للخلق
ومرعى للانعام وقد انطوى القران على جملة من الحكم الجليلة التي تحتها افعال
الخلق ومن الدقيق الذي تقصر فيه عن انها فقال تعالى انا صببنا الماء صبا
ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا واما الحكمة في سائر الكواكب
السيارة منها والثوابت مخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتاج
فيه الخلق انما زينة السما ليستلذ العين بالنظر اليها وباشارة اليه قوله
تعالى انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب فجميع اجزا العالم سماوه وكواكبه
وبحاره وبراريه وجباله ومعادنه ونباته وحيوانات وما عضا حيوانات لا كثر
ذرة من ذراته عن حكم كثيرة منها حكمة واحدة الى عشرة الف وكذلك الاعضا
الحيوان منتهى الى الوف حكمتها كالعلم بان العين للابصار والبطش
واليد للبطش لا للمشي والرجل للمشي لا للبطش واما الاعضا الباطنة من الامعا
والمرارة والكلية والكبد واحاد الدوق والاعصاب والعضلات
وما فيها من التجاويف وزوائد الشقاق والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ

وحضر
سايرالصفات فلا يعرف الحكم فيها كما فاز الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها
الا قدرا يسيرا بالاضافة الى علم الله فما اوتيتم من العلم الا قليلا فاذن كل من يستعمل
شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها والاعلى الوجه الذي اريد به فقد كفر نعمة الله فيه
في حرب بغيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت لليد لدفع ما عن نفسه او يحكم
وباختصار منفعة لا يهلك بها غيره ومن تطرق الى وجه غير المحرم فقد كفر نعمة العين
ونعمة الشمس اذ الابصار تبع لها وانما خلقت لتبصر بها ما ينتفع به في دينه ودنياه وكل
بها ما يضره فيها فقد استعان في غير ما اريد بها وهو الاثم الاعظم خلق الخلق وخلق
الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله والوصول اليه
الا بمحبته والانس في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بالله ولا محبة
ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يكون الدوام على الذكر والفكر الا بحضور
البدن ولا تعلق للبدن الا بالارض والماء والهواء وآثار ذلك الا خلق السماء والارض
وخلق سايرالاعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لاجل البدن والبدن مطيته
والراجع الى النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة ولذلك قال تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكل من يستعمل شيئا في غير طاعة الله
فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لابد منها لاقامة على تلك المعصية ولنذكر
مثالا واحدا ليكون الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى يعتبر بها ونعلم طريق الشكر
والكفران على انعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبها تنال الدنيا
وباختيار لا منفعة في اعيانها ولكن يضطر الخلق اليها من حيث ان كل انسان
محتاج الى الاعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسايرحاجاته وقد يتعسر عليه الجمع
ويمكنه الاستغناء عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى الخبز وكمن
يملك الخبز ويستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلابد بينهما من معاوضة
ولابد من مقدار العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب الخبز جميع خبزه بكل مقدار

من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والخبز حتى تعلم المماثلة بينهما بل الاختلاف
والصورة وكذا من يشتري دارا بثياب او عبدا بخف او دقيقا بكارة فهذه
الاشياء لا تناسب فيها فلا يدري ان الخبز كم يسوي بالزعفران فتتعذر
المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينها
يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته وقيمته حتى اذا تقررت المقادير
وترتبت الرتب على العدد ذلك المساوي من جنس الزعفران يخلق الله تعالى
الدراهم والدنانير حاكمين ومتوسطين بين سايرالاموال حتى يقدر
الاموال بها فيقال هذا الجمل يساوي مايتي دينار وهذا القدوس الزعفران يساوي
مايتي مثلها فيتساويان لشيء واحد اذ من المحال ان يساوي الشيء
الشيء مثلها مساويان لشيء واحد اذ من المحال ان يساوي الشيء
الشيء مثلها مساويان لشيء واحد اذ من المحال ان يساوي الشيء
التقدير بالمقدرين اذ لا غرض في اعيانها ولو كان في اعيانها غرض ربما
اقتضى خصوص ذلك الغرض حق صاحب العوض ترجيحا ولم يقتض ذلك
في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقها الله تعالى استدعاها الايدي
ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل ومكنا ذوي التوسل بها الى سايرالاشياء
لانها غرضان في انفسهما ولا غرض في اعيانها ويستتبعها سايرالاموال
نسبة واحدة في تملكها فكانه تملك كل شيء لكن تملكا لا يمكنا الا بالثوب فلو احتاج الى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في
الثوب لان غرضه في ذاته مثلا فاحتيج الى شيء هو في صورته كانه ليس
بشيء وهو في معناه كانه كل الاشياء والنقد انما تستوي نسبته الى المختلفات
اذا لم يكن لصورة خاصة تقيد بها مخصوصا كالمرآة الا لون لها وكل كل
لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالظرف لا معنى
في نفسه وتظهر المعاني في غيره هذه هي الحكمة الثانية وفيها الفرض بطل
ذكرا فكل من عمل فيها عملا لا يليق بالحكمة على مخالف الغرض المقصود بالحكمة

اعيانها وقصدها في الاموال كترقيع الخرق من الكلام كما قال النحويون ان الخرق هو
الذي جاء لمعنى في غيره وكرقيع المرآة من الالوان فلا معنى لقصد جواز الاستبدال
بيع النقد بمتجانسه التفاوت على النقد مستفيد عنده ويتراسل تراسل الكفوء في تقييد
الحاكم والبريد الوصول الى الغرض فلا معنى لبيع النقد بالنقد
الا باعتبار ذلك النقد مقصودا للادخار ومتوسلا فان قلت فلم جاز بيع احد
النقدين بالاخر وقد جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم ان احد النقدين يخالف
الاخر في مقصود التوسل اذ قد يتيسر التوصل باحدهما من حيث كثرته
كالدراهم فيتوق في المعاملات قليلا قليلا فلا منع منه بل يشوش المقصود
الخاص وتعذر التوسل الى غيره والدرهم مدرهم بمثله فجاز
من حيث ان ذاك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا فالمشغل تاجرا فانه يعيش
بحري مجرى وضع الدرهم على الارض واخذه ومن لا يخاف على المعاملة
بان يصرفوا اوقاتهم الى وضع الدرهم على الارض واخذه بعينه فلا منع مما لا
تشوف النفوس اليه الا ان يكون احدهما اجود وذكرنا ايضا ان تصور بانه
اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثل ما يرضى به المقتدر الذي يطلب زيادة
في الردى فقد كان قد قصد فلا حرم منعه منه وحكم بان جيدا ورديا
سواء لان الجودة والرداءة يشق ان تنظر الى حقائقها دقيقة في عينه
وما لا غرض في عينه فلا ينبغي ان تنظر الى مصارفات دقيقة في صفاته
انما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى جعلت
مقصودة في اعيانها وحقها ان لا تقصد وانما اذا باع درهما بدرهم مثله يدا بيد
فانه لم يجز لانه لا تقدر على هذا الا مسامح فاحد الاحسان في القرض وهو
كرم مندوب عنه ليس صورة المسامحة بمكون له حدود اجر والمعاوضة لا حد

فقد كفر نعمة الله فيها فاذن من كثر بها فقد ظلمها وابطل الحكمة فيها وكان كمن حبس
حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه اذا كثر فقد ضيع والاصل
الغرض المقصود بها وخلقت الدراهم ليزيد خاصة ولعمر خاصة اذ الغرض منها
للحاذق في اعيانها فانها حجران وانما خلقا لتتداولها الايدي فيكونا حاكمين بين
الناس وعلامة معرفة للمقادير متقومة للمتلفات فاحذر الله الذين يتجاوزون عن
قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخطا الهي لا تعرف فيه
ولا صوت الذين لا يدركون بعين البصيرة بعين البصيرة اخبر هؤلاء العاجزين
بكلام سمعوه يسمعون وصل الهم بواسطة الحروف والصوت المعنى الذي عجزوا
عن ادراكه فقال مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة
انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مايتة حبة والله يضاعف لمن يشاء
فقد كفر النعمة وكان اسوء حالا من كثر لان مثال هذا مثال من استخدم حاكم
البلد في الحياكة والكنس والاعمال التي تقدر بها احتياج الناس والحبس هو من
وكمن في الخزف والحديد والرصاص والنحاس وطبخ من ثوب مذاب
الذهب والفضة من حفظ الكلمات عن ان تتبدد وانما الالوان تحفظ
الكلمات والكحل الخرف والحديد في المقصود الذي يريد به المتقون لم يكتسف
له هذا الكشف لهذه الرتبة الالهية وقيل لابن شرف الى النية من ذهب او
فضة فكانا يحبرجرة بطنه بالدنانير فقد كفر النعمة وظلم لانها خلقا لغير هما لا لانفسهما اذ الغرض ان
عينها فاذا اخرج عينها فقد اتخذها مقصودا فخالف وضع الحكمة اذ طلب
النقد لغرض وضع لظرف ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا نقد على ان الشرع
طعاما ودابة اذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب لهو خذوا من بيع يشتد
ليحصل النقد فتوصل به الى مقصوده فانها وسيلتان الى الغرض لا غرض في

فنهاه لا جرم نهى ايضا ظلما لانه اضاعة حصص المساجد واخراجها عن غرض المعارضة
وكذلك الاطعمة طبخت ليقتدى بها او يتبارى بها فلا ينبغى ان تصرف عن جهتها
فان فتح باب المعاملة فيها رجب تقدمة فى الايدى ويعسر عنها الاكل الذى
اريد به فاخلق الطعام الا ليؤكل والحاجة الى الاطعمة شديدة ينبغى ان
يخرج عن ايدى المستغنى عنها الى المحتاج ولا تعامل على الاطعمة الامستغنى
عنها اذ نسى عصة الطعام فلم لا اكله ان كان محتاجا واجعله بضاعة تجارة
وان جعل بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجا
اليه فانما من يطلبه بغير ذلك الطعام فهو ايضا مستغن عنه ولهذا ورد
فى الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه فى كتاب آداب
الكسب نعم بايع البر بالتمر معذور اذ احدهما لا يسد مسد الآخر فان البر يدخر
صاع من الرطب مثلا غير معذور ولكنه غايب فلا يحتاج الى المنع لان
المنفوس لا تسمح به الا عند التفاوت فى الجودة ومقابلة الجيد بمثله من
الردى لا يرضى به صاحب الجيد واما جيد بردين فقد يقصد وكذلك لما
كانت الاطعمة من الضروريات والجيد يساوى الردى فى اصل المنفعة
وخالفتها وجوه التسع اسقط الشرع غرض التسع فيها هو القوام فهذه حكمة
الشرع فى تحريم الربا وقد كشفنا اسرار هذه الاغراض عن هذه التسعة
فليلحق بها من المشتبهات فانه اقرب من جمع الاوراق فى الخلافيات وبهذا
يتضح لك مذهب الشافعى فى التخصيص بالطعام دون الكتان والاسمنت
ودخل الجص فى الخان الشباب والادوات الوطء بالدخول ولو بالمص
لكان مذهب مالك اقرب المذاهب فليخصص بالاقوات ولكن كل
معنى يرجع الى غرض الشرع فلا بد ان يضبط بحده وتحديده ولا كمال لمكلف الا فوق

وكان حكمنا بالطعم فرأى الشرع الحديد جنس الطعام اعنى الحكم بالربا فى
النقار وجد بيرات الشرع عرف بها بالطواف الاقوات فيها اصل المعنى الذى
علق الحكم والحديد يشترك مع الطعام فى المعنى الذى تعلق به الحكم
المعنى هو اختلاف الاغراض بالاحوال والاشخاص فعين المعنى بكمال قدره تختلف
بالاحوال والاشخاص من يكون الحديد عزيزا عنده كالسيف لمن يقدر
جدوى واحد فقد ظهر ان اصل هذه الاشياء لا تختلف فيها الاغراض
انما تختلف وجوه الحاجة كما الحديد شرع عيسى تحريم الربا بالسكر وقد حدد
شرعا كونه من جنس السكر لان تفاوت يسير من اصل كثير والاصل فى الحدود
واصل فى التحريم حكمة الشرع وهو اصل المعنى بالحكمة الاصلية فهذا مثال
ما حصل لكم خبيث من حكم القدوس فينبغى ان تعتبر سكر النعمة وتكثر امتثالها
اشكال لكل خلق لكم فلا ينبغى ان تصرف عنها والبوف بها الناس عرف
الملكة وس اوتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ولكن الاصداف جواهر الحكمى
قلوب اى مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا بد ان الاول الكل
وذلك قال صلى الله عليه وآله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب
بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماوات اذا عرفت هذا الثنا فنفس عليسى وتركك و
سكونك ونطقك وسكوتك وكل فعل صادر منك فانه الماشكر والكفران
لا تتصور ان سكت عنها وبعض ذلك نصفه فى لسان النعمة الذى
نطلق به عوام الخلق باكرامه وبعضه بالحظ وكل ذلك عند ارباب
البصائر موصوف بالطرفا قول مثلا لو استحيت بالعين فقد كفرت
نعمة اليدين اذ خلق الله لك اليدين وجعل احدهما اقوى من الاخرى
فاشكر الاقوى بمزيد رجحان فى الغالب الشريف والتفضيل
ان قص عدو ك عمرك العدل واحد الايام العدل ثم احرجك من اعطاك

اليدين الى الاعمال بعضها شريفة كاخذ المصحف وبعضها خسيسة كازالة النجاسة
فاذا اخذت المصحف باليد اليسرى فقد خصصت الشريف
باليد الخسيس فخفضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا ارتقيت
مثلا فى حجرة القبلة او استقبلتها فى قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله فى طمس
الجهات وخلق سعة العالم لانه خلق الجهات لتكون متسعة لى حركاتك
وقسم الجهات الى الشريف والى الشر فنابان وضع فيها اضافة الى نفسه
استدعاء لتقبلك اليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك فى ملك الجسم على
هيئة الثبات والوقار اذا عبدت ربك وكذلك التفت اعضاء كلها الى الامامى
شريفة كالطاعات واليمنى خسيسة كقضاء الحاجة ورمى الزراق فاذا رأيت
بزاقك فى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله فى وضع القبلة التى لو
كان عبادتك وكذلك اذا التفت حتى فابتدات باليسرى فقد ظلمت اليمنى
الخف وغاية الرجل ظلم فيه حظ والبداية الى الحظ ينبغى ان تكون باليمنى اذ
نهو العدل والوفا باكل وينتضى ظلم وكفران لنعم الرجل والخف وهو اعتد
العار فى كبرة وان سماه النفس بمريدا حتى ان بعضهم جمع اكرار اس الحظ
وكان تصدق بها لسئل عن سبب فعال لسبب المداس مرة فاتخذ الرجل
اليسرى حمارا وريدان اكبره بالصدقة نعم الفقيه العقد على تفخيم الاخرى
فى الامور لانه مسكين بالى اصلاح العوام الذين يرتب درجتهم من درجة
الانعام بل معقول فى ملاحظة اطم واعظم من ان نظن امثال هذه الظلمات
بالاضافة اليها فتتبع ان قال الذى شرب الخمر واخذ القدح بيساره فقد
تقدم فى جهتى الحد بالشرب والاخذ باليسار ومن باع حرا فى وقت
النداء يوم الجمعة فتتبع ان قال خالف من وجهين احدهما مع الحر والاخر مع
فى وقت النداء ومن قضى حاجته فى محراب المسجد مستدبر القبلة فتتبع ان ذكر

خاصية السبق فالعدل ان يكون هو اولا به وهذا النقاض هذا الترجيح بالملك
وهو مجاز محض اذ لا ملك الا لله الملك المملوك الذي له ما في السموات والارض
فكيف يكون العبد مالكا وهو نفسه ليس بملك نفسه بل هو ملك غيره فهم
الخلق عباد الله والارض مايدة الله وقد اذن لهم في الاكل من مايدة بقدر
حاجتهم كالملك ينصب مايدة لعبيده فمن اخذ لقمة يحتاج اليها واحترز عليها
برا بحق عبد اخر واراد انتزاعها من يده فاي ظلم من هذا لان اللقمة ملكا
له بالاخذ باليد فان اليد وصاحب اليد ايضا مملوك فلكن اذا كانت
كل لقمة بعينها لاتني بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول
ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاص يتميز به العبد فنتج
من الايدي بذلك الاختصاص عن مزاحمته فهكذا ينبغي ان ينهم امر الله في
عباده وذلك يحول من اخذ من اموال الدنيا اكثر من حاجته وكنزه وامسكه
فوق ما دامت من يحتاج اليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب و
الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وانما سبيل ما طاعته وزاد الخلق في
طاعته اموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وتتم حاجاتهم ثم لا يدخل
تحت حد قدر الكفاية لان مقادير الحاجات خفية والنفوس الى استكثار
القوة الاستقبال مجبلة واواخر الاعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك
يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والقوة والسكوت عن كل كلام
غير مهم وهو كما نفهمهم لا يطيقونه فتكن الاعتراض عليهم في اللعب واللهو
وايانا حتى ايامهم ذلك لا يدل على ان اللهو واللعب حق وكذلك ايانا حتى
للعوام حفظ الاموال والاقتصار فيه الانفاق على قدر الزكوات لضرورة
ما جبلوا عليه حتى البخل لا يدل على انه غاية الحق وقد اشار القرآن اليه
اذ قال تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج الحق الذي لا ضرورة فيه

والعدل الذي لا ظلم فيه ان لا يأخذ احد من عباد الله من مال الله الا قدر
زاد الراكب وكل عباد الله ركاب لمطايا الابدان الى حضرة الملك الديان
فمتى اخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب يحتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل
خارج عن مقصود الحكمة وكما فرضه الله عليه بالقرآن والرسول والعقل
وسائر الاسباب التي بها عرف ان ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا
والاخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع انواع الموجودات قدر على القيام بحق
الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا تفي الا بالقليل وانما اوردنا
هذا القدر لتعلم علة الصدق في قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور و
فرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الاية
من لم يعرف هذا كله وامورا اخر وراء هذا مستقصى الاعمار دون استقصاء بعضها
فاما تفسير الاية ومعنى لفظها فيعرف كل من يعرف اللغة وهذا يتبين لك
الفرق بين المعنى والتفسير فان قلت فقد رجع حاصل الكلام الى ان الله حكيم
في كل شيء وانه جعل بعض افعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غايته
المرادة منها وجعل بعض افعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى
الحكمة حتى استاق الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل مخالف ومنع الاسباب من
ان تساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال
باق وهو ان فعل العبد المنتهي الى ما يتم الحكمة والى ما يفوتها هو ايضا من فعل
الله فاين العبد الذي حتى يكون شاكرا مرة وكافرا اخرى فاعلم ان تمام
التحقيق في هذا يستدعي تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما
سبق الى تلويحات يمكن بها ونحن الان نعبر عبارة وجيزة عن اولها و
غايتها بنهما من عرف منطق الطير ومجد ما من عجز عن الاصغاء الى السر
فضلا عن ان يحول في جو الملكوت جرا لان الطير تتعوان الله سبحانه

في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة اعلى واجل من ان تحيط
عبارتي واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها بل
يكون العالم بها عاجزا لعلوه شأنها وانحطاط رتبة واضع اللغات عن ان يحيط
طرفه بها فضلا عن اشرافها فانحطت عن درجتها بصدرها كما انخفض ابصار
انخفاشيل فاضطر الذين فتحت ابصارهم للاخطة جلالها الى ان استعيروا من
خصيص عالم المشاهدة من الالفاظ عبارة توهم من مبادئها شيئا ما
ضعيفا جدا فاستعاروا لفظ الاسم القدرة فتجاسروا استعارتهم على النطق
فقسامه صفة من القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم انطق نفوسهم في الوجود
الى اقسام وخصوص صفات ومصدر انتشار هذه الاقسام واختصاصها
بخصوص صفاتها صفة اخرى استعير لها مثل الضرورة التي سبقت عبارة الشيء
فهم توهم منها امرا مجملا عند المخاطبين بالالفاظ التي هي حروف واصوات
المتعاقبة التي مبادئها وقصر لفظ الشيء عن الدلالة على كنه كلا الصفة وحقيقتها
كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينبغي
الى المنتهي الذي هو غاية حكمتها والى ما ليس دون الغاية وكان لكل واحد
نسبة الى صفة المشيء فرجوعها الى الاختصاصات التي بها تم القسمة
والاختلاف فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبوب واستعير لمنسبة
الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انها جميعا داخلان في وصف
المشيء ولكن لكل واحد خاصية اخرى في النسبة توهم لفظ المحبة والكراهة منها
امرا مجملا عند طالبي الفهم من جنس الالفاظ والافعات ثم انتشر عباد الله هم ايضا
من خلقه واختراعه الى من سبقت له المشيئة الازلية ان يستولي لاشياء
حكمته دون غايتها وكون ذلك قد ان حتم بتسليط الدواعي والبواعث
عليهم والى من سبقت لهم الازل ان يستعلمهم لسياقة حكمته الى غايتها

في بعض الامور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشيئة خاصة فاستعيرت
المستعملين في تمام الحكمة لهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقف بهم
اسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب وظهر على من غضب عليه في
الازل فعل وفقت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وارادف
ذلك بنعم اللعن والمقت زيادة في النكال وظهر على من ارتضاه في الازل فعل
انساقت بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له عبارة الشكر وارادف بخلعة الثناء
والاطراء زيادة في الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل انه اعطى الجمال
ثم اثنى واعطى الكمال ثم قبح واورى وكان مثاله ان يتفقد الملك عبده
الذي عن اوساخ ثم كيه من محاسن فاذا اتم زينته قال ما اجمل الملك
واجمل ثيابك وانظف وجهك فتكون بالجملة هو المجمل وهو المثني على
الجمال فهو المثني عليه بكل حال وكانه لم يثن من حيث المعنى الا على نفسه وانما
العبد هو الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور في الازل
الازال وهكذا تسلسل الاسباب والمسببات بمقدر ردت الارباب
ومسبب الاسباب ولكن ذلك عن اتفاق لكنه بل عن ارادة وحكمة
وعلم حتى والمرجع في استعارة الخرت احاد لفظ القضاء قيل انه كالمبصر
فاضت بحار التقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بالسبق به القدر فاستعيرت
احاد المقدرات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء مازاء
الامر الواحد الكلي ولفظ القدر مازاء التفصيل المتعاقب الى اخر نهاية وقيل ان
شتانا من ذلك فما رجعا عن القضاء والقدر لخطر بعض العباد ان نفسه لماذا
اقتضت هذا التفصيل وكيف اشتمل العدل مع هذا التفاوت والتفضيل
وكان بعضهم تصوره لا يطيق فاحفظ كنه هذا الامر واحتو عليه مجامعه
فالجواهر لا يطيقها خزن عمرته بل مجال المنع وقيل لهم اسكتوا فانما هذا احاطة

لابسال عما يفعل وهم يسألون واستلات مسكوره ليعضهم نور امقتبسا من نور
الله في السموات والارض وكان زيتهم اولا صافيا بكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار فمسته نار فاشتعل نور على نور فاشرقت اقطار الملكوت بين ايديهم نورا
تيها فادركوا الامور كما هي عليه فقيل لهم تادبوا بادب الله واسكنوا واذا
ذكر القدر فامسكوا فان لتحيط بان الانوار وحولها كيف ضعفاء الابصار
فيسر والبصيرة ضعفكم والتمشوا احجاب الشمس لابصاركم فانها فيش فتكون ذلك
سبب هلاكهم فتخلقوا باخلاق الله وانزلوا الى السماء الدنيا بمن شئتم على قدركم
ليانس كم الضعفاء ويقتبسوا من نيرانكم الشرقة من وراء حجابكم كما
يقتبس الخفاش من ضياء نور الشمس والكواكب في جنح الليل البهيم جبوة
يحتملها شخص وحاله وان كان الاحمى به حرة المتردد من خلال نور الشمس و
كوة كالمن قبيل فيهم شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية كذلك شراب
الطيبين يطيب شجرة باركها الله في قلوب اهل الارض فضلة وللارض كل من الحرام
نصيب تهكدا كان اول هذا الامر وآخره ولا تتهنه الا اذا كنت اهلا له
وما ذاكت اهلا له فتحت العين وانصرت فلا تحتاج الى قايد يقودك ولا الى من ان يقاد
ولكن الى حدة فاذا ضاق الطريق وصار احدهم السيف وادق من الشعر
قدر الطايرعلى ان يطير عليه ولم يقدر على ان يستجر وراءه اعني اذا دق
المجال ولطف لطفا ما، مثلا ولم يكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر
الغائر بصنعة السباحة ان يعبر شبه ورما لم يقدر على ان يستجر وراءه ما خر
فهذه امور نسبته الطير عليها على ما هو محال جاهير الخلق كنسبة المشي على الماء
الى المشي على الارض والسباحة يمكن ان يتعلم الماشي على الماء، فلا كتب
بالتعلم على ان قوة التعلم ولذلك قال الله عليه السلام ان عيسى يقال انه
يمشي على الماء، فقال لو ازداد يقينا لمشى على الهواء، فهذه رموز واشارات

الى معنى الكراهة والمحبة والرضاء والغضب والشكر والكفران لا يليق
بعلم العامة اكثرها وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق
اذ عرف انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه وكانت عبادتهم غاية
المكمل حتى تم اضراب اعبدين يحب احدهما والسمه جبرئيل روح
القدس والاخر وهو عنده محبوب مطاع مكين ومبغض الاخر
وهو ابليس وهو اللعين المنظر الى يوم الدين فتامل الان كيف اشار
الى جبرئيل فقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال ايد
بالروح من عنده على من يشاء من عباده واحال الاغواء على ابليس
وقال لاغوينهم عن سبيلك والاغواء هو استيقاع الجفاء والنفور
عنه الحكم فانظر كيف نسب العبد الذي احبه وعندك في الغاية
له مثال فالملك اذا كان يحتاج الى من يسقيه الشراب والى من يحمه
ويمشط شعره ويتعهد عند الثياب والدورات وكان له عبدان فلا يعقل
الحمى والتنظيف الا احبهما واحسنهما ولا يرضى عمل الشراب الطيب
البارد الا احبهما واكملهما واحبهما اليه والمنبغي ان تتمثل هذا فعلى
فلم يكون فعله على فان فعلك اذا حطت اذا صنت وذلك ان الشيء
على هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه
والفعل المحبوب بالشخص المحبوب انما الاول فان عدلته تارة تميل
بالسوء الاول لك فيها وتارة تميل فانك ايضا من افعالك فاعبد ربك
وقدر ربك وعملك وسايس نفسك حيث شئت في النعيم الذي اعد
بالعدل ترتيبا تصدر منه الافعال المعتدلة الا ترى انك ترى الانسان
فتنظر ما نظر على وجه الشهادة فليس ليس بين عالم الغيب والملكوت
فلذلك تضيفه الى نفسك فانت مثل الصبي الذي ينظر اليه الى لعب

القدر فقد خرج عن الكلام عن قضية الاختيار واشرح بعلم العامة بالبس منه
خلوج الى قتال العسكر فتقول اذا رجع جيشه العسكر الى كون العبد مثلا
ان اتاهم بكتاب الله فاسكر العباد اصعد الى الله واقرهم اليه واقرهم الى الملائكة
ولما ابصر ترتيب وما منهم الا له مقام معلوم واعلاهم في رتبته الذين يليه
اصر افضل واتاهم علوا وجعلهم لانفسهم كرام برره وقد اصطفى الله بهم الانبياء
وهم اشرف مخلوق على وجه الارض في رتبتهم ورتبة الانبياء فانهم في النسبة اجنادهم
وقد رد الله بهم سايرالخلق وتمم بهم حكمته واعلاهم رتبة بنبينا صلى الله عليه وآله
اذ كمل الله به الدين وختم به النبيين وعليهم الحفظة الذين هم ورثة الانبياء فانهم
في النسبة صالحون وقد اصلح الله بهم سايرالخلق وورثة كل واحد بقدر ما اصلح
من نفسه ورتبته ثم علمهم السلاطين بالعدل لانهم اصلحوا دنيا الخلق كما اصلح
العلماء دينهم والاصل لجماع الملك والدين والسلطنة ليبنيا صلى الله عليه وآله
كان افضل من سايرالانبياء فانه اكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم والملك
والملك اخير من الانبياء ثم العلماء الصالحون الذين اصلحوا النفوس فقط
فلم يتم حكم الله بهم الا فيهم من عداهم لم يجمع رعاع واعلم ان السلطان يعلم
الذين فلا بس ان يستعمل ان كان ظالما فاستقبل عمر من الخاص الى
عشوم خير من نفسه يوم وقال النبي صلى الله عليه وآله سيكون عليكم
امراء يعتدون وما يصلح الله بهم اكثر فان احسنوا فلهم الاجر ولكم الشكر
وان اساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال صلى الله عليه وآله السلطان
نور من نور الله يسكن في السماء ونور في الارض يفيء الى كل مظلوم
منكم ومن رعاته السلطان فقال صلى الله عليه وآله ان الله تعالى كل يوم ينظر
نظرة الى سلاطين اهل الارض ونظرة الى سلاطين اهل السماء فمن اصلح منهم
فيصلح رعيته ورعيته وكان قول الخشاب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

الركن الثاني من اركان الشكر ما على الشكر وهو النعمة

وفيه ذكر فنه حقيقة النعمة واقسامها ودرجاتها واصنافها ومجامعها فما يخص ويعم فان احصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم امورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد بيان حقيقة النعمة واقسامها اعلم ان كل خير والذة وسعادة وكل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة الحقيقية هي السعادة الاخروية وتسمية ما عداها نعمة وسعادة اما غلط واما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تخلص عن الآفة نعمة فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن تكون اطلاقه على السعادة الاخروية اصدق فكل سبب يوصل الى السعادة الآخرة ويعين عليها النعمة بسيطة واحدة او بوسايط فان تسمية كل واحد منها نعمة صحيح وصدقه لاجل انه ينتهي الى النعمة الحقيقية والاسباب البعيدة واللذات المساة نعمة بشرها تنقسم الى الشهوات والمستلذ

اعلم

الاولى ان الامور كلها بالاضافة الينا منقسمة الى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ باتباع الشهوات والى الضرر في الحال وبوار ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والمآل هو المسمى حكمة كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء كحمقه وسوء الخلق والنافع في الحال الضار في المآل بلاء محض عند ذوي الابصار ويظنه الجهال نعمة ومثاله الحجامة اذا وجد عليها تقيء فانه يعد نعمة ان كان جاهلا واذا علم ان ذلك بلا سبق اليه الضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الالباب بلاء عند الجهال ومثال الدواء البشع في الحال مذاقه الآنه شفاء من الامراض والاسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبر الجاهل اذا كلف شربه بظنه بلاء والعاقل يريده نعمة وعسل النحل عند

اليه

اليه ويسمى اسبابه فلذلك تنفع الام ولدها من الحجامة والاب يمنعه الجاهل الاب بحال عقله بلحظ العاقبة والام مقصرة في وفور حبها بلحظ الحال والوصي جاهل تعلم منه ان امه دول لها ونفس لها والى شفقتها ويقدر الاب عدوا له ويعقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق لان نفعها اياه من الحجامة يسوقه الى الآلام وامراض اشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك يضر بها بالعمل به العدو العاقل

القسم الثاني اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة قد اثمر خيرا بشر فما فتلى يصنع خيرا كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسايز الاسباب ولكن نتسم ان نفعها اكثر من ضرره كقدر الكفاية من المال والجاه وسايز الاسباب والى حضور اكثر من نفعه وحين اكثر الاشتغال بالمال الكثير والجاه الواسع والى مجاوزة ضرره نفعه هذه امور تختلف بالاشخاص فرب انسان صلح بنتنع بالمال الصالح وان كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق يقل حسنه ورب انسان يستضر بالقليل ايضا اذ لا يزال يستصغر الرشا كيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء على حقه القسم الثالث اعلم ان الامور باعتبار آخر تنقسم الى ما هو مؤثر لذاته والى مؤثر لغيره والى مؤثر لذاته ولغيره فالاول ما يؤثر لذاته لا لغيره كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انقضاء لها فانها لا تطلب لتتوصل بها الى غاية اخرى مقصودة فانها لم تطلب لذاتها اكثر ما تقصد لغيره ولا غرض لصاحبها في ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجات لو كانت لا تقضى بها الحاجات هي والحجر كفاية واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الانصال اليها صارت عند الجهال بحيث لو انتهى الى محصورها ومجتمعها وتيقنوا عليها بالرياء وظنوا انها مقصودة وشال الاول شال من يحب شخصا فحب بسببه رسول الذي يجمع بينهم ثم يتنزل محبة الرسول

الى العيان وحفظه بخلاف المال اذ العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالانفاق وبالعلم ينقص الانفاق والمال يسرق والولاية يزول عنها والعلم لا تمتد اليه ايدي السراق بالاخذ والايدي السلاطين بالقهر فيكون صاحبه في روح الامن ابدا وصاحب المال والجاه في كرب الخوف ابدا والعلم نافع ولذيذ وجميل في كل حال وابدا والمال انما يتذ به الى الملاك وزواله يكد الى النجاة ولذلك قد تم الله المال في القرآن في مواضع وان ما جاء في موضع والاقتصار اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق والمنساز هم ومرضى قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا اما لقصور فطرته او لفساد خلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة الغسل والطعم والسماع والاستلذاذ بالمعاني وذلك لا يدل على انها ليست لذيذة ولا استطابة للناس بل يدل على انه الذ الاشياء فالصارفون عن درك لذة العلم والحكمة ثلثة اما من يحمى فلا طفه كالطفل واما من مات قلبه لحياة باتباع الشهوات واما من مرض قلبه باتباع الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم مرض يشير الى مرض العقول وقوله لينذر من كان حيا اشارة الى من لم تمت حياة باطنه وكل حي تالم بالموت فلم يتلذذ به وعند هذا من الموت وان كان عند الجهال من الاعداء ولذلك قال الشهداء احياء عند ربهم يرزقون وان كانوا موتى الابدان الثالثة لذة مشاركة الانسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات والثالثة ما يشارك فيها سايز الحيوانات كلذة الطعن والفرج وهذه اكثر نباهة وجودا وهي اخسها ولذلك اشترك فيها كل دابة ودرج حتى الديدان والحشرات

ومن جاوز هذه الرتبة تشبثت به لذة الغلبة ومن اشتد به الاتصاف بالمتفاوتين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار اعلى اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا محالة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته والعلم بهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب واخرها خروجا من روس الصديقين حب الرياسة وما شره الطعن والنمر فكثيرا ما تتمكن عليه الصالحون وشهوة الرياسة لا تنمحي على تمرة الا الاصديقون فانها تتمكن عليهم حتى لا تقع بها الاحساس عند الدوام وفي اختلاف الاحوال شبه ان تكون خارجة عن مقدور البشر فهم تغلب لذة معرفة الله في احوال لا تقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة لكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم المتاب الى اربعة اقسام قلب لا يحب الا الله ولا يستريح الا لزيادة المعرفة والكشف فيه وقلب لا يدرك لذة المعرفة فهو حامي الانس بالله والتلذذ بالمناجاة والرياسة والمال سايز الشهوات الدنيوية وقلب اغلب احواله الانس بالله والتلذذ بمعرفته والكشف عنه ولكن قد يعتريه في بعض الاحوال الرجوع الى اوصاف البشرية وقلب اغلب احواله التلذذ بالصفات البشرية وقد يعتريه في بعض الاحوال تلذذ بالعلم والمعرفة الا ان الاول فان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد والثاني قد يكون طالبا فيه وما الثالث والرابع فموجود ولكن على غاية الندور ولا تصور ان يكون الا دراك ذا رتبة موضع الندور بتفاوت في القلة والكثرة وانما يكون كثرة في الاعصار القريبة من اعصار الانبياء فلا يزال يزداد العهد طولا فيزداد مثل هذه القلوب قلة الى ان تقوم الساعة وعند الله اسرار الملكوت يضعونها وانما

محمد الاصل فعوض عنه طول عمره والزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده
ونوعاية الجمل من الضلال وهو الثالث ما تقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة
فانها تقصد ليتقدر بسببها على الفكر والذكر الموصلين الى لقاء الله تعالى والوصول
بهما الى الستيفا، لذات الدنيا وتقصد اعظم لذاتها فان الانسان وان استعذب
عن المشي الذي يراد بسلامة الرجل لاجله فريد الف سلامة الرجل من حيث انها
سلامة فان المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعيم بحسبها والمؤثر لذاته ولغيره انعم
فهو نعيم ولكن دون الاول فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا وصال
الى نفسهما من حيث هما جوهران بانهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان
فكذلك النعمة في حق من يقصد ما ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما فلولا كان
مقصده العلم والعباده وعلم الكفايه التي هي ضرورة حياته لم يعتد عنده الا
والمدر وكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل يشتغل بوجودهما
عن الفكر والعبادة فكذلك بلاء في حقه ولا كذلك من نعم العشرة الباقية اعلم
ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ والالذ هو الذي يدرك
واحسنه الى الحال والنافع هو الذي يتعدى الى المآل والجميل هو الذي يحسن في
الحالين والشر والضر ينقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين
ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلثة اما
الخير كالعلم والحكم فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل العلم والحكم واما
الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم وانما يحس الجاهل بالجهل اذا عرف
انه جاهل بان يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك الم النقص فتنقبض
منه شهوة العلم اللذيذ ثم قد يضعف الجد والفكر والشهوات اللذيذة عن العلم
فتحاذيه متضادان فمفظم الحكمة ان تترك التعلم اما بالجهل او ذل التعلم
وان تحصل بالتعلم ثم تترك الشهوات او تترك الكد والتعلم ومثل هذا

الشخص

الشخص لا يزال في عذاب الم الجوع والضرب الذي مثلته وهو الذي جمع بعض الاوصاف
دون بعض فرتب نافع مؤلم كقطع الاصبع المتاكلة والسلعة الخارجة من البدن
ورتب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قيل
استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال الى ان يحين وقت
هلاكه ورتب نافع من وجه ضار من وجه كاقتناء المال في اليوم عند خوف
الفوت فانه ضار للمال ونافع للنفس في نجاتها والنافع من حيث ضرورتها كالاكل
وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الاخرة واعني بها العلم والعمل اذ هما
مقامها البتة عنهما والمال لا تكون ضرورة كالكعبتين مثلا في حق اهل
الصفوا فانه قد تكن تكينها بما يقوم مقامه العشرة الخامسة اعلم ان النعم تنقسم
عن كل الذين والذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصها
او مشاركتها لغيره ثلثة انواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات
مشتركة مع جميع الحيوانات اما العقلية فكلذة العلم والحكم اذ ليس يتلذذ بها
السمع والبصر والشم والبطن والفرج وانما تتلذذ بها القوة المختصة
بصفوة جوهرها العقل وهذه اقل الذات وجودا واعلى شرفها اما قلتها فلان
العلم الاعلى والحكم الاستدلالية الاحكيم والاقل اهل العلم والحكم والاكثرون
بامهم والترسان بحسبهم واما شرفها فلانها لازمة الاثر ولا ادل على الدنيا
والاخرة وبقائها لانها تطعام لا يشبع منه فعمل وشهوة الارتفاع منزع
عنها فيستشقل والعلم والحكم قط لا تصور ان يمل ويستثقل ومن قدر على
الشرف الباقي بدل الاتا داذا رضي بالخسيس الفاني فاقرب الاداة هم صاحب
في فضله مجروح لشقاوته وتردده بين وافل مرفوض ان العلم والعقل الكامل

فقد طغى في الميزان وان العدل ان يحلو وزنه وتقدير عن الطغيان والخسران
فيعتدل به كفتا الميزان فاذن الفضائل الحاصلة بالنفس المتوزنة الى اقسمها
اربعة علم بحقائقه وعلم بمصالح عقته وعدالته ولا يتم هذا فوق الاربع
الا بالنوع الاخر وهو الفضائل البدنية وهي اربعة الصحة والقوة والجمال
وطول العمر والاتيا، هذه الامور الاربعة الا بالنوع الثالث وهي النعم
الخارجة المطيفة بالبدن وهي اربعة المال والجاه والاهل والعشيرة
ولا منتفع بشيء من هذه الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع
وهي الاسباب التي يجمع بها وفيها تنبيه الفضائل النفسية الداخلة
واربعة هاتيه اسم وشكله وتسديده نحو هذه النعم عشرة
اذ قسمنا الاربع وقسمنا كل واحدة الى اربع وهذه الكثرة يحتاج النقص
الى بعض الحاجة ضرورية او نافعة اما الحاجة الضرورية كحاجة سعادة
الاخرة الى الايمان وحسن الخلق فلا سبيل للوصول الى سعادة الاخرة
البتة الا بها فليس للانسان الا ما سعى وليس لاحد الاخرة الا ما تزود
له الدنيا وتزوده حاجة الفضائل النفسية كحسن الخلق وتهذيب الاخلاق
الى الصحة البدن ضروري واما الحاجة النافعة فهي على الجملة كحاجة هذه النعم
الثلث والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والجاه والاهل فان ذلك لو
عدم بالكلية لم تتطرق الحاجة الى بعض النعم الداخلة فان قلت فما وجه الحاجة
لطالب الاخرة الى النعم الخارجة من المال والاهل والجاه والعشيرة مع
ان هذه الاسباب جارية مجرى الحبائل والمبلغ والاداة السهلة للتقوم
اما المال فالتقوم على طلب العلم والكمال وليس معه كفاية يسعى الى العلم
فيشتغل بالكسب ويروم الصيد بلا حبائل ولذلك قال عليه السلام نعم المال
الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون على تقوى الله المال كيف وقع

المال صار مستغرق الاوقات طالب التقوى وقد تنبه الناس والكن ضرورات
المعيشة تعوق عن انواع من التاذي تشغل عن الفكر والفكر لا يدفع الابتلاء
المال ثم مع ذلك يحوم فضيلتي الحج والزكاة والصدقات وافاضة الخيرات
وقال بعض السلف وقد سئل ما النعم فقال الغنى فقال رايت الفقر لا عيش له
قيل فزد فقال الامن فقال رايت الخوف لا عيش له قيل فزد فقال الشباب
فقال رايت الهرم لا عيش له وكان ماذكره اشارة الى فضل الدنيا وكذلك حث
انه معين على الاخرة فهو نعمة ولذلك قال عليه السلام من اصبح معافى في بدنه
امنا في سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها واما الاهل
والولد الصالح فلا حاجة فيها اذ قال صلى الله عليه وآله نعم العون على
الدين المراة الصالحة وقال في الولد اذا مات العبد انقطع عمله الا من
ثلث وولد صالح يدعو له الحديث وقد ذكرنا فوايد الاهل والولد وكيف التكاثر
واما الاقارب فهم اكثر اولاد الرجل واقاربه كانوا له مثل الاعين والايدي
فيتيسر بسببهم الامور الدنيوية والمهمات الدينية والوانوذ به لطال تشتت شمل
ما نوع قلتك عن ضرورات الدنيا فهو معين على الدين فنوا ذن نعم واما الجاه
والجاه فيه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضيم ولا تستغني عن حمل فانه
لا سلك عن حدود يوذيه وظالم تشوش عليه علمه وعمله وفراغه وتشغل قلبه
وتحطم نفسه ماله وانما يدفع هذه الشواغل بالقهر والجاه ولذلك قيل السلطان
توامان وقال اسرقهم ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض
والمعنى للجاه الاملاك التي لا تعين للغنى الاكل الدراهم ومن ملك
الدراهم تسخرت له ارباب الحلوب لدفع الاذى عنه فكما يحتاج الانسان
للاستغناء يدفع عنه المطر جبته يدفع عنه البرد وكلب يدفع الذيب
من ماشيته فيحتاج ايضا الى من يدفع الشر عن نفسه وعلى الاقتصاد في الحاجة

قال الاعرابي رايت المرض لا عيش له قيل فزد

ان يكون نادرا لانه يضاد ملك الاخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون فكما
لا يكون الخلق في الملك والجمال الا نادرا وأكثر الناس من دونهم فكذلك
الاخرة فان الدنيا بالاضافة الى الاخرة فانها عالم الشهادة تابع والاخرة عبارة
عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما ان الصورة في المرآة
تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وان كانت هي الثانية
في رتبة الوجود فانها اولى في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وترى
صورتك في المرآة او لا فتقف بها صورة تمثالك من قاعة بيتك ثانيا فكل اصل
للحاكاة فانقلب التابع في الوجود مستوعبا في حق المواجهة وانقلب المتبوع
مقتديا وهذا النوع من الانعكاس والاشكاس ضرورة هذا العالم وكذلك
عالم الملك والشهادة محاكى لعالم الغيب والملكوت ففي الناس من يسير
لم نظر الاعتبار فلا يقف على شئ من عالم الملك الا ويعبر به الى عالم الملكوت
فيبصر صورة عبرة وقدرة الخالق به فيقول فاعتبروا يا اولي الابصار ومنهم من عميت
بصيرته فلم يعبر فاقتصر على عالم الملك والشهادة وستنفتح ابصاركم
ابواب جهنم وهذا الحبس تمثيليا ما راث نهاك ان تطلع على الافئدة الآن
بينه وبين ادراكك المحجاب فاذا رفع الحجاب بالموت ادركت وهذا
اظهر لك الحق على لسان قوم استطلعتهم بالحق فقالوا الجنة والنار تخيلا فقال
ولكن لتجيئن يدرك بنور الحق وهو باوراك الاخرة كما يدرك
اليقين وعين اليقين لا الاول الاخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا
ولكن للدين وفرخطهم من نور اليقين فلذلك قال لتقولن علم اليقين
لترون الجحيم اي في الدنيا لتزوننها عين اليقين اي في الاخرة فاذن ظهر
ان العلم الصالح لملك الاخرة لا يكون الا غزيرا كالشخص الصالح لملك الدنيا

القسم السادس في المهلكات وهي جوامع الشر اعلم ان الشر منقسم الى ما هو غاية مطلوبة لذاتها
والى ما هو مطلوبة لاجل الغاية اما الغاية فانها سعادات الاخرة وهي حاصلها
الى الراجعة امور بقاء لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر
بعده وهي النعم الحقيقية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لا عيش الا عيش الاخرة. قال ذلك عزوفا لشدة قلبه للنفس
وذلك وقت خوف الخندق في شدة الضر فان ذلك وزوة في السرور
صفا للنفس الى الركون الى سرور الدنيا وذلك عند اطراق الناس بدل
حجة الوداع وقال رجل اللهم انك تعلم النعم فقال عليه السلام وهل تعلم
تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة واما الوسائل فمنقسمة الى الاشرف الاخص
كفضائل النفس الى ما يليها في القرب كفضائل البدن وهو الاشرف والى
ما يليه في القرب وهي الاموال كاسباب العافية بالبدن من المال و
الاهل والعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس و
بين ما حاصله للنفس كالتوفيق والهداية فمن اذن اربعة انواع النوع
الاول وهو الاخص الفضائل النفسية وهي جماع حاصلها جميع السعادات
اطرافها الى الايمان وحسن الخلق ومنتهى الايمان الى علوم الكاشفة وهو العلم
بالله وصفاته وملائكته ورسله والى علوم المعاملة وهي تنقسم الى قسمين
ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه العفة وعراعاة العدل في الكف عن
مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمنع اصلا ولا قدر كيف شاء بل يعدل
اقدامه واحجامه بالميزان العدل الذي انزله الله تعالى مع رسوله صلى الله
عليه وآله اذ قال الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان في اخفى منه لترك شهوة النكاح واركى الاكل حتى ضعف عن
العبادة والذكر والفهم فقد اخسر الميزان ومنشأ كل شهوة البطن والفرج

النكاح ح العذرة والاولاد
اوكد

الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم
جاها وتزلفا على اقرانهم الدين لاجله قصد التناول منهم فالتملق والاستكثار
والاستشارة في الدنيا تبعتهم ولا تطيق ان نعرفه امرنا على رسوله
صلى الله عليه وآله حث نصره واكمال دينه واظهاره على جميع اعدائه وكان
في القلوب حتى التسع بغزوه وجاهه كملت افضل من نصره عليه من
كان يؤذي ويضرب حتى اضطر الى الهرب والهجرة فان قلت كيف العشيرة
وشرف الاهل في النعم ام لا فاقول نعم قال رسول الله صلى الله عليه وآله
الائمة من قريش ولذلك كان عليه السلام من اكرم رؤساء في نسب آدم
ولذلك قال صلى الله عليه وآله تخيروا لنطفكم وقال اياكم وخضراء الدمن
قيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء فهذا الضرب
من النعم والتاهي به الانتساب الى الظلمة ارباب الدنيا مثل الانتساب
الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله والى ائمة العلماء والى الصالحين والابرار
المتدينين بالعلم والعمل فاي فرق فمن اغناه الفضائل البدنية
فاقرب الاضداد لشدة الحاجة الى الصحة والقوة والى طول العمر اذ لا تم
علم وعمل الا بهما ولذلك قال عليه السلام افضل السعادات طول العمر
طاعة الله وانما يستخرج من جملتها آخر الخصال فمثال كمي ان يكون البدن
سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات وهي الخصال القليلة الكمية
من الخيرات اعم الاموال الدنيا فلا تخفى نفعه فيها والمال الاخرة في وجهين
احدهما ان التبسط مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجسد لا الاجابة
اقرب وجاهه في الصدور اوسع فكانه مزاد الوصول جناح مبلغ
كالمال والجاه اذ هو ينوع قدرة اذ تقدر الجسد الوصول على تخير حاجات
الاقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا معين على الاخرة

بواسطتها والثاني ان الجمال مذ الماكرة مثل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشرقته
تادي الى البدن فالمتطرف والجبر كثيرا ما يلازمان ولذلك قول اصحاب الفراسة ان
موقنه مكارم النفس على بينات البدن وقالوا الوجه والعين مرآة الباطن
ولذلك يظهر في اثر الغضب والسرور ولذلك قيل ظلمة الوجه عنوان في النفس
وقيل لم الارض فيح الا وجه الجسر ما فيه واحسنهن الاسود حتى قالوا فرض عليه
رجل قبيح فاستطلقه فاذا هو اكمل فاستطلعه حتى سلم الرجل وقال الوجه ان
اشرقت على الظاهر فصباحة الاصل الباطن فصاحة وان اليس الظاهر والباطن
باطن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله اطلبوا الخير عند حسان الوجوه
وقال صلى الله عليه وآله اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجوه حسن الاسم وقال الفتوة اداء الشئ
درجات المصلين فاحسنهم وجها واجملهم بالامانة وقال تعالى ممتنا ذلك ويزاده
بسطة في العلم والجسم ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك لنوقة وانما نعني
ما ارتاح القائم على الاستقامة مع الاعتدال في القدر وتناسب الاعضاء وصفاء
خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليه فان قلت فقد ادخلت
المال والجاه والنسب والاهل في الذين خير النعم وقد ذم الله تعالى المال
والجاه وكذا رسوله صلى الله عليه وآله وكذا العلماء قال تعالى ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال علي عليه السلام
في ذم المال الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرء ما يحسنه وقيل المرء
بصغر الانيه فاعلم ان كونها نعما مع كونها مذمومة شرعا فاعلم ان من اخذ
العلوم من الالفاظ المنقولة المأثورة والعلوم المخصوصة بالفضلاء عليه
اغلب ما يهتدي بنور الله الى درك الامور على ما هي عليه ثم تتمثل النقل
على وفق ما ظهر له بها بالدليل مرة وبالتخمين اخرى فيحرز نعم معينة على الاخرة
لا سبيل الى حجبها الا الى فيها فتنا ومخاوف فمثال المال مثال الحية التي

فيها ترياق نافع وستر ناقع فان اصابها المغوص الذي يغوص وصد الاحتراز عن سمها وطرق استخراج ترياقها النافع كانت نفيسة وان اصابها السوداني الغواص عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذي تحته اصناف الجواهر واللآلي فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطرق الغوص وطرق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بغنيمة وان خاضه جاهل بذلك فقد هلك فكذلك مع الله تعالى المال وسماه خيرا ومدح رسول الله صلى الله عليه وآله وقال نعم العون على تقوى الله المال وكذلك مع الجاه والعز اذ ش الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الطهر على الدين كله وحببته الى قلوب الخلق وهو الذي بالجاه ولكن المتناول منهما قليل والمتناول بذوم المال واحد كثير وحيث ذم الرياء ذم الجاه انما يذم المقصود اجتلاب القلوب ومن اجاه هلك القلوب وانما كثر ذلك وقل ذلك لان الناس اكثرهم جهال يطرق الى نفيس طبيعة المال وطرق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بستر المال فسبيل الوصول الى ترياقه وهلكه بتساوي بحر الجاه قبل الغشور على جواهره وهو كما ذكرنا في اعلانها بل هو من بالاضافة الى هلاك احد فانه تصور ان نضاف الى النبوة الملك كما كان لسليمان وداود عليهما السلام فان الناس كلهم صبيان والاموال حيات والانبياء والعارفون معزولون وقد يضر الصبي بالافعى المغرم ثم المغرم لو كان الولد يريد قتلها وهو عالم وقد وجد حية وعلم انه لو اخذها لاطرحها لا فتدى به والده واخذ الحية اذا فالمليعب بها فيهلك فلذلك فرض في الترياق والغرض من حفظ الولد فاذا كان تقدير غلبة الضرر عن الترياق والاستضرر بضرر اكثر او لو اخذها لاخذها الصبي ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه ان يهرب عن الحية اذا رآها ويشير على الصبي بالهرب وتتبع صور تها في عينه ويعرف ان فيها سما قاتلا لا يجوز منه احد ولا يحدثه اصلا باجتماس منع الترياق فان ذلك

يفوته فيقدم عليه من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص اذا علم انه لو غاص في البحر يراى من ولده لا تبعه وهلك فواجب عليه ان يحذر الصبي ساحل البحر والنهر فان كان لا يتيسر حفظ الصبي بحجر او غير ذلك اما بحبس في البيت او بغير ذلك فواجب عليه ان يمنعه من الساحل مع الصبي فلا تترب منه بل هذا كذلك الا ترى في بحر الانبياء كالصبيان الاغبياء ولذلك قال صلى الله عليه وآله انما انا لكم مثل الوالد ولده وقال عليه السلام انكم تهافتون على النار تهافت الفراش وانا اخذ بحجزكم وحظهم الاوفى فسقط ولا دهم عن الهالك فانهم يتهافتون الا لذلك وليس لهم من المال حظ الا بقدر القوت فلا جرم اقتصر وا على قوت القوت وما فضل فلم يسكروه بل انفقوه فان الانفاق فيه الترياق وفي الامساك سم ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لوالوا الى سم الامساك ورغبوا عن ترياق الانفاق فلذلك فتح الاموال والمعدن يتتبع اساسها والحرص عليه للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها فالاخذ بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس في موضوع كل مساغ ان لاجل الاقتدار زاد في السرف اذ صح العزم على ان يختص باحياء فان المال سمحت نفسه لطعام الطعام وتوسيع الزاد على الاقران فلا باس بالاستكثار وقوله عليه السلام ليس ملع احدكم من الدنيا كزاد الراكب معناه لا ينبغي ان يجاوز والافقد كان ممن يروى هذا الحديث ويعمل به باخذ مائة الف درهم ان يرضى باحد وعشرين درهما وهذا لا يليق بمحاسن اخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم

واجب عليه ان يرى غوصه الترياق نفوسه الى آخره

فلان قرب منها متيقظا دائما ومستعدا ذاما وعن لاقاه بعد البعد والنوار النوار عن سفان الاخطار فلا تقل بالسلامة شنان حق هو لاء وهم الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى وهداه الطريقة فان تلف فاسعى لنعم الترنيق الهم الى الهداية والرشد والتاييد والتسديد فاعلم ان التوفيق لا يتفق عنه احد وهو عبارة عن التاليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا الشيء الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بموافق السعادة من حيث قضاء الله وقدره كما ان الاغواء عبارة عن الميل بخصص غير سبيل الباطل من الحق وكذا الارتداد والاخفاء بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل اذا لم يكن معون من الله للمرء فاكثر ما يجني عليه اجتهاده فالهداية لا تسهل لاحد الى طلب السعادة الا بها لان داعية الانسان قد تكون مائلة الى فنه صلاح اخرته ولكن اذا لم يعد ما فيه صلاح اخرته حتى نظن الفساد صلاحا فلن يتبع فيه مجرد الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد الهداية ولذلك قال تعالى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال عليه السلام ما من احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى اي بهدايته فقيل ولا انت يا رسول الله فقال ولا انا والهداية ثلاث منازل الاولى معرفة طرق الخير والشر المشار اليه بقوله تعالى وهديناه النجدين وقد انعم الله تعالى على كافة عباده ببعضه بالعقل وببعضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى واسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول وهي مبذولة والمنع منها بعيد والكثير حجب الدنيا والاسباب التي تعمل القلوب وان كانت لا تعمل الابصار وهي خمسة للمعيات الالف والعادة وحب الاستحياء مما يعتاد

العبارة بقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى وقالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله تعالى اشر امتنا واحد اتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر والمعيات هي التي منعت الابتداء والهداية اثنين وراءهما العادة وهي التي بدا الله تعالى بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حسب قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو المراد بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية الثالثة وراء الثانية وهي النور الذي اشرق على النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي بها الى ما لا يهتدي اليه بالعقل الذي هو اصل التكليف واسكان تعلم العلوم وهو الهدى المطلق وما عداه مجاز له وتعلقات وهو الذي شرف الله تعالى بتخصيص الاضافة وان كان الكل من الله حقيقة فقال تعالى قل ان الهدى الله هو الهدى وهو المسمى حياة في قوله اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وشرحه الذي شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه واما الرشد فيفهم به الغاية الاخيرة التي تقف الانسان عندها توجه الى مقاصده فيتوقف على ما فيه صلاحه وخيره وما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكتابة عالمين فالرشد عبارة عن هداية باطنة الى جهة السعادة محركة اليها فالبصر اذا بلغ حيز انحطاط المال وطرق التجارة فهو الا انه لكنه مع ذلك مقدر والمريد الاستبصار رشيدا الا العلم هدايته بل لقصوره عن تحريك داعيته فكم من شخص تقدم على تعلم ارضه فقد اعطى الهداية ومنع عن الجاه مثل الذي لا يدري انه يضره ولكن ما اعطاه الرشد فالرشد عند الاعتبار الا مر مجرد الهداية الى وجوه الاعمال ومنع عظيم والهداية قد توجب حركاته الى صوب المطلوب وتشير اليه ليشتغل صوب الصواب في اسرع وقت فان الهداية تجدها لا محالة بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكون

على البدن من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد بما بعثت
الداعية اليه فالبداية محض التعرف والرشد وهو تنبيه الداعية ليستيقظ و
يتحرك والتسديد اعانة والنصرة تحريك للاعضاء حسب السداد واما ان يد فكاكة
جامع للكل وهو عبارة عن تقوية الامر بالبصيرة من داخل وقوة البطش ومساعدة
الاسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى اذ ايدتك بروح القدس وترتب مشيه
العصفور هو عبارة عن جود الهي يسخر الملائكة ويؤيد به الانسان على تحري الخير
وتجنب الشر حتى يصير كما نص بالطفه غير محسوس واما عن بقوله تعالى وايد
بجنود لم تروها لولا ان رأى برهان ربه فمنعه من مجامع النفوس فتستعد الا
بايحاء الامر الالهي الصافي الى قلبه والسمع الواعي والقلب البصير المتفاضع المراعي
والعلم الصحيح والعمل الزايد على القوى عن تلقيه الناصر عما يشغل عن الله
بكثرته والعجز الذي يصونه عن سفساف السفهاء وظلم الاعداء وستدرس بكل واحد من
الاسباب التسعة عشر اسبابا وستدرس عن تلك الاسباب اسبابا الى ان ينتهي
بالاخرة الى دليل المتحيرين ومنجاة المضطرين وذكر الارباب والاسباب
واذ كانت تلك الاسباب طويلة لا تحتمل مثل هذا الكتاب استقصاء فلنذكر
منها انموذجا يعلم به سر قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها باب ٢
الانموذج في ذكر نعم الله وتسليمها وعجزنا عن الحصر والاحصاء اعلم ايها
النفس المستعرضة بالوصف عن سفساف الدنيا نعم الله الواقعة في الارتباط الماضرة لهذه النعم الواحدة
لو اردنا ان نستقصي الاسباب التي بها تتم هذه النعمة لعجزنا عنها ولكن الاكل الحاضر الصعب
فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التي بها تتم نعمة الاكل ولا كون الاكل فعل وكل فعل حدث
الموجد فهو مكون كل حركة فلا بد لكل حركة من محرك ولا بد للمتحرك من قدرة على الحركة وللارادة
ارادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وادراك له ولا بد للاكل من مأكول ولا بد للمأكول من اصل

يحصل والبدن من صانع يصلحه فلنذكر اسباب الادراك ثم اسباب الارادة ثم اسباب القدرة ثم اسباب
المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء الطرف الاول في نعم الله تعالى في خلق اسباب
الادراك اعلم ان الله تعالى خلق النبات وسواه كمل وجه لان الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر
الجواهر التي للتعدن والتعفن في النبات خلق فيه قوة بها يتخذ الغذاء الذي يتشبث جملة اصوله وعروقه
التي في الارض من تلك الآلات بها يجتذب الغذاء وهي الموكل بالدفعة التي تراها في كل ورقة تتفقط
اصولها ثم تشعب والآثار تستدق وتشعب الى عروق شعرية تنبسط في الهواء الوارد فحين تقع
البصر الآن النبات مع هذا الكمال ناقص فانه لو اعوزه غذا يباشر اليه وياتي اصابه حبس
ولكنه طلب الغذا من موضع آخر فان الطلب انما يكون بهرولة وبالاشكال الآلية والنبات عاجز
عن ذلك فمن نواميس علينا ان خلق لكل آلة الا احساس والآلة المحركة في طلب الغذا فانظر الى هذا
حكمة الله خلق الحواس التي هي آلة الادراك فاولها حاسة اللمس وان لم تكن لك حتى لو مسك نار
محرقة او سيف جارح تحس فتهرب منه وهذا احس يخلق الحيوان والمتصور حيوان الا ان يكون له
هذا الحس لانه ان لم يحس فلم يحس ان ينقى درجات الحس ان يحس بالملاصقة وبما ينال الانسان
بالمباعدة من احساس الرائحة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها اذا غرز
فيها ابرة انتفضت للهرب لانها كالنبات فان النبات يقطع فلا ينقبض اذ لا يحتاج الى الهرب لانه
لم يخلق لها الا هذا الحس لكنت ناقصا كالدودة والاقدر على طلب الغذا من حيث يعد فتمشي بل ما
يأس منك فتحس به فتجذبه الى نفسك بالحدقة فقط فاحتجت الى حس تدرك به ما بعد عنك فخلق لك
الشم لانك تدرك الرائحة ولا تدرى انها جاءت من اية ناحية فيحتاج ان تطوف برأسك
الحيوان فربما تقع على الغذا الذي تحت ركبة وربما اتعثر فتكون عاقبة النفقان لولا ان خلق لك
الانف فخلق لك البصر لتدرك ما بعد عنك وتدرك جهته مقصودا لك بعينها الا ان لو لم تكن

وعند ذلك تنقل غاية الحواس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس واصحاب الاخبار والمكاسر
سواحل المملكة وقد وكل كل واحد منها بامر مخصوص فواحدة باخبار الالوان والاخرى باخبار
الاصوات والاخرى باخبار الروائح والاخرى باخبار الطعوم والاخرى باخبار الحرارة والبرد و
الخشونة والملاسة واللين والصلابة وهذه البرد والجواسيس يتنصلون الاخبار من اطراف
المملكة ويبلونها الى الحس المشترك والحس المشترك قاعد من تقدم الدماغ مثل صاحب المنصف والكتب
على باب الملك وجميع المنصف والكتب الوارد من نواحي العالم يأخذها وهي مخزونة اذ ليس له الا
اخذها وحفظها فانا معرفة حقائق الامور فليس الى وكل ذي اصداف القلب العاقل الذي هو الامير
والملك سلم الاخبار اليه مخزونة فيتفشها الملك ويطلع منها على اسرار المملكة ويحكم فيها بالحكم
عجيبة الملك استقصاء وفي هذا المقام ويحب ما يلمح اسرار الاحكام والمصالح لحركة الجنود في الايفاد
مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في اتمام التدبيرات التي تعين لها فهذه مساقة نواميس الله تعالى عليك ان
الادراكات والا تطرق الينا استرسالنا فان الحواس الظاهرة بعض الادراكات والصور واحد
من جملة الحواس والعين الواحدة قد تدرك العين من عشر طبقات تختلف بعضها طوبات وبعضها
اغشية وبعض الاغشية كانها نسج العنكبوت وبعضها كالشيء وبعض تلك الطوبات كانها ماء الصفر
وبعضها كانه البلور والكل واحدة من الطبقات العشر صورة وشكل وهيئة وخرق ونقوب
وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر او ضعف واحدة من صفات التخلل الصحيح وعجز
الاطباء والكحالون عن معالجته فهذا من حس واحد فتش حاسة السمع وسائر الحواس بل الاكمل ان تتفكر في حكم الله
تعالى وانواع بديع صنعه في البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة ومعاني جملة لا تزيد على قدر حبة شعيرة
فتأمل تلك جميع حواس البدن وسائر اعضائه وهذه مراتب الانعام الله تعالى خلق الادراكات
الطرف الثاني في اصناف النعم في خلق الادراكات اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك

الا ما كنت ناقصا اذ لا تدرك بعد ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا تنكشف لك الاعداء الصدو
فتصرخ عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك الاصوات من وراء الجدران عند جريان الركات فانك
لا تدرك بالبصر الاشياء حاضرا واما الغائب فلا يمكنك مع فرط الانكلام شغلك عن جوف واصوات
تدرك بحس السمع فاشتدت الحاجة الى حاسة تدرك ذلك وميزت بهم الكلام من سائر الحركات
وكل ذلك لم كان يعنيك لو لم يكن لك حس الذوق اذ يصل الغذا الى فمك فلا تدرك انه موافق
لك او مخالف فتأكله فيهلك كالشيء يصيب فاصلها كل بارد والاذوق لما فتجزه وربما يكون ذلك
سببا لهلاكك فخلق لك حاسة الذوق لتدرك بها ما يوافقك فتأكله وما يخالفك فتجتنبه وربما لم يكن
الغذا الا بعيدا عنك فلا تدركه بالبصر ولا بالشم فلا تطلبه فخلق لك حاسة اللمس حتى تدرك
بها الحر والبرد والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة وهذه الحواس
تنقسم الى ما يدرك من قرب كاللمس والذوق والشم وما يدرك من بعد كالبصر والسمع
فالبصر يدرك الالوان والاشكال والمقادير والاعداد والحركات والسمع يدرك الاصوات
والحروف والنغمات والشم يدرك الروائح والذوق يدرك الطعوم واللمس يدرك الحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة وهذه الحواس تنقسم الى ما يدرك
الملك بنفسه وهي التي تؤدي اخبارها الى الحس المشترك كما يحضر الملك بنفسه ويسمع
الاخبار ويطالع الكتب والى ما يدرك بالواسطة وهي التي تؤدي اخبارها الى الخيال
كما يقرأ الملك الكتب ويسمع الاخبار من الرسل فالخيال هو الذي يحفظ الاخبار
والحس المشترك هو الذي يدرك الاخبار والخيال هو الذي يحفظها والعقل هو الذي
يتصرف فيها بالاستنباط والاستدلال والتركيب والتحليل فهذه جملة الادراكات
الظاهرة والباطنة

الغذاء من بعد وان خلق لك ميلا في الطبع وشوقا اليه وشهوة لتستحثك على الحركة الى المأكل ابتداء
فكم من مريض يرى الطعام وسواه انع الاشياء له وقد تسقط شهوته فلا تتناوله فتفقد البصر والادراك
معطلا في حقه فاضطررت الى ان تكون لك ميل الى ما يوافقك بشهوة ونزوة عما يخالفك بكراهة
لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله فيك شهوة الطعام وسلطها عليك وكلهك كالمتاجر
الذي يضطرك الى التساول حتى تتناول وتفتقر فتستقي بالغذاء وهذا مثار كل فتنة بين الحيوان من اول النبات
ثم هذه الشهوة لو اتركت اذا اخذت مقدار الحاجة اسرفت واهلكتك فخلق الله تعالى الكراهة
عند الشبع لترك الاكل بها لا كالزرع فانه لا ازال يجتذب الماء اذا انصب اليه ساقيا حتى يفسد مستغنيا
الى ادمي يقيد رغبته بقدر الحاجة فنسبته مرة ومنع عنه الماء اخرى وكما خلق لك هذه الشهوة حتى
تاكل فيبقى بدنك خلق لك شهوة القوام حتى تجامع فتستولد بضعتك ولو تصفحت عليك عجائب
صنع الله تعالى في خلق دم الحيض وتاليف البدن من النطفة والحيض وكيفية خلق الاشياء
والعروق السالكة اليها من العقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة
العروق وكيفية انقسام مقر الرحم الى قوالب فتح النطفة في بعضها فتشكل شكل الذكور وتتمرن
بعضها فتشكل شكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما
وعصبا وكيفية قسمة اجزائها الى الراس وجذع وبطن وظهر ويد وسائر الاعضاء لقضيت من الواجب العلم
عليك في مبدا خلقك كل العجب فضلا عما تراه الآن وكذلك سائر ما يتعرض الانسان الله تعالى
الاكل وحده كيلا يطول الاكل فاذا شهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك لانك
فانه تارك المهلكات من الجوانب فلولم يخلق فيك الغضب الذي يدفع كل ما يضادك والتوائم
لبقيت عرضة للافات والاخذ منك كل ما جلسته من الغذاء فان كل احد يشهى ما في يده فيحتاج
الى اعانة في دفعه ومقابلته وهي داعية الغضب ثم لا يكفيك هذا اذ الشهوة والغضب لا يحركان

الا الى ما يضر وينفع في الحال او المآل فلا يكفي فيه هذه الارادة فخلق لك ارادة اخرى مخرة
تحت اشارة العقل للتعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت ادراك الحس
المدرك للحالة الحاضرة فتهيأ اشتراكك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه الشهوة مثلا تضر
لا تضيف في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل الى العمل بموجب المعرفة وهذه الارادة اخرجت بها
عن البهائم اكراما لبني آدم كما اخرجت بالعواقب وقد سميتا هذه الارادة باعثا دينيا
وفصلنا في كتاب الصبر تفصيلا اوفى من هذا **الطرف الثالث** في علم الله تعالى من خلق القدرة
والآلات المحركة اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة لا معنى لها الا الميل لذا الطالب او
الهارب وهذا لا كفاية فيه ما لم يكن آلة الطلب والهرب فكم من زمن مشتاق الى شيء يعيد منه
مدرك لكنه لا يمكنه ان يمشي اليه لعقد رجله او لا يمكنه ان يتناوله لعقد يده او لبناء او حفرة
فيها فلا بد من الحاسة الآلات المحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى شهوة
طلبا او بمقتضى الكراهة هربا فلذلك خلق الله تعالى لك الاعضاء التي تنظر الى ظاهرها والوقوف
اسرارها فمنها ما هو للطلب كالرجل للانسان والجناح للطير والقوائم للدواب ومنها ما هو
للدفع كالاسلحة للانسان والقرون للحيوان وفي هذا اختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها
ما مقره الهرب، وبعد هذا فتحتاج الى معرفة المحرك فخلق الله تعالى لك الجناح ليطير سرعة ومنها ما خلق له
اربع قوائم ومنها ما له رجلان ومنها ما يدب وبعد ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التي بها تمام الاكل فقط
لتقاس عليها غيرها فمنها ما يتناول وتلك اليد لانك لو اخذته فاقتربت الآلة
باطشة فانظر الله عليك بجعل اليدين وبها طرفان فمدان الى الاشياء وتشتملان على مفاصل
كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتد وتنثني اليها فلكون بحيث منصورة ثم جعل راس اليد عريضا
بخلق الكف ثم قسم راس الكف بخمسة اقسام هي الاصابع وجعلها في ضعف بحيث تكون الابهام

الى الانسان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام الى الفم مع ما فيه من فائدة للذوق وعجائب قوة
النطق التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب انك قطعت الطعام بالحنك وهو يابس فلا قدرة على الابتلاع
الا بان ترزق لها الحلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا منبض الفوائد
ينصب منه دائما الحاجة حتى يتمحن به الطعام وانظر كيف سخر لك هذا الامر فانك ترى الطعام من بعيد
فيثور المسكين للحذر وتصب اللعاب حتى تحلب اشداقك والطعام بعيد منك ثم تحتاج
بهذا الطعام المطحون المتمحن الى من يوصله الى المعدة وهو فوق الفم ولا قدرة على ان تدفعه باليد
ولا في المعدة يد حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف سبا الله تعالى للرئ والحنجرة وجعل على
راسها طبقات منخرق لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى تغلق الطعام بضغطها فيهوي
الى المعدة في مدخل الرئ فاذا ورد الطعام على المعدة انهوى عليه فاكته متطبقة فلا الصق الا يضغطا
وطبقا وحملا على هذه الشبكة بل لا بد ان يطبخ طبخا ما تشابه لجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة
قدر فتقع فيها الطعام فتحوى عليه وتغلق عليه الابواب فلا زال لا شابه فيها حتى تهزه الهضم والنضج
بالحرارة التي تحيط بالمعدة من الاعضاء الباطنة اذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر الطحال
ومن قدام الترب ومن خلف جزء الصلب فمقدس الحرارة الهاضمة تسخن هذه الاعضاء المجاورة
حتى ينضج الطعام ويصير بما يحتاج بها للصلح للتغذية في تجاويف العروق وعند ذلك تشبه ما
الشعير من قشاره اجزاءه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية محل الله تعالى فيها ومن الكبد مجاري
من العروق وجعل لها ثقوبا كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فيبقى الماء الكدر والكدر معجون من طبيعة الدم
كانه دم وفيه عروق كثيرة منشورة في اجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر
الى اخرها حتى يستولي عليه قوة الكبد فيصبغه بلون الدم فينتشر فيها يصلح لينضج او يصلح
لهيئة الدم الصافي لاصلح للتغذية الاعضاء، الا ان حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فتتولد من
هذا الدم فضلتان كما تتولد من جميع ما يطبخ احدهما شبيهة بالدردي والعكر في الخلط السوداوي

الاشيء مخرق
بمنشر الكبد
والاعضاء

في جانب ويدور على الاربعة الباقية ولو كانت مجتمعة لم تتمكن من احصاء تمام غرض كل واحد منها
وضعفا ان بسطتها كانت تلك مجرفة وان ضممتها وثنيتها كانت تلك مجرفة وان جمعتها كانت
تلك آلة للضرب واذا انشرتها تمام قبضتها كانت كذلك الى القبض ثم خلق لها اظفارا هو
اسند لها ورؤس الاصابع حتى لا تستقت وحتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تحويها
الاصابع فانظر كيف اخذت الطعام باليد فمن اين يمكنك هذا
بما لم يصل الى المعدة وهي في الباطن فلا بد ان يكون من الظاهر ويدخل حتى يدخل الطعام من
فجعل الفم منفذا الى المعدة مع ما فيه من المحن الكثيرة بسبب كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم
ان وصف الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا تتيسر ابتلاعه فيحتاج الى طاحونة يطحن بها
الطعام فخلق الحيين من عظمين وركب فيها الاسنان وطبق الاضراس من العليا على
السفلى لتطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام تارة تحتاج الى المرور تارة الى القطع ثم تحتاج الى
الطحن بعد ذلك صيرة الاسنان الى عريضة طواحن كالاضراس الى حادة قواطع كالرباعيات
والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل الحيين متخلخلا بحيث يقدم الفك الاسفل
ويتاخر حتى يدور على الفك الاعلى دورانا لا حيز ولولا، لما تيسر الاضراب احدهما على الاخر
مثل تضييق البدين مثلا وذلك لا يتم الطحن بمفصل الثنى الاسفل متحركا كما تحرك دولاب الطحن
ثابتا لا يتحرك فانظر الى التجويف صنيع الله فان كل من يحاول صنعة لخلق ثبت منها الحجر الاسفل ويدور
الاعلى لانه اخف الى صنعها الله اذ يدور منها الاسفل على الاعلى فسبحانه ما اعظم شانه
واتم برهانه ولو سلمنا متناثرة ثم هب انك وصفت الطعام في فضاء الفم فكيف يحرك الطعام
تحت الانسان او كيف يتحرك الانسان الى نفسها وكيف تصرف الكبد في داخل الفم فانظر
كيف الهم الله تعالى عليك بخلق اللسان فانه رطوفة في جانب الفم ويرد الطعام من الوسط

ثم نعم الله في الاصول التي منها تحصل الاطعمة كثيرة وسخر تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وابتدأ بذكر النبات لانه اصل كل طعام يطول فان الطعام اما دواء واما فواكه واما اغذية فلنأخذ الاغذية فانها الاصل ولنأخذ من جملتها حنطة من البر ولنذع سائر الاغذية فنقول اذا وجدت حنطة اوجبات فلو اكلتها فنيت وبقيت جائعا فما اسهل ذلك ان تزاحيه نفسها وتزيد وتضاعف حتى من حبة حنطة خلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما تغتذي به كما خلق فيك فان النبات نام يغتذي كما ينمو الحيوان والنامي كما يغتذي الا انه يغتذي بالماء ويجتذبه بالطافته بواسطة العروق كما تغتذي انت وتجتذب ولسنا نطيل بذكر الآلات للنبات في اغتذائه الغذاء الى نفسه وكيف تشرع الى غذائه فنقول كان الحب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى الطعام مخصوص فكذلك الحب لا يغتذي بكل شيء بل يحتاج الى شيء مخصوص بدليل انه لو تركته في البيت لم تزده الا نمطا بها الا الهواء وحده الهواء لا يصلح لغذاء النبات ولو تركته في الماء لم تزد ولو تركته في ارض لا ماء فيها لم تزد بل الماء من ارض ههنا، يشرح ما وجه كون الارض فيها والله اشار تعالى في محكم كتابه الى الطعام الذي انا صبينا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا والتراب اذا لو تركت في ارض نديه صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فاحتاج الى تركه في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء اليها ثم الهواء الذي تحرك النسيم فتحتاج الى ريح تحرك الهواء وتصرفه بقدر فتحتاج الى ارض حتى تغذيها والى الاشارة بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما الماء يحتاج الى ارض ذوات هواء فيها الهواء والارض ثم تحتاج الى شمس تفيء عليها وتحميها فان الشمس تحلل الماء الذي في الارض فيصعد بخارا فيتكاثف في الهواء فيصير سحابا ثم يعود ماء فيحتاج الى ارض تقله وهي الجبال والانهار والسواقي فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون واجرى منها الانهار ثم الارض ما تكون مرتفعة ولا منبطة لا ترتفع الماء فانظر كيف خلق الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى اقطار العالم ومع سحبها ثقالا حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الارض في وقت الزرع والخرف على حسب الحكمة وانظر كيف خلق الجبال حوافظ للمياه منبعا منها العيون تدرجا

فلو خرجت نفسه لفرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله تعالى في الجبال والسحاب والامطار للمكن لحصاد وما والحرارة فانها لا تحصل من الماء والارض وكلاهما بارد فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلق بعدها عن الارض سخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة احدهما حكم الشمس والحكم فيها اكثر لان بحتى تم انبات ان ارتفع من الارض كان في الفواكه انضاد وصلابة فتحتاج الى رطوبة ينضجها فانظر كيف خلق القمر وصل في خاصيته الرطب كما جعل في خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه وبصبغها بقدير الغاط الحكيم وكذلك لو كانت الاشجار في ظل منع شروق الشمس والقمر والكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة اذا ظللت شجرة كبيرة تفسد وتعرف تراطيب القمر بان تكشف راسك ليلة من الليل فتعلم على راسك الرطوبة التي بعد عنها بالكمام فكما طرأ لك راسك يرطب الفواكه الخ ولا نطول فيما لا يطلع في استقصائه بل تتوصل كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخر الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا يحصيها الا هو وقد اكمن كذلك خلقها عبثا وباطلا والله يقول تعالى واخلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين وقوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك وكما انه ليس في احصاء ذلك تحصيل الا فائدة فلك في احصاء بدن العالم عضوا لا فائدة والعالم كله شخص واحد واحاد اجسام كالاعضاء لو وجد متعاونة تعاون الاعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي ان تظن ان الابدان النجوم والشمس والقمر سخرت لك بل سخرت لامر الله تعالى في امور جعلت اسبابا لمعاشك والله الحكم لا معقب لحكمه وقد ورد في من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم عنى به النهي عن احد امرين احدهما ان تصدق بانها تعلم الاشياء بانفسها وانها تسير سيرة تدبر بها خلقها وقدرة وذلك كفر والثاني ان تصدق المنجمين فيما يخبر ونه عن الله تعالى من الاشياء التي لا يشركه في علمها احد كما قال الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فان علم احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء انذر بها حكام العالم فلم يسق الا ما هو مختلط لا تميز فيه فالصواب في الحكم فاعتقاد كونه

الكواكب اسبابا بالتأثير تحصل بخلق الله تعالى الارض وفيها النبات والحيوان ليس تعاد في الدين بل هو الحق ومن دعوى العلم بذلك الا بالوحي والتفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان بعد ثم غيبته وتردد تخفيفه تعالى الكل عن ركب الى الثواب وبالعكس فالشمس قد طلعت وحر الهواء الا ان يكون تذكيره ولا يذكر الا انكار يحيد الستر الهواء على طلوع الشمس واذا سألت عن تعريف الانسان فعال من عشي الشمس في الطريق فاسود وجهي الا ان يكون تذكيره وقس بهذا سائر الآثار الا ان بعضها معلوم وانا بعضها مجهول فالمجهول لا يخوض فيه والمعلوم بعضها معلوم للناس كلهم كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس ومنها ما يعلمه بعض الناس كحصول الامطار بشروق القمر فان الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى فقد تظاهرت رسول الله صلى الله عليه وآله الى السماوات بقوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وقال بعض من قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته ومعناه ان تواتر ترك التأمل والتفكر في ملكوت السموات على ان يعرف من السماء ضوء الكوكب وذلك لا يعرفه الا هم فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فتفكر في ملكوت السموات والارض والآفاق وفي الانفس والحيوانات والنباتات عجائب يطلب معرفتها المشغوف به فان من احب علم الازار شغوفا بطلب تصانيف فيه وادمن الوقوف على عجائبه علم كذلك الامر عجائب صنع الله فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب العباد فان تعجب من تصنيف فالتعجب من المصنف الذي سخر المصنف لتأليفه بالهامه عليه بدائه وتسديده وتقويمه كما اذا رأيت لعب المشغوف ترقص وتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تتعجب من اللعب فانها حركة محركة لا تحركه ولكن تتعجب من ضدق المشغوف المحرك لها وارتباطه فيه عن الاصابع وذوي المعاصل فكذا النبات لا تأثير الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب والتراب ذلك الا بالافلاك التي هي محركة فيها والامر الملائك لا تحركها والامر تحركها الا بالملك سماوي محركها

وكذلك تتادى ذلك الى الاسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها باذكرناه على امثالها، والسعيد من فكر اسباب غذاء النبات الطوف الكاسي في اصل خلق الله تعالى الارض وفيها النبات والحيوان ليس تعاد في الدين بل هو الحق ومن دعوى العلم بذلك الا بالوحي والتفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان بعد ثم غيبته وتردد تخفيفه تعالى الكل عن ركب الى الثواب وبالعكس فالشمس قد طلعت وحر الهواء الا ان يكون تذكيره ولا يذكر الا انكار يحيد الستر الهواء على طلوع الشمس واذا سألت عن تعريف الانسان فعال من عشي الشمس في الطريق فاسود وجهي الا ان يكون تذكيره وقس بهذا سائر الآثار الا ان بعضها معلوم وانا بعضها مجهول فالمجهول لا يخوض فيه والمعلوم بعضها معلوم للناس كلهم كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس ومنها ما يعلمه بعض الناس كحصول الامطار بشروق القمر فان الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى فقد تظاهرت رسول الله صلى الله عليه وآله الى السماوات بقوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وقال بعض من قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته ومعناه ان تواتر ترك التأمل والتفكر في ملكوت السموات على ان يعرف من السماء ضوء الكوكب وذلك لا يعرفه الا هم فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فتفكر في ملكوت السموات والارض والآفاق وفي الانفس والحيوانات والنباتات عجائب يطلب معرفتها المشغوف به فان من احب علم الازار شغوفا بطلب تصانيف فيه وادمن الوقوف على عجائبه علم كذلك الامر عجائب صنع الله فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب العباد فان تعجب من تصنيف فالتعجب من المصنف الذي سخر المصنف لتأليفه بالهامه عليه بدائه وتسديده وتقويمه كما اذا رأيت لعب المشغوف ترقص وتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تتعجب من اللعب فانها حركة محركة لا تحركه ولكن تتعجب من ضدق المشغوف المحرك لها وارتباطه فيه عن الاصابع وذوي المعاصل فكذا النبات لا تأثير الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب والتراب ذلك الا بالافلاك التي هي محركة فيها والامر الملائك لا تحركها والامر تحركها الا بالملك سماوي محركها

التهديد للامة ثم تهيئة الارض بالحرث ثم الحصاد ثم الدرس والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتامل
هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد الالات التي تحتاج اليها من الحديد
والخشب والحجر وغيره وانظر الى اعمال الصناع واصلاح الالات الحراثة والطحن والخبز من بحارة وحدادة
وغيره وانظر الحاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله الجبال والاشجار
وكيف جعل الارض قطعا متجاورات يحلف فان فتشت علمت ان زعيما واحدا لا استبد بحيث يصير
لا لك بامكنني الا العمل عليه اكثر من الف صانع فابتدئ من الملك الذي يزجي السحاب ليرسل الماء الى آخر
الاعمال من حرفة الملائكة حتى ينتهي النوساني عمل الانسان فاذا استدار فقد عمل عليه قريب من سبعمائة صانع
كل صانع صناعة اصل من اصول الصنايع التي بها يتم مصلحة الخلق ثم تامل كثرة اعمال الانسان في ملك الاكل
حتى ان الابرة التي هي آلة صغيرة وفائدتها خياطة الثياب التي تقي البرد عنك لا تكمل صورتها من حديد يصنع
حتى ترعل بعين الابرة حتى ستة وعشرين مرة تعالج في كل مرة منها عملا فلو اجتمع اهل البلاد وسائر العباد
العقوا مسالة عمل الفعل الذي تحتاجه البرشلا العدة بانه لتعذر عليهم وعجزت عنه الملائكة كيف وهي تطيعه
ملتزمة نطقه قدرة الله على عمل هذه الاعمال العجيبة والصنايع الغريبة فانظر الى المتواضع مثلا وما يحتاج
منفق لحمد عليها على الاخر فقنا والى الشيء مثلا وتقطعانه لزرعه ولو اكشف الله طريق اتخاذه لتعضله
كرغيف قبلنا وافتقرنا الى استنباط الطرق فيه بفكرنا ثم الى الحديد من الحجر والى تحصيل الالات التي
عمل بها المتواضع وغيره من غير تردد واوقى كمل العقول تقصر عن استنباط الطرق في اصلاح
الالة الواحدة منها فضلا عن غيرها فسبحان من منع الناس من هذا العلم مع هذا البيان
فانظر الان لو خلا الملك عن الطباخ مثلا او عن الحداد او عن الحجام الذي عمل الحديد الاعمال الى من يحتاج اليه
من عمل الصانع ما تصيب من الاذى وكيف يضطر عليك امر الناس فسبحان من سخر بعضهم لبعض حتى قيض
حيث شيئه وقت بحكمته وانور القوة في هذه الطبقة انفع فان الفرض التعيش على النمو دون الاستقصاء

الباب في اصلاح المصلين اعلم ان مولانا الصناع المصلين للاطعمة وغيرها لو تفرقت ارادتهم وتباينت

لم يتهيأ لهم سبيلا الى الوصول الى هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى ولولا لطف الله تعالى بعباده
في ان يلهمهم ان يتعاونوا على اصلاح المعاش لاحاطة الاحاطة والاستقصاء ولكنه عز اسمه حكم الخبرة والقدرة
فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان تكلفنا فاذنه ابسط لنا وان سكتنا فخبره انتقضنا اذا لا
معطل لما منع والاناء لما اعطى لان كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع لسمع التلوب نداء
الملك بحيا ربنا الملك اليوم بعد الواحد القهار فما هذه الدنيا من مبتدا من الكفار والاستعفاء الا قليل
انقضا الاعمار الوجه الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة لتخلع عليك ما يستحق من نعوته
في الملائكة باصلاح الانبياء وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم والانطاق بانهم مستعدون في انفسهم على ذلك
العدد بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تتحير العقول في تلك طبقات الملائكة الارضية و
السماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم بك وما رصح الى الاكل والغذاء الذي ذكرناه دون الباقي
ذلك من الهداية والارشاد وغيرها واعلم ان كل جزء جزء اجزاء بدنك مثل ان اجزاء النبات لا تعقل الا
بان توكل به سبعة من الملائكة هم اول الاعداد الى العشرة الى مائة الى ما وراء ذلك وبيانه ان بعض الغذاء الذي
جوهر الغذاء امتلاء جزء قد تلف وذلك الغذاء الصالح جزاء الامر الصالح لما وعطا فاذا صار جزء
تر لقد اوك والدم واللحم صار له قدرة وهو قوة الطوار بانكان البرنس الاصبر لحيا ما يحتاج
ثم جزء استدبر اعطوخا الاصناع وكذلك الدرنس الاصبر لما وعطا وعرفا وعصبا الاصناع
والصناع الباقين هم الملائكة كما ان الصناع في الظاهر هم اهل البلد وقد سبق ان الملك هم حاكم
وباطنه فلا ينبغي ان يغفل عن نعم الباطنة فاقول لا بد من ملك يجذب الغذاء الى جواره الذي هو النوع فان
الغذاء الاجنبي ينفي والا بد من ملك اخر يمسك الغذاء في جواره والا بد ثالث يخلع عنه صور الاغذية
والا بد رابع يكسوه صورة اللحم والعرق والا بد خامس مدفع الفضل الفاضل عن حاجة
الغذاء والا بد سادس يلصق الكتف صفحة الظهر وما اكتنفه صفحة اللوح والا بد سابع يحفر المقادير في الالصاق فيلحق كل مستدير بالابطل كاستدارة

طباعهم تنافر طباع الوحوش ليتعادوا وتباعدوا وان انتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش الكاسرة لا يجتمع منها اثنان
فانظر كيف الف الله بين قلوبهم فاجعل الالفة وتعارف الارواح اجتمعوا ليتعاونوا ويتوالدوا والبلاد
ورتبوا المكاسب والدور مقاديرها بتجاوزه ورتبوا الاسواق والخانات وسائر اصناف التباع
ما يطول احصاؤها ثم هذه البقعة تنزل باغراض تتزاحم عليها وتتنافس فيها فاخلق الانسان
الغيظ والحسد والمنافسة وذلك يدعو الى القتال والتنازع فانظر كيف سلط الله عز وجل السلاطين
وامدهم بالقوة والعدة والاسباب والقى في قلوبهم شفقة الرعايا حتى اذا عنوا لهم طوعا وانقيادا وكيف
السلاطين الى طرق اصلاح البلد حتى رتبوا اجزاء البلد كانها اجزاء شخص واحد يتعاون على غرض
واحد ينتفع البعض منها بالبعض ورتبوا الرساتيق والقضاة والشحنة وزعماء الاسواق والضرائب والخفراء
قانون العدل والزموهم التباعد والتعاون حتى صار احاد منتفع بالقصاب والخباز وسائر اهل
البلد وكلهم منتفعون بالحداد وصار الحجام منتفعا بالحراث والحراث بالحجام ومنتفع كل واحد
بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما تعاون اعضاء البدن ومنتفع
بعضها ببعض وانظر كيف بعث الانبياء حتى اصلحوا السلاطين المصلين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع
في ضبط العدل في الخلق وقوانين السياسة في جمعهم وكشفوا لهم احكام الامارة والسلطنة واحكام النفقة
ما امتد به الى الصلاح الدنيا فضلا عما ارشدهم اليه من اصلاح الدين وانظر كيف اصلح الله الانبياء
بالملائكة وكيف اصلح الملائكة بعضهم ببعض الى ان منتهى الملك المقرب الذي الواسطة بينه وبين الله
فالحجارة تخبز العجين والطحان يطحن بالحجة والحرات يصلح بالحجا دو احداد يصلح الات الحرث فتوالى الحجارة
تصلح الات الحداد وكذلك جميع ارباب الصناعات المصلحين للالات الاطعمة والسلاطين يصلحون الصناع
والعلماء يصلحون السلاطين والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم والملائكة يصلحون الانبياء الى ان
ينتهي الحضرة الربوبية التي هي منبع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتاليف
وكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال تعالى والذين جاهدوا فينا

والا تجمعهم غرض واحد وسلطة الانس والجن عليهم لو انتشرت ما ان الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم

والغرض الاول عرضه والمحرك الاعظم تحفظه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من
الغذاء على انف البصير ما يجمع على فخذه لكبر انفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته بل ينبغي ان يرتفق
الى الانسان مع ترقيها والى الحدقة مع صفائها والى الاذن مع غلظها والى العظم مع صلابته ما يليق
بكل واحد منها من حيث المقدار والشكل والاطلاق الصورة وربي البعض للوائض وضعف البعض
بل لو راجع هذا الملك العدل في القسمة والتسبيط فساق الى رئيس البصر وسائر رؤساء الغذاء
الا ما ليس له احدى الرجلين مثلا لبقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكم حمل الملك
ترى شخصا في ضخامة رجل وعدد رجل واحدة كانها رجل صبي فلا ينتفع بفضلة البتة وانما هذه الهندسة
في القسمة يوضعه الى ملك من الملائكة والا تظن ان الدم يطبعه بهندسة شكل نفسه فان يحيل
هذه الامور على الطبع جاهل لا يدري ما تقول لهذه هم الملائكة الارضية قد شغلوا وانت في النوم
تسرح وفي الغفلة تتردد وهم يعملون الغذاء الى باطنك والى اخر لك منهم وكذلك في كل جزء من
اجزائك الى الاجزاء حتى ينتهي بعض الاجزاء كالعين فالطف الى اكثر من مائة ملك كما تفصل ذلك
للاجزاء والملائكة الارضية مدد من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله تعالى
ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمسلمين عليهم بالتاييد والهداية والتسديد المحض المتزه
بالملك والملكوت والعزة والجبروت الى الذي لا يموت تبارك السماوات والارض ملك الملك ذو الجلال
والاكرام والاخبار الواردة في الملائكة لا تكاد بالسورات والارض واجزاء النبات والحيوانات
حتى على كل قطرة من المطر وكل سحاب يجري من جانب الى آخر من ان يحصى فلذلك تركنا الاستشهاد
بها فان قلت فلما فوضت هذه الافعال بالملك واحد ولم الفوض الى سبعة املاك والحفظة
تحتاج الى من يطحن او لم لا تكفي ملائكة مرتبة النحل او مدرج الفضلة ثانيا ثم لم نصب الملك عليه ثالثا الى
من يجمع الجعائل الى من تطهرات مدورة خامسا ثم لم سن برقتها رغبانا عريضة سادسا ثم الى

الرحائب

من احيتها بالتسوير سابعا ولكن قد تتوالى جميع ذلك برجل واحد ويستقل به مرة بعد اخرى فهذا كان
اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانس ظاهرا فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس وان بين واحد
منهم الاوحدانى الصفة ليس فيه خلط وتركيب يستدعى لاكون لكل واحد منهم الا فعل واحد واليه الاشارة
بقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم من تهى مرتبة
كل واحد وضعه عليه مثال الحواس الخمس فان البصر لا زاحم السمع فى ادراك الاصوات ولا الانف احدهما
والشم وليس كل الدماغ فانه قد تبطش اصابع الرجل بطشا ضعيفا فترى الصيد
وقد تضرب عنق بركة براسه فترى اليد التى هى آلة الضرب والاكل انسانى الواحد الذى يتولى الضرب
الطعن والعض والخبز فان هذا نوع من الاعوجاج والعدوان غير العدل سبيله اختلاف وضعيات الانسان
واختلاف دواعيه فانه ليس وجدان الصفة فلا يكون وجدان العقل ولذلك ترى الانسان يطيع الله
ويعصيه اخرى لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن فى طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة
لا محال لا معصية فيهم فلا يزحم الا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ويستحيل الليل والنهار
لا يفترون والاكل منهم راكع والساجد منهم ساجد ابدا والقيام قيام ابدا لا اختلاف فى افعالهم
ولا فتور لكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعته لله تعالى حيث لا محال للغفلة فيهم كما لا
تشبه طاعة الملائكة فانك متى ما خطرت الارادة بفتح الاجفان امكن لجفن العين ان يتردد ولا حاجة
فى ملكك مزود يعينك اذ ترى بل كانه مستغن لاركبك فتح وتطبيق متصلا بما شاء ربك فهذا
من وجه وكذلك من كالمغمس من وجه اذ الجفن لا علم له بالبصر بل من الحركات فتحا وانطباقا والملائكة احياء
عالمون بما يفعلون فاذن هذه هى نعمة الله عليك فى الملائكة الا ارضية والسماوية وجملتك الجامعة عرض
الاكل فقط دون امعاء باس الحركات واحكاجات كلها فانا لم نطول بذكرها فهذه طبقة اخرى
من طبقات النعم وبجامع الطبقات الاكل فحصاها فلم يكف احاد ما ضاقت جامع الطبقات

فاذن

فاذن قد اسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنه ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك باطن الاثم ما
لا يعرف الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس واعرف ذلك من اتمام الحسوب
هو الشكر للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر للنعم الظاهرة بل اقول كل من
عصى الله ولو فى تطلع واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر نعمة
الله تعالى عليه فى السماوات والارض وما بينهما فان كل ما خلقه الله حتى الملائكة و
السموات والارض والحيوان والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به
انتفاعه وان انتفع بغيره ايضا فان لله تعالى فى كل لطيفة نعمة فى نفس الجفن اذ خلق فيه
كل جفن عضلات وله اوتار وربا طات متصلة باعصاب الدماغ بها تم انخفاض
الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل وعلى كل جفن شعور سود ونعم الله فى سواد هذا انه يجمع ضوء
العين اذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله فى ترتيبها صفا واحدا ان تكون بارزة
للهواء من الرأس على باطن العين ومتشبثا بالاقذاء التى تتناثر فى الهواء او فى كل شعرة منها من
حيث ان اصلها مع الان يتورم نصبها او فى استباك الاهداب نعمة اعظم من الكحل وهو
ان غبار الهواء قد يقع من فتح العين فلو لم تنصب الاجفان مقدارا ما متشابكا لكان يسقط
من وراء شباك الشعر فتكون شباك الشعر مانعا من وصول القذى من خارج وعند ما من
امتداد البصر من داخل ثم ان اصحاب الحدقة غبارا فقد خلق اطراف الاجفان حادة منطبقة على
الحدقة كالمصقلة للالة قطبتها حمرة اورثت وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وزحزح الاقذاء
الى زوايا العين والاجفان والذباب لما كان لحدقة جفن خلق له ليدلك فترا على الدوام على وجهها
حدقتيه ليصقلها عن الغبار واذا تركنا الاستقصا لنفاصيل النعم لافضاءه الى التطويل يرد
على اصل هذا الكتاب فلعلنا فتنا فى لمحا ما نقصود افيه ان اهمل الازمان وساعاته التوفيق

الا تحقق ان سدة نعمة عليه فلنترك الاستقصا والتفصيل فانه قطع فى غير مقطع ؟؟

بيان التسبب الصارف للخلق عن الشكر

اعلم ان الحمد
بالخلق عن شكر النعم الاجمال والغفلة فانهما ممنوعا بالجهل والغفلة عن معرفة
النعم والتصور شكر النعم الا بعد معرفتها ثم ان عرفوا النعم قد يطغوا ان الشكر
عليها ان تتوالى لسانهم الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل
النعمة فى انواع الحكمة التى اريدت بها وهى طاعة الله تعالى فالمانع من الشكر بعد
حصول العلم بالنعم المعرفتين الاغفلة الشهوة واستيلاء الشيطان الا الغفلة
عن النعم فلها اسباب واحد اسبابها ان الناس بجهلهم لا يعدون المنعم الخلق
وما يشملهم من جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جملتها فاذكر بانه من الانعم
لانها عامة الخلق مبذولة لهم فى جميع احوالهم فلا ترى كل واحد لنفسه خصوصا فلا
يعده نعمة فلا تراهم يشكرون الله على ريح الهواء ولو احتبس عنهم حتى انقطع
الهواء عنهم ماتوا ولو هبت عليهم هواء حارا وهبت فيه هواء باردا لمثل
برطوبة الماء ماتوا فان ابتلى واحد منهم بشئ من ذلك ثم رجع الى ما قدر
ذلك نعمة وشكر الله عليه وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا على ان
تسلب عنهم النعمة ترد عليهم فى بعض الاحوال والنعمة فى جميع الاحوال اولى ان
تشكر من النعمة فى بعضها فلا ترى البصير شاكرا نعمة البصر الى ان تعمى عينه فعند
ذلك لو اعيد عليه احتسب بره وشكره وعده نعمة وبالحقيقة كانت نعمة الله واسعة على الخلق وكل
لهم فى جميع الاحوال فلم يعده الى ملول نعمة وهذا الجاهل مثل العبد السوء حين
ان تعرف داياحتى اذا ترك الشكر فصار ان الناس لا يشكرون الا الاقل الذى
نظرن الاخص من الناس حيث الكثرة والقلة ويشمل جميع نعم الله تعالى
عليهم كما حكى لبعض فقرا الى بعض ارباب البصائر واظهر شدة اغتمامه فقال
له اليس لك عين صحيحة وكل عشرة الف درهم فقال لا فقال اليس لك اذنان وكل
وكل عشرة الف قال لا فقال اليس لك لسان وشفتان وكل عشرة الف قال لا فقال اليس لك

ولك عشرون الفا قال لا قال ايسرك ان تكون مجنونا ولك عشرة آلاف
قال لا قال افتحبّ ان يشكو مولاك وله عندك عروض تجبين
الفا وحكى ان بعض الفقراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا
فراى في المنام كان قايلا يقول له قد انشناك سورة الانعام ولك
بكل الف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا
قال فلك قيمة مائة الف وانت تشكو فاصبح وقد سرى عنه ودخل ابن
السماك على بعض الخلفاء وفي يده كوز ماء يشربه فقال عظني فقال يوم تبعط
هذه الشربة الا بدل جميع اموالك والا بيت عطشان لهل كنت تعطيه
قال نعم قال فلا تمنع ملكا لا يساوي شربة ماء فهذا يدلك ان نعم الله على العبد
في شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع
مايلة الى اعتداد النعم الخاصة نحو دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر
اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول انس عبد الا ولا بد للمولى ان يطلع على احواله
ليرى من الله نعمة او نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها احد وذلك يعرف بكل صدق
عدو يسيء حتى الناس وبالا يشاركه فيها احد وذلك يعرف بكل صدق
ثلثة امور بالعقل والخلق والعلم اما العقل فانس عبد الله تعالى الا وهو راض
عن الله في كل ما يفعله اعتقد الناس وقال ما يسال انه العقل وان من
شرف العقل ان يفرح به اذا كان عنه كما يفرح بالمتصف به فاذا كان اعتقاد
انه اعقل الناس فواجب عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر
واجب وان لم يكن ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمة خصه الله بوضع كنز
تحت الارض فهو ينفق به ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدري

بشر من هو فوقه فما بال ينظر الى من هو فوقه ليزدري نعم الله على نفسه ولا ينظر الى
دونه ليستعظم نعم الله تعالى وما بال لا يستقل دنياه بدينه اليس اذا الا نسان نفسه
على سبيل تعارفها يعتقد انها باقي الناس كثيرة فيتطرق ابدا الى الدين الى من دونه
لا الى من فوقه فلا يكون نظره الى الدنيا كذلك فاذا كان حال اكثر الخلق الى الدين
خير امنه وحاله في الدنيا خير من حال اكثر الخلق يكفيه لا يزيد الشكر وبهذا قال
عليه السلام انظروا الى من هو دونه وفي الدين الى من هو فوقه كيف
الله صابر اشاكرا وانظروا الى من هو فوقه في الدين الى من هو دونه كيف
الله لا صابرا ولا شاكرا فاذن كل من اعتبر حال نفسه وقابلها حتى يرى حقه
تعالى على نفسه نعما كثيرة لا تستغرق في حس السنة والايمان والعلم والقرآن والفراغ
والصحة والامن وغير ذلك وكذلك قال عليه السلام من لم يستغن بما اتاه الله
فلا اغناه الله وهذا اشارة الى نعمة العلم وقال عليه السلام ان القرآن هو الغنى
الذي لا غنى بعده ولا فقر معه وقال عليه السلام من اتاه الله القرآن فظن
ان احدا اغنى منه فقد استهان بايات الله وقال عليه السلام ليس منا من لم يتغن
بالقرآن وقال كل بالقرآن بغنا وقال بعض السلف تعلموا القرآن فان الله تعالى لا يعذب
اغنيته عن مثل قد تعلمت عليه نعمتي عن سلطان ما تيه وطلبت هذا الدنيا
وقال ما اضيع وعيته الشاعر عن هذا فقال اذا التوت بنا كف القضية
والامر واصبحت اخاطر في فلا ادري بما ارشق العبارات واصح الحكم
كلام افصح من نطق بالضاد حبيب عز صلى الله عليه وآله عن هذا المعنى فقال ان
اصبح الناس سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا
بحذافيرها ومهما تامل الناس كلهم وجدتهم يشكون وقتا ما كون من امور وراء
هذه الثلث مع انها وبال عليهم والا شكر فان نعمة الله في هذه الثلث والا شكر فان

بالهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة فان قلت فما
علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله فتشكر فاقول ان القلوب
البصيرة فعلاجها التامل في امر من احناف نعم الله تعالى فان القلوب
وان القلوب البليدة التي لا تعد النعم نعمة الا الصحة والسلامة
معها فسبيلها ان تنظر احوال من دونه وتعلم ما كان شعلهم فعند
ذلك يتضح لكل ذي عقل ان يكون بحضرة كل من في دار الدنيا من
انواع بلاء الله تعالى عليهم وتعاقل
في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعم الصحة عند مشاهدته بلاء الامراض في
احشاء الذين يقتلون وتقطع اطرافهم ويفقئون بانواع العذاب مع كراهته
على عجمته من الجنايات ومن تلك العقوبات وشراهته على نعم الناس
وحضر المقابر فيعلم ان احب الاشياء الى الموتى ان يردوا الى الدنيا
وليوما واحدا لمن عصى فليتدارك ولمن اطاع فليزد في طاعته فيقول
قال يوم القيامة يوم التغابن فالمطيع مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول
كنت اقدر على اكثر من هذه الطاعات والعاصي غبين اذ ضيعت بعض
الاوقات في المباحات فما الظن بالعاصي ففيه ظاهر فاذا شاهد المقابر
وعلم ان احب الاشياء اليهم ان يكون قديم لهم من الاعمال ما يشفع
بقيته العمر الى يشتهي اهل القبور العود لاجله لتكون ذلك موجبة
لنعمة اخرى تتلافى العمر الماضي فكل نفس من الانفاس واذا عرف
تلك النعمة شكر بان يصرف العمر الى ما خلق العمر لاجله وهو التزود
من الدنيا للاخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله فتشكر
ولقد كان الربيع بن خيثم مع تمام استبصاره يستعين بهذا الطريق

اما مدة وما ابدا وما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وما ينتهي
الى البلاء المطلق واما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر انواع البلا
التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فان كثيرا مما يطلق للنعم المطلقة اما البلاء
المطلق في الدنيا فقد لا يوجد بالصبر عليه لان الكفر بلاء والعصي الصبر عليه
وكذا المعصية بل حق الجائع ان يترك كنزه وكذا حق العاصي نعم الجائع
قد لا يعرف انه كافر فيكون لكن جهله وهو لا يتأتى منه بسبب عشيته الاولى
فلا صبر عليه والعاصي يعرف انه عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر
الانسان على دفعه فلا يوجد بالصبر عليه فليتركه الانسان اما مع طول
العطش حتى عظم الم فلا يوجد بالصبر بل يوجد بازالة الالم وانما الصبر على
الم يبقى بعد ازالته فاذن رجع الصبر في الدنيا الى بلاء مطلق
بل يجوز ان يكون نعمة من وجه فلذلك لم يصر ان يجتمع عليه وظيفة الصبر
والشكر فان الغنى مثلا يجوز ان يصير سببا لهلاك الانسان حتى يقصد
بسببه بالقتل وسلب المال والاهل والصحة لكن هلاك الانسان حتى يقصد
بسببه بالقتل وسلب المال والاهل والصحة لكن هلاك الانسان حتى يقصد
هذه النعم الدنيوية الا ويجوز ان يصير بلاء ولكن بالاضافة اليه ولكن
كل بلاء الا ويجوز ان يصير نعمة ولكن بالاضافة الى حالة فرق عند كم الا
الخيرة في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله بطر ويقال ان الله
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال تعالى ان الانسان
ليطغى ان راه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم ان امتي يحمى عليه الدنيا
وهو حتفه كما يحمى احدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد والعبد وكل
ما ذكرناه في الاقسام الاربعة من انواع النعم سوى الايمان وحسن الخلق فانا
نتصور ان يكون بلاء على بعض الناس فيحتمل احدا ما اذن نعمة

تاكيدا للصبر فكان قد حضر في داره قبرا فكان يضع خلاعا على عنقه ويناجي ربه
ثم يقول ربنا رجعنا فاعمل صالحا ثم يقوم ويقول يا ربنا قد عطلت
بالسالت فاعمل فيقال له ان كنت ان الرجوع فلا تضيع وما ينبغي ان يعالج
بالقلوب البعيدة عن الشكر ان يعرف ان النعمة فلم الشكر الت ولقد
ولكن كان التفضيل يتوقل عليكم بلاوة الشكر على النعم فتقل نعمة زال عن
قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر قال
الخير ما عظمت نعمة الله على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم
عرض تلك النعم للزوال وقال الله سبحانه ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بانفسهم فهذا تمام ما اردنا ذكره من كتاب الصبر والشكر فلنشرع
في الصبر والشكر ونربط بهما ما يجري بابهما

كتاب الصبر والشكر

لعلك تقول لما ذكرت في النعم الشاغرة الى ان الله تعالى في كل موجود نعمة
وهذا يدل ان البلا لا وجود له اصلا فما معنى الشكر على البلاء وقد ادى ذلك
الى الشكر على البلا فضلا عن الشكر على النعم فكيف تتصور الشكر على البلاء
وكيف يشكر على الصبر عليه والصبر يستدعي البلاء والشكر يستدعي وجودها
متضادان وما معنى ذكرك ان من فضل الله تعالى انه اوجد نعما على عباده فاعلم
ان البلاء موجود كما ان النعم موجودة والدليل على ثبات النعم وجود الحمل
على ثبات البلا انها متضادان فعند البلا النعمة وعند النعمة بلاء ولكن هو مسلم
ان نعمة مطلقة من كل وجه اما في الاخرة فكسعادة العبد بالنزول في
جوار الله تعالى واما في الدنيا فبالايمان وحسن الخلق والعين عليهما والى
نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من
وجه فكذلك البلا تنقسم الى مطلق ومقيد اما المطلق فالكفر في الاخرة فالبعد عن

الا ترى اهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم اليها من حيث انها غاية
مبذولة ولا تشتد فرحهم بالنظر الى زينة السماء والحسن من كل بستان طلع في الارض
يجتهدون في عمارته ولكن زينة السماء لما عمت لم يشتهوا رؤيتها ولم يفرحوا
بسببها فاذن قد صح ما ذكرناه من ان الله تعالى لم يخلق شيئا الا وفيه نعمة ولا يخلق
شيئا الا وفيه نقمة الا على جميع عباده او على بعضهم فاذن في خلق الله البلاء ايضا
نعمة اما على المبتلى واما على غير المبتلى فاذن كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا
نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا فان قلت فهما
متضادان فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح فاعلم ان
الشيء الواحد قد يتعدد جهته من وجه ومنفوح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث
الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا
خمسة امور يتعين ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها احدها ان كل مصيبة ومرض
فتصور ان يكون اكثر منه اذ مقدور الله تعالى لا يتناهى فلو شفعها الله
وزاد عليها ما كان يرد ولا يحجزه عليه شيء اذ لم يكن اعظم منها في الدنيا الثاني انه
كان يمكن ان يكون مصيبته في دينه قال رجل لسهل بن عبد الله التستري ادع الله
تعالى فقال اسكر الله لو دخل الشيطان فلك وافسد التوحيد اذا كنت
تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام منه في دعائه اذ قال اللهم
لا تجعل مصيبتي في ديني وقال ﷺ ما ابتليت بلاء الا كان لله تعالى عليّ
فيه اربع نعم اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن اعظم منه واذ لم احرم الرضا به
واذا رجوت الثواب عليه وكان لبعض ارباب القلوب جدار مائل فمر به
السلطان فارسل اليه فقال له اسكر الله فضربه فقال اسكر الله حتى

بعض الصحابة ﷺ

الى تخمتها بالقيء اذا سبب القيء متطوعة بالكلية فالاخرة حتى العذاب تهون
عظمت عقوبته في الدنيا فلا لعاقبته ثانيا اذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله
اذا اراد الله بعبد اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلاء في الدنيا فاسد اكرم ان يعذبه
ثانيا الرابع ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في ام الكتاب في
كان لا بد من وصولها اليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من
بعضها او من جميعها فهذه نعمة الخامس ان ثواب الصابر فيها فان مصاب
الدنيا طرق الى الاخرة من وجهين احدهما الوجه الذي به يكون الدواء مرا
نعمة وحتى المريض ويكون المنع من شرب الماء نعمة في حق الصحيح فانه لو
خلي والشهوة كان ذلك من اعظم الاسباب في هلاكه والاهل والاقارب والاعضاء حتى العين التي هي اعز الاشياء قد تكون سببا لهلاك
الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور قد يكون سببا لهلاكه
فالملاحدة عدوا بتجنون لو كانوا مجانين وصبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم فمن ما يعد من
شيء من هذه الاسباب بوجد من العبد الا وتصور ان يكون له فيه خيرة ونية عليه
ان يحسن الظن بالله ويتقدر فيه الخيرة ويشكر عليه فان نعمة الله واسعة وهي عامة في
العباد اهل من العباد وغدا يشكر العباد على البلايا اذا راوا ثواب البلايا كما يشكر
الصبر بعد التمام والبلوغ الى مقامه واما على حضرته اذ يدرك ثمرة الاشياء
من ان دب والبلايا دب سرايه قال الله تعالى وعفا عنه فعباده اثر واوفر من
عفاته الآباء الاولاد فقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله لو صح
فقال لا تتمنى من شيء قضاه عليك وقطع صلى الله عليه وآله السماء فصبت
فتيل فقال لحمت لقضاء الله تعالى للمؤمن ان قضى له بالسقم في الارض وكان خيرا له
وان قضى له بالصحة في الارض وكان خيرا له والوجه الثالث راس الخطايا المهلكة
حب الدنيا وراس اسباب النجاة المحال بالكلية عن دار الغرور وموانع

تحرس مجوسي بطبرستان وقيده وجعل حلقة من قيده على رجله وسلمه على المجوسي
فارسل اليه فقال اسكر الله فكان يحتاج المجوسي ان يقوم مرات وهو يخاف ان
يقوم معه ويتعطل على السجن حتى جاءته كتب اليه بذلك فعال اسكر الله
فقال يا سني زدني واي بلاء اعظم من هذا فقال لي محصل الزنار الذي في وسطك
ما ذا كنت تصنع فاذا مامن انسان قد اصيب ببلاء الا ولو تامل حق التامل
في سويداء ظاهره وباطنه حتى يرى انه لو سبق اكثر مما اصيب
عاطلا وان اخرج الملك ان يحرك شعرة بسوط فاقصر على عشر فهو مستحق الشكر
ومن استحق ان تقطع يده فترك احدها فهو مستحق للشكر ولذلك ترى بعض
الشوخ في شارع فصبت على راسه طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة
الشكر فقيل له ما هذه السجدة فقال كنت انتظر ان يصبوا علي الماء فاقضاء
على الرماد فنعمة وقيل لبعضهم انك لا تخرج فلا استسقاء فقد اجتنب الامطار فقال
انتم تستطيعون المطر وانا استطيع الخروج فاني ولدت كما فرح وادى جاءته
من زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما اصبت به حتى الكفار
فاعلم ان الكافر قد تخفى له ما هو اكثر وانا اجهل حتى استكثر من الاثم وتطول
على البقاء كما قال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما واما العاصي فمن اين يعلم
ان من العالم من هو اعصى منه وورث غاظ بسوء ادب على الله تعالى
وفي صفاته اغلظ واطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك
قال تعالى في مثله تكاد السموات يتفطرن منه وهو عند الله عظيم فمن ان نعلم ان من ترك
اعصى منك ثم لعله قد اخرت عقوبته الى الآخرة ومحقت عقوبتك في الدنيا
علم الله على ذلك وفي هذا هو الوجه الثالث الشكر وهو انه ناس عقوبته
الاوكان تصور ان توخر الا الآخرة ومصاب الدنيا تسلى عنها بانها
اخر تهون المصيبة بخفتها وقتها ومصاب الآخرة تدوم وان لم تدوم فالا سهل

بعد الاس خير من العباس اجرك بعده والله خير منك للعباس فقال
ابن عباس ما عزاني احد احسن من تعزيته والاجبار الواردة في الصبر على المصائب
كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله من يرد الله به خيرا يصب منه وقال
صلى الله عليه وآله قال الله تعالى اذا وجهت الى عبدي من عبيدي مصيبة في نفسه
او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب
له ميزانا او انشر له ديوانا وقال عليه السلام ما من عبد اصيب بمصيبة فعال
كما امره الله انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا
منها الا فعل الله ذلك به وقال صلى الله عليه وآله من سلبته كريمتاه فصبر واحتسب
الحلود في الدارين والنظر الى وجه ربه وروي ان رجلا قال يا رسول الله ذهب
مالي وسقم جسمي فقال النبي صلى الله عليه وآله لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا
يسقم جسده ان الله اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره وقال عليه السلام
ان الرجل ليكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في
جسمه فيبلغها بذلك وعن جناب بن الارث قال اتى رسول الله صلى الله عليه
وآله وهو متوسد ردائه في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا
تدعو الله لنا فجلس محمرا لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليوتى بالرجل
فيحفر له في الارض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين ما
يصرفه ذلك عن دينه ومشط على عليه السلام قال اتى رجل حبشي السلطان ظلما
فمات فاستشهد وقال ايضا عليه السلام من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو
وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال ابو الدرداء تلدون للموت وتربون
للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى اتخذوا الكرمات الثلث
الفقر والمرض والموت وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا
اراد الله بعبد خيرا واراد ان يعجل له عقوبة صب عليه البلاء صبا وصبح عليه صبحا

وان ضربه فمات فهو شهيد

فاذا

قول احد العشرين ان رجلا من الصحابة رأى امرأة كان يهواها فاتى امرأته فكلمها
ثم ذكرها فجعل الرجل تحت اليها وهو يشتهيها حايط عاشر وجهه فاتى
النبي صلى الله عليه وآله فاخبره فقال عليه السلام اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له
عقوبته في بدنه او الدنيا فقال علي عليه السلام الا اخبركم بارجى آية في كتاب الله
قالوا بلى فتلا عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير
فالمصائب في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عافى الله في الدنيا فالله اكرم من ان
يعذبه ثانيا واذا عفى عنه في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه يوم القيامة وعن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ما خرج عبد قط من بيته احب الى الله من
جرعة غيظ رددها بحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها والتفات قطرة احب الى الله
من قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل ودمع سابغ لوجه الله
الا الله وما خطا عبد خطوتين احب الى الله من خطوة الى الصلوة المفروضة
وخطوة صلة الرحم وعن ابي الدرداء انه قال قرئ ان سليمان بن داود عليهما السلام وجد
عليه وجدا شديدا فاقام ملكان فجلسا بين يديه فقال احدهما لصاحبه اترى هذا
يذر انه استحق قتله فانه فاسد قال اللهم لا تقتل فان اخذت اخذة فاخذ
على نزع قطرت عيناه شيئا لا فاذا الطريق عليه فقال سليمان عليه السلام
ما اذنت على الطريق اما علمت ان لا تأذن للناس من الطريق قال فلم تحرمني
غلاما لي ليس لي ولد غيره قال اما ان البيت سهل الآخرة فطاب سليمان ابن داود ان يخرج على
ولده بعد ذلك وذكر عن عبد العزيز على بن ابي رواد قال اتيت ابن عون فقال لي
ان غلاما احب الي من ان اكون في خير انك فقال يا ابه لان اكون ما تحب
احب الي من ان يكون ما احب وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نعى اليه ابنه فاسترجع
وقال عورة سترها الله ومئونة كفاها الله واجر قد ساقه الله ثم نزل فصلى
ركعتين ثم قال صنعنا ما امرنا الله كما قال الله كما واستعينوا بالصبر والصلوة الآية

وقال

عبد افضل من العافية الا المتقين يواسي ويلتفت الى العافية التقلب من مرض
الجهل والشك فالعافية التقلب اعلى من عافية البدن وقال عليه السلام لرجل
عبد الله لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر فقال صلى الله عليه
والله في عافيتك وعافيتك احب الي وهذا الحديث ان تحتاج فيه الى استشهاد
وهذا الان البلاء اما ان يعتبر من احدهما او لا اضافة الى ما هو اكثر منه الى
الدنيا او الى الدين والآخر لا اضافة الى امر من امور الثواب فنسئل الله ان
يتم النعمة في الدنيا ويدفع ما فوقها من البلاوي والثواب في الآخرة على
الكثير على نعمته فاذا دعا على ان يعطى الكثير ما يعطاه على الصبر فانه قليل
فقد قال بعضهم اود ان اكون جسرا على النار يعبر على الخلق كلهم ويجوزون
واكون انا في النار وقال بعضهم وليس في سواك حظ فكيف يشقى
فاختبرني فقد اسس هؤلاء سؤال البلاء فاعلم انه حكى ان بعضهم دعا بعد
هذا البيت على بعلة الحضر فكان بعد ذلك يدور على ابواب الملوك
ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب وايا محنة الانسان ليكون هو
في النار ودون سائر الخلق فغير ممكن ولكن قد يقلب المحب على المحبوب حتى
يظن المحب شيئا مثل ذلك في شرب كاس المحبوب سكر ومن سكر
توسع في الضلال ولو ان المبتلى عرف ان ما نزل عليه كانت حالة الآخرة
لما خاف شيئا من هذا الا من نهى كلام العشاق الذين افرط حبهم وكلام المشتاق
يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما روي ان فاجعة كان يراود زوجها
فتمنع فقال الذي يمنعك عني ولو اردت ان اطلب لك ملك سليمان طوعا
لبطن لشغلته لاجلك فمنعه سليمان فاستجاب دعاءه فقال عز اسمه كلام
العشاق لا يحكى وهو كما قال وقول الشاعر اريد وصاله ويريد هجري
فاترك ما اريد لما يريد هذا ايضا محال ودعاء ان اريد ما لا اريد لان من

اراد الوصال ما اراد الهجر فكيف اراد الهجر واريده بل الصدق في الكلام الانتهاء
احدهما ان يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يكتسب رضاه الذي هو صل الى
مراد الوصال فالاستعمال فيكون المراد رضاه وسيلة الى وصاله
المحبوب والوسيلة الى المحبوب محبوب فيكون شاملا لمحبة الحال اذا اسلم
ودعائي درجاتي الهبوط الدرجاتي شرك الدرجات الحال اشارة الى ان المصير رضاه
عند بطلان حيث انه رضى فقط وكمل له لذة في استشعاره رضا محبوبه
منه تزيد تلك اللذة على لذاتي مثاله تزيد مع كل نعمة فعند ذلك تصور ان يريد
ما فيه رضاه فلذلك قد تاشى حال بعض المحبين الى ان صارت لذته في استشعار
رضى الله عنهم اكثر من لذته في العافية مع شعوره برضاه لانه اذا قدر ارتفاع
في البلاء صار البلاء احب اليه من العافية وهذه حالة لا بعد وقوعها عنك
احب وكذلك لا شك وان شك شملها فمحل حالة صحيحة ام حال ليست
حالا اخر ورد على القلب فالت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر حكمته
لا يتم فيه وقد ظهر بما سبق ان العافية خير من البلاء فسئل الله المعفو
والعافية في الدنيا والآخرة

بيان الافضل من الصبر والشكر

اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فمنهم قائل بان الصبر افضل من الشكر وقال
آخرون الشكر افضل وقال الفريقان هما سيان وقال الفريق الثالث يختلف ذلك
باختلاف الاحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن
التحصيل فلا معنى للتطويل باستقبال المبادرة الى اظهار الحق اولى فنقول
في بيان ذلك مقامان الاول البيان على سبيل التسليم وهو ان نظر
الى ظاهر الامر ولا نطلب فيه التفتيش عن حقيقته وهو لسان الذين منعهم ان يخوض
بهم الحق لقصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الذي من الكلام
هو الذي ينبغي ان يعتقده الوعاظ اذ مقصودهم انما هو من مخاطبة العوام اصلاحهم

والظفر بالمشتهى لا ينبغي ان تصلح الصبر الطفل الطيور والسمان وفروب الحلاوات
بل الذي الطيف وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى ان يصير عقلا لها
بقوته ويفارق الضعف الذي هو عليه جنة فتقول هذا الكلام في العوام
باق الكشف والتفصيل ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد
الشرع وذلك يقتضي تفضيل الصبر على الشكر وان اوردت اخبار تدل على
فضل الشكر على الصبر فاذا الصبر اكثر بل فيها الفاظ صريحة في التفضيل
كقوله عليه السلام افضل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي الحديث ما اعطي
باسكر اهل الارض فخير ما اعطيه خيرا ان الشكر يزيد والصبر يصير اهل الارض
فقال لا ارضى ان يكون كافرا فيشاركه الشكر فيقول يا رب فضل الله
تعالى كلا الامرين عليه فشكر واتبلتك فصبرت لا ضعف كلب الاجر عليه
فيعطل الضعاف فخير الله الشكر وقد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب والمراد الطاعم الشاكر الصابر الصابر فهذا دليل على التفضيل
في الصبر اذكر ذلك مع مرض الدالة لرفع درجة الشكر فالجواب بالصبر فكان
هذا اشهر درجة ولولا انه نهى الشرع عليه ورجح الصبر لكان الحاكي الشكر
بما فعل الشكر وهو كما قاله عليه السلام الحج عرفة فالمراد حسن التبتل وكقولك شارب
المرا حسن التبتل وكقولك شارب الخمر كما عبد الوثن وانما اشتبه به
لقبح ان يكون احدهما حسنا وكذلك قوله الصبر نصف الايمان لا دليل على ان
الشكر مثله وهو كقوله عليه السلام الصبر نصف الصبر فان كل منهما شطر
يساوي الآخر نصفا والى قيمتها تفاوت كما قال الايمان هو العلم والعمل كل
نصف الايمان فلا يدل ذلك على ان العمل مساو للعلم وقد يعبر عن الشيء
بجملته عليه وآله وسلم الحج عرفة ومن لحق عرفة فقد لحق الحج
فكان ذلك وقوله الحج عرفة ومن لحق عبد الرحمن بن عوف فكان قضاء

في خبر آخر دخل سليمان بعد الاجتماع بالرجلين فوجد في الخبر الثواب كلها
مصراعا الباب الصبر فانه مصراع واحد واولى بزيه فضله اهل السلا
الهم ايوب صلوات الله عليه وكلاهما ورد في فضائل الفواضل على فضيلة
الصبر لان الصبر حال العبد والشكر حال المعبود فهذا هو المقام الذي يقطع
العوام وكيفيتهم والربط اللائق بهم والتوفيق لما فيه صلاح دينهم

المقام الثالث

هو لسان الذين هم حقيقة بالتفتيش عن حقيقة وهو لسان الذين منعهم ان يخاطب
بغوامض الحقائق قصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الذي من الكلام
هو الذي ينبغي ان يعتقده الوعاظ اذ مقصودهم انما هو من مخاطبة العوام اصلاحهم

الى عمل خاص افضل والا فالعلم اشرف لانه يعلل ويفضل غيره العمل اشرف

حال م

فنقول فائدة اصلاح العمل اصلاح القلب وفائدة اصلاح حال القلب ان يكشف لجلال الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله فارفع علوم الكاشفة معرفة الله سبحانه وهي النهاية التي تطلب لذاتها فانها السعادة كما مثل بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا تشرق القلب في الدنيا بالتمام عن السعادة وانما يشرق بها في الآخرة فهي المعرفة الحقة التي لا قيد عليها فلا تتقيد بقيد ولا تتغير ولا تزول عدا ما من المعارف جيد وخلافه بالاضافة اليها فانها انما تراد لاجلها وما كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب تفاوتها في الافضاء الى معرفة الله فان بعض المعارف يفضل البعض لا بواسطة والا بوسايط كثيرة مثل ما كانت الوسايط بينه وبين معرفة الله اقل فهو افضل فالاحوال التي بها يحلو القلب في نفسه وتطهيره عن شوائب الدنيا وتستولي على القلب حتى اذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق فاذا افضل الاحوال فقد ترتب مما ذكرنا ان اصلاح القلب وتطهيره واعداده لان يحصل له علوم المكاشفة وكان ان تصقل المرآة تحتاج الى ان تتقدم عليه ثمانية احوال المرآة نفسها والقول في الصقالة من بعض كذلك لاحوال القلب فالتي هي اقرب اولى بان تكون مقربة من صفاء القلب هي افضل مما دونها لا محالة بسبب القرب من المقصود وهكذا ترتب الاعمال فان تاثيرها في تاكيد صفات القلب وجلب الاحوال اليه وكل عمل فانما ان يجلب اليه حالة نافعة من المكاشفة موجبة ظلمة القلب جاذبة الى دار الغرور الدنيا واما ان يجلب اليه حالة مهيأة للمكاشفة موجبة صفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الاول المعصية واسم الثاني الطاعة والمعاصي من حيث التاثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في نور القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تاثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال

وذلك

تاثير الطاعات والمعاصي درجاتها تختلف

فان قلت فقد حثت الشرع على الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلاق الصدقة وقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقال وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وكلف الاكمل الفضل والاتقى وهو افضل فاعلم ان الطبيب اذا اثنى على الدواء الذي ركب على ان الدواء المعين اولى لم افضل من الصحة والشفاء الحاصل بالكل الاعمال علاج لامراض القلوب وامراض القلب ما لا تشعر به غالبا فهو كمريض على فمه لقمة فانه لا يشعر به ولو ذكر له لا يصدق به فالسبيل معه ان يلقمه في الشغل عن مضغ اللقمة بماء الورد مثلا ان كان ماء الورد يزيل المرض حتى يستحثه فرط الشغل على المواظبة عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له ان المقصود زوال المرض عن فمك بما تركك العلاج وزعم ان وهمه لا يعين فيه

وانما ان م

ولنضرب لذلك مثالا قريبا من هذا فنقول من اراد علم العلم او القرآن فعليه ان يحفظه بحيث لا يزول عنه وعلم انه لو امره بالتكرار وردد راسه لانه نظن ان يحفظه فالكامل في تعالى انه يحفظ ولا حاجة به الى التكرار وردد راسه لانه نظن ان يحفظه فالكامل يقول كذلك ابدا وكان لعبد فاكد تعليم العبد ووعده على ذلك الجميل ليتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم فربما ظن الصبي للسكين ان القصد تعلم العبد القرآن وانه قد اتخذه لتعليمهم فيقال عليه الامر فيقول انما قد اتخذت لاجل العبد وانما اجل منهم واعظم قدرا والد واعلم ان ابي لو اراد تعليم العبد لقدر عليه دون تكليفي واعلم انه لا فضل لابي منقذ سوى الاحسان فضلا عن علمهم بالقرآن فربما يحاسبني هذا السكين فيترك تعليمهم اعتمادا على اتقاني وابيه وعلى كوني في الصفوة من خلص العلم والقرآن وبقي مدبرا محروما من حيث لا يدري وقد اتخذ عقل هذا الخيال طاعنيه وسلك طريق الآفة فان قلت ان الله تعالى عن عباده تفاوتهم ان يستوفي شيئا فاين معنى قوله من ذا الذي

يقرض

وذلك انما بالقول المطلق وانما القول الصحيح انه افضل من كل عبادة ناقلة وان الحج افضل من الصدقة وان قيام الليل افضل من غزو ولكن التحقيق فيه ان الغني الذي مثل وقد غلب عليه البخل وحب المال على اسباب فالواجب درهم افضل من قيام ليالي وصيام ايام فان الصيام ملتوى عليه شهوة البطن فاراد كسرها وتضعيف الشبع عن صفاء الفكرة في علوم المكاشفة فاراد تصفية القلب بالجوع فاعلم ان المريد اذا لم يكن حاله زهد المال فليس يستقر شهوة بطنه ولا هو مشتغل بفرج فكيف يشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه من حالة الى حال غيره وهو كالمريض الذي شكا وجع البطن اذا اكل دواء الصداع فلا ينتفع به بل حتى يتطبب في المهلك الذي استولى عليه والشح بالطعام من مهلكات ولا تزيل جياع امة سنة وقيام الف ليلة سنة درة بل لا يزيله الا اخراج المال فعليك ان تجتهد بجمعه وتحصيل بذر ما ذكرنا في ربع المهلكات فليرجع اليه فاذا عرفت هذه الاحوال تختلف وعند ذلك يعرف البصير ان اجوبة المطلق فيه خطاء اذ لو قال الناقابل الاخير افضل ام الناكح فيه جواب حتى الا ان الاخير الجامع افضل والى المغشيان قال اجتمعا فينظر الى الاغلب فان كان العطش هو الاغلب فالماء افضل فان تساويا فهما سيان وكذا اذا قيل السكنجبين افضل ام شراب البنفسج لم يصح الجواب عنه مطلقا اصلا نعم لو قيل السكنجبين افضل ام عدم النصوف فمقبول عدم النصوف الا ان السكنجبين مراد وبه ما يطفيء العطش فذلك العلم افضل منه لانه قد ذكرنا ان مثل العمل مثل الدواء وحصول حال وهو زوال العلل وخروج حب الدنيا من القلب وتنبيه القلب لسبب خروج حب الدنيا من القلب لمعرفة الله وحبه فالافضل المعرفة وبدونها العمل

وبدونها

تاثير الطاعات والمعاصي درجاتها تختلف

والاتقى م

يستخرج الدم من منكب ليسكن الدم العلة المهلك باطنك فالجام

وان كان

فرض

نفرض الله قرضا حسنا ولو شاء الله اطعام المساكين لاطعمهم فلا حاجة بنا الى قرض اموالنا اليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وقالوا ان انتم الا في ضلال كبير اي بما اشركتمونا والآية ناطقة بكذبهم كانوا صادقين في كلامهم كيف يكلفهم فيما لا يشاء من اذاه، اهلاك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل يفتقر بكثرة او يهدي بكثرة افهموا لما طلبوا انهم استنجزوا الاجل المساكين والفقراء او ليتمثل الله تعالى ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ له فينا في اموالنا سواء انفقنا او امسكنا فهلكوا كما هلك الصبي لما ظن ان مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد والشيء انما كان المقصود بشيء حقيقة العلم في نفسه وتاكده في قلبه حتى كون ذلك سببا سعادته في الدنيا والآخرة وانما كان ذلك من الوالد تلطفا في استجراره الى ما فيه سعادته فهذا المثال بين لك مثال من عمل من هذا الطريق فاذا السكين الاخذ لما لك مستولي بواسطة المال على حب العمل وحب الدنيا بين باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام خادم لك لانه خادم للحجام والاخراج الحجامين كونه خادما بان عمل اعرض في ان يصنع شيئا ما دام وفي كانت الصدقات مطهرة للبواطن وتركه لها عن خبث الصفات استنجز رسول الله صلى الله عليه وآله من اخذها وانتهرهم عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها اوساخ اموال الناس وشرف اهل بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال موثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات والقلب بحسب تاثره مستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي في القانون الاصلي الذي ينبغي ان يرجع اليه في معرفة فضايل الاعمال والاحوال والمعارف فلنرجع الآن الى خصوص ما كنا فيه من الشكر فنقول في كل واحد منهما موقوف وحال وعمل فلا يجوز ان تقابل المعرفة في احدهما بالحال او العمل في الآخر

والمعرفة

بل تقابل كل واحد منظره حتى نظر التناسب وبعد نظر التفضل وبها تومن
معرفة الشاكر بمعرفة الصابر وبها يجمع الى معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر انه يرى
نعم العينين شكلا ان الله ومعرفة الصابر ان يرى العمى من الله ومحامد ومثال
مثلا زيتال ومقاسيتال ذا ان اعتبر في البلاء والمصائب وقد يقال ان
الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيها يتخذ الشكر وانه الصبر لان الصبر
على الطاعة هو عين شكر الطاعة لان الشكر يرجع الى صرف نعم الله تعالى
الى هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة
باعث الهوى فالصبر والشكر فيه امعان لمسمى واحد باعتبار من مختلفين فاثبات
باعث الدين في مقابلة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة الى باعث الهوى
ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة
وهو ان يصدع به باعث الشهوة، فقد صرف الى مقصود منها عبارتان عن معنى
واحد كتلبيس الشيء على نفسه فاذا جاءك التصفية الطاعة والمعصية والبلاء
وقد ظهر حكمها والطاعة والمعصية اما البلاء هو عبارة عن فقد نعم او تنغيصها
اما ان يكون ضرورية كالعينين مثلا واما ان تقع في محل الحاجة كالزيادة على
قدر الكفاية من المال اما العينان فصبر الاعمى عنهما بان لا يظهر الشكوى
وبصبر الرضا بقضاء الله ولا يترخص بسبب العوز وبعض المعاصي بشكر البصير
عليها من حيث العمل بامر من احدهما ان لا يستعين بهما على معصية والا
ان يشغلهما في الطاعة وكل واحد من الامرين لا يخلو عن الصبر فان
الامر في الصبر على الصور الجميلة لانه لابد له من الصبر اذا وقع بصره على جميل
فصار كان شكر انعم العينين وان اتبع النظر كبر نعم العينين فقد
دخل الصبر في شكره وكذلك اذا استعان بالعينين على طاعة فلا بد

فيه من صبر على الطاعة ثم قد يشكر بالنظر الى محاسن صنع الله تعالى موقع الله
فيكون ذا الشكر افضل من الصبر ولو لانه الكائنات وتشعب عنه مثلا وقد
كانت حمراء من الانبياء فوق رتبة موسى عليه السلام وهو لانه صبر على فقد البصر
وموسى عليه السلام البصير ولكان الكمالي ان يسلب الانسان الاطراف
كلها ويترك له عين واحدة لكن هذا محال جدا لان محل واحد حتى هذا الاعضاء
آلة الدين فيفوت نفوذا ذلك الركن من الدين وشكر ما استعمل لها فيما
هي آلة فيه من امور الدين وذلك لا يكون الا بصيرا وما تتبع في محل الحاجة كالزيادة
على الكفاية من المال فانه اذا لم يرتبه الا قدر الضرورة وهو محتاج الى اداء ما
الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد النفوس او جود الزيادة فهو شكر فان الجود
الى الخيرات وان لا يستعمل في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الامر
هو صرف الطاعة فالشكر افضل لانه تضمن الصبر وزيادة وزيادة فوق تتمته
الله وقد احتمال ان من صرفه الى الغنى وترك صرفه الى التنعم المشكوف وكان
الحاصل رجع الى الشيئين افضل من شيء واحد وان الجمع الاعلى بعض المعض
وذا فيه حل اذ لا تضح الموازنة بين اجمال وبيان اذا تعاضا وانما اذا كان
شكره بان لا يستعين به على معصية بل صرفه الى التنعم المباح فالصبر
افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغني الشاكر له الصابر في
الى المباحات للامن الغني الصارف كل الى الخيرات لان الفقير قد جاهد نفسه
وكسر شهواتها واحسن الرضا على بلاء الله تعالى وذوه الحال لا يستدرك فوت الغني
اتبع نفسه لطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح وقول المباح مندوحة من
الحرام ولكن لا يدرك قوة الصبر عن الحرام ايضا الا ان القوة التي فيها الصبر
صبر الفقير اعظم واتم من القوة التي فيها يصبر الاقتصاد في التنعم على المباح وقد
تلك القوة التي تحمل عليها فان الاعمال بالنيات والاحوال المكتسبة وذلك قد

كتاب الخوف والرجاء وهو الكتاب الثالث من
ربع المنجيات من المحجة البيضاء في احياء الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه الخوف لكره وعقابه الذي عم قريب الجابة برجاء حتى سائهم بلطائف آلائه الى النزول بفنائه والعدول من دار بلائه الى مستقر اعدائه وصرف بساط الخوف وزجره العنيف ووجه المرضيين من حضرته الى دار ثوابه وكرامته وصدهم عن التعرض للائمة والتهدف لسخطه ونقمته فردا لاصناف تخلق بسلاسل التهزء العنف وازمة الرفق واللطف الى جنته والصلوة على محمد سيد انبيائه وخير خليقته وعلى آله واصحابه وعترته اما بعد فان الرجاء والخوف جناحان يطير بهما المقربون الى كل مقام محمود ومطيتان يهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود فلا تتردد الى قرب الرحمن وروح جنان مع كونه بعيدا الا رجاء تسهل الاعباء فخفة وشاق الجوارح والاعضاء الا ازعة الرجاء لا يصده من نار الجحيم والعذاب المقيم مع كونه مخوفا بلطائف الشهوات وعجائب الاذات الا سباب المخوفة وسلوات التعنيف فلابد اذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد مشتمل على شطرين الشطر الاول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف اما الشطر الاول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي به تحصل الرجاء

الترجا اعلم ان الرجاء من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانا نعني بالوصف مقاما اذا ثبت واقام وما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة مشتركة لانا تبة كصفرة الذهب والى سرعة الزوال كصفرة الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض كذلك صفات القلب مشتركة لهذه الاقسام فالامر عند ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف مذموم او محمود

القلب

القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فاعلم ان كل من عرف شيئا وحال وعلى طريق العلم سبب ثم اكال ذلك المعنى العمل وكان الرجاء اسم للحالة الثالثة من هذه الثلثة وبيانه ان كل ما ملكت من مكروه ومحبوب فمستقبل الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظرة الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا وتذكرا وان خطر ببالك موجود في الحال سمي وجدا وذوقا وادراكا وانا سمي وجدانا حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شئ في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه في القلب يسمى خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل منه انتظار وتعلق القلب به واحتقار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح لكن ذلك الارتياح رجاء فالرجا هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده وكون ذلك المحبوب المتوقع لابد وان يكون لسبب فان كان انتظاره لاجل اكثر اسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضمحلالها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجاء وان لم تكن الاسباب بحيث الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره لانا نعني بالانتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا بد من اسم الرجاء والخوف الا ان ما تردد فيه اما ما تقطع به فلا اذ لا يقال ان غير طلوع الشمس وقت الطلوع واخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك متقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تطهير الارض وتنظيفها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المتهيئ بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا تنبت البذر ويوم القيمة يوم الحصاد ولا محصد احد الا ما زرع ولا تحمل نفس

الامن بذر الايمان وقلما ينبع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا تنبت في ارض سبخة فينبغي ان تناس رجاء العبد المغتر برجاء حاصب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم اوى ما يحتاج اليه وهو سوق الماء اليه الى وقت ثم لم يضن الارض عن الشوك والحشيش وكل المنع نبات الارض البذر او يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله دفع الصواعق والآفات المفسدة الى ان تم الزرع وبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في ارض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها الماء ولم يشتغل بتمهيد البذر اصلا ثم انتظر انعقاده سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر في ارض طيبة ولكن لا ماء لها واخذ ينتظر سياء الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا تمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار مرتب تهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس مدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى فتقرب المتواضع والمتذلل فالعبد اذا تاب بقلبه بالايمان وستره بالطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية واشتغل من فضل الله تعالى على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حسنا محمودا الى نفسه باشارة على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في اتمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب شجرة بذر ذابل الاخلاق والهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال صلى الله عليه وآله وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف

يلقون غيا وقال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وهم الله تعالى صاحب البيان اذ جعل حسنة وقال اطن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذن العبد المجتهد في الطاعات المحسن للعمل حقيق ان ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة الا دخول الجنة واما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة اذ كان كارها للمعصية تاسفا على السيئة وتركه الحسنة وهو مهموم بعدم سهولة سبيل التوبة وشاق اليها فحقيق بان يرجو منه التوفيق لقوة لتلافي المعصية وحرصه على الطاعة كحري بحر السبب الذي قد يفضي الى التوبة وانما الرجاء بعد تاكد الاسباب ولذلك قال الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله سماهم اولئك لسيقطون ان يرجوا وانما اردنا به تخصيص وجوه الرجاء لان عزمهم انفذ برجوه ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فاما من تبين له الايمان وستره بالتوبة والرجوع فرجاؤه للمغفرة حق كرجاء من تاب البذر في ارض سبخة وعزم على ان لا تتعهد بسقي ولا تنقية قال كعبي من معاذ من اعظم الغرة ان عبدا ذنبه مثل الدنيا ثم يرجو المغفرة الا ترون على رجاء العفو من عزيز اذا وقع الثوب سراويله عز وجل لعبد طاعة واشتار رجاء الحسنة بذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي واشتار اخر اصر على والتهى على الله وفعل مع الافراط فاذا عرفت حسنة الرجاء ومغلطته فقد علمت انها حالة اثرها العلم بجملة اكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام بمتممة الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وتعهد ارضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه فلا زال يكمل صدق الرجاء عاقد الارض

وتعهدها وتنحيه كل حشيش ينبت فيها فلا تتعرض تعهدها اصلا الى وقت الحصاد وهذا الان الرجاء فاذن الياس والياس يمنع من التعهد فمن عرف ان الارض سبخة وان الماء معزول وان البذر لا ينبت فتترك لا تحرث ولا تسقى والتعب في تعهدها والرجاء محمود لانه باعث والياس مذموم لانه صارف عن العمل والخوف ليس ضد للرجاء بل هو رفيق له كما سياتي بيانه بل هو باعث في بعض الرتبة كما ان الرجاء باعث بطريق الاولى فاذن كل الرجاء ورث طول المهلة بالامال والمواظبة على الطاعات كيف ما تبدلت الاحوال وحسن اشاره التلذذ بذنوبه ام لا فان على عالمه و المتم بنهايته والمتطلع الى الله فان هذه الاحوال لا بد وان تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف لا يظن ذلك بحق الله تعالى فاذا ذلك لا يظهر عليه تعالى به على الحرمان عن مقام الرجاء والتزول في حضيض الغرور والتمني لهذا اهملوا البيان لحال الرجاء ولما فيه من الضرر واستشعر من العمل ويدل على اثاره لهذه الاحوال حديث زيد المحمل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وآله اخبرني لاسالك عن علامة الله فيمن يرد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت قال اصبحت احب الخير واهله واذا فاتني شيء من الخير حزنت عليه وحننت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني شيء من شره حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد فلو اراد بك الاخرى هيأك لها ثم لا ابالي في اي اوديتها هلكت فقد ذكر عليه السلام علامة من اريد به الخير فمن ان يكون مرادا بالخير فمن غير هذه العلامة فهو مغرور

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه

اعلم ان الحث على الرجاء عائد الى الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم اليه واحب بغلب الرجاء واعتبر ذلك بكفتين تحكم احداهما خوفا

منها فقول الله تعالى اذا هبوا الى الجنة فدلى هذا على ان رجاءه كان سبب نجاته

بيان دواء الرجاء و السبب الذى يحصل منه حال الرجا

واعلم اعلم ان هذا الدواء يحتاج اليه احد الرجلين اما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف فى المواظبة على العبادة حتى اضر بنفسه واهله و هذان رجلان مائلان عن الاعتدال الى طرفى الافراط والتفريط فمحتاجان الى علاج يعيدهما الى الاعتدال فاما العاصى المغرور المتمنى على الله مع الاعراض عن العبادة واقتفاء المعاصى فادوية الرجا تستلب سمومه من جثته بملكة وتنزل مرتبة العسل الذى يحلو لمن غلب عليه البرزوى سموم تهلكه لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور كالمخلط فى جثته الادوية الخوف والاسباب المهيجة له فلذا يجب ان تكون مواعظ الخلق متوسطة ناظرة الى مواقع العلل معالجة لكل علة بما يضادها لا بما يزيدها فان المطلوب هو العدل والتعديل الصحة والاخلاق كلها وخير الامور اوساطها فاذا جاوز الوسط الى احد الطرفين عوج بالموعظة الى الوسط لا بما يزيدنى ميله عن الوسط وهذا الزمان لان الغالب فيه مع الخلق اسباب الرجا البالغة فى التخويف انفع بكثير لا يردهم الى الجادة الحق وسبل الصواب فاما ذكر اسباب الرجا فيهلكهم و يردهم بالكلية وكلما كانت اخف على القلوب فالاذعن النفوس والاكب عرض الوعاظ الاستمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيف كانوا مائلا الى الرجا حتى ازداد الفساد وازداد المسكين طغيانا تماديا فى الامن على عذاب الله فالعالم الذى لا تنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله وكمن تذكر اسباب الرجا المستولى على حق الآيس او فجن عليه الخوف اقتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

فانظر كيف انزل الله تعالى فيه طول آية ليهدى عبده الى طريق الاحتياط فى حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذى لا عوض له من سنة القرآن الى استواء الآيات والاخبار فانظر فى الرجا خارج عن حصر فقد قال الله تعالى يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فى قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال ايضا انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض واخر فى ان النار اعدت للاعداء وانا خوف بها اولياءه فقال لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقال تعالى اتقوا النار التى اعدت للكافرين وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وقال وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وقال النبى صلى الله عليه وآله لولا ان امتى يسألون امتى حتى فيسأل الله ما ترضى وقد تلوت عليك هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان تسترقوا النار والسوف يعطيك ربك فترضى قال الارض جهد واحد من امتى فى النار وكان ابو جعفر محمد بن على عليهما السلام يقول انتم اهل الموالى تقولون ارجى آية فى كتاب الله عز وجل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن اهل البيت نقول ارجى آية فى كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وانا الاخبار فقد روى موسى بن جعفر عليه السلام انه قال امتى امة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة وعذابها فى الدنيا الزلازل والفتن فاما الكفار يوم القيمة فدفع الى كل رجل من امتى رجل من اهل الكتاب فيقال هذا فداؤك من النار فعلى هذا يكون كل رجل من هذه الامة يهودى او نصرانى فتقول هذا فداؤى من النار فعلى هذا ورد فى تفسير قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ان الله اوحى الى نبيه عليه السلام انى اجعل حساب امتك الى فقال الا

لا احزنك

يا رب انت خير لهم مني فقال اذن لا احزنك فيهم وروى عن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وآله سأل ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم الي
فلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله تعالى اليه اني امسك وهم عبادي وانا ارحم
بهم منك فاجعل حسابهم الي عني فلا يقف على مساويهم احد غيري ولا افرك
وقال صلى الله عليه وآله حياتي خير لكم وموتي خير لكم اما حياتي فاسن لكم
السنن واشرع الشرايع واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا
حمدت الله تعالى عليه وما رايت منها سيئا استغفرت الله لكم وقال صلى الله
عليه وآله سلوا ربكم العفو فان جبرئيل قد دس باصبعه في فمي كراهة ان اتكلم
عن الشفاعة بمكة ثم مد لها حسنات بكمه وهو على المنبر صلى الله عليه وآله
وسلم فقال اللهم اني اسالك تمام العفو فقال هل مرض مريض فاتم العفو قال لا
قال فهو في الجنة فقال العفو قد امضيته عليك برضاه الاسلام فما زال قال
فما زلتم عليكم نعمي ورضيت لكم الاسلام دينا فما زل الخبر اذا اذنب العبد
فاستغفرني قال الله عز وجل للملائكة انظروا الى عبدي اذنب ذنبا فعلم
ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له قال الخبر
لو اذنب العبد حتى يبلغ ذنوبه عنان السماء ثم استغفرني وردجاني
قال الخبر لو ينبغي عبدي تراب الارض ذنوبا ثم لقيته بقراب الارض مغفرة
وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا اذنب ست ساعات فان
تاب واستغفر امكنته عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ اخر فاذا كتبها عليه
وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو امير عليه الى ان يبدئه
حتى الغ حسنة واحدة من تضعيف العشر وارفع له تسع حسنات فتلقه
به الشمال وروى انس بن مالك حديث انه عليه السلام قال اذنب العبد ذنبا كتب عليه
فقال اعرابي وان تاب عنه قال محي عنه قال فاي عاد قال عاد له السلم كتب عليه

سبل زنا آمد عليه
من قال الله عليه السلام ذنبا فتوبوا
عليه السلام الا ما كان بين العبد
صلى الله عليه وآله وسلم العفو
غدير خم حيث قال
لا تسئلوا ما سئل
صحيح عالم
قال
ص

فقال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال الرجل فان استغفر وتاب
الى الله عز وجل ان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار
فاذا هم العبد بحسنة كتبتها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان عملها
كتب عشر حسنات ثم يضاعفها الله عز وجل الى سبعمائة ضعف فاذا هم
بخطيئة لم تكتب عليه فان عملها كتب خطيئة واحدة ورب ما يحسن عبد
عز وجل وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله اني لا اصوم
الا الشهر لا ازيد ولا اصلي الا الخمس لا ازيد عليها وليس لي مال فصدقة ولا
حج ولا تطوع اين انا اذا مت فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وقال
نعم ما لي اذا مت فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وقال
الغيبة والكذب وعيب من اشتغل النظر الى ما حرم الله عز وجل ان تزور
بها مسلما دخلت معي الجنة على الحال التي ما بقي قول الحديث البطون الذي ان
الاعرابي قال يا رسول الله حدثني بما يقربني الى الجنة ويباعدني من النار قال
فقال هو شيء قليل ان يهب لك حسابه اخلق فقال الله تبارك وتعالى
فقال هو شيء قليل ان يهب لك حسابه اخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
ثم تحكت يا اعرابي فقال ان اكرم الكرم اذا قدر عفى واذا حاسب سامح فقال علي
عليه السلام صدق الاعرابي لان اكرم من الله ما هو اكرم الاكرمين فقال
فقه الاعرابي ونبه ان الله تعالى اشرف لعفوه وعظمها ولو ان عبدا
ارتكب جرائم الخلق من استحق بولي من اولياء الله تعالى قال الاعرابي
ومن اولياء الله قال المؤمنون كلهم اما سمعت قول الله عز وجل الله ولي الذين امنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور وفي بعض الاخبار الملوس افضل من الكعبة
والملوس طيب طاهر والملوس اكرم على الله تعالى من الملائكة وفي اخر خلق الله
جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده الى النار وفي اخر آخر
قول الله عز وجل انا خلقت الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم لاربح عليهم وفي

ثم اوقام

حديث ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما خلق الله تعالى شيئا الا
جعل له ما يغلبه ويجعل له رحمة تغلب غضبه وفي الخبر المشهور ان الله تعالى كتب على
نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وعن مالك بن انس عن
مالك عليه صلى الله عليه وآله قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر
كلامه قول لا اله الا الله لم تمسه النار وروي عن ابن عباس رضي الله عنه شاهدت عليه
النار ولا مد خلها من في قلبه وزن ذرة من ايمان وفي خبر آخر يخرج من النار
سبعة رحمة الله ما ليس من حسنة احد ولا ملائكة رسول الله صلى الله عليه وآله
قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال تدرون اي يوم هو الله اعلم قال ذلك
عليه السلم قال ذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل الف
مائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدة الى الجنة قال فاذا ذلك اليوم يشيب
الصغير وتضع كل ذات حمل حملها ويرى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد
فقال اصحابه ايكم ذلك الواحد فقال ابشروا فان منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج الف
ثم قال والذي نفسي بيده اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال اني لارجو ان
تكونوا ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال اني لارجو ان تكونوا شطر اهل الجنة ان مثلكم في الامم
كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود وكما ترى في ذراع الدابة فاذا كنت كذلك يسوق اهل بساط الخوف ورقوم بارزة
الرجاء الى الله تعالى اذا قام بساط الخوف ولا قام خوج بهم عن حد الاعتدال
الى وساط الياس فداواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد
الا خبر لكن مناقضا للاول ولكن ذكر كل واحد منهما سببا لاشفاء المقصد
عليه فما احتاج حال المعالجة بالرجاء ذكر له تمام الامر فعلى الواعظ ان يقتدي
بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال اضبار الخوف والرجاء بحاجة
بعد ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان مفسدة اكثر مما يصلحه
وفي الخبر لولم تذنبوا لخلق الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم ان الله اخر ذنب

نصيب

بهذا

وقرئ ص

يوعظم م

عليه في الدنيا فاسه اكرم ان يكشف ستره في الآخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فاسه اعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الآخرة وقال الغيور من الخلق ان يحل حراما الى احرى قال ابو علي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره الله عن ابصار الملائكة كراهة ان تشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى السري بن سالم يحظ ان العبد اذا كان مستورا على نفسه فرفع بذنبه رفع مقوله مارت تحت الملائكة صوته وكذلك الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة مارت تقول الله تعالى حتى متى تجهرون علي صوت عبدي وقد علم عبدي انه ليس لي ربت لمغفرة الذنوب غيري اشهدكم اني قد غفرت له وقال ابراهيم بن ادهم خلال الطواف ليلة وكانت ليلة حارة مظلمة موقفت المحرم عند الباب مثلث مارب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم انت تسالني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل وعلى من اغفر وكان الحسن يقول لولم يذنب المؤمن لكان يطير في الملكوت ولكن الله تعالى قصمه بالذنوب وقال الجنيد ان ربت بين من اكرم الحقت المسيئين بالمحسنين ولقي مالك بن دينار ابانا فقال له الى كم تحدث الناس بالرخص فقال له يا يحيى انك لا ترجو ان ترى من عفو الله يوم القيامة الا خرق لك كساك هذا الخرق قد حدث رجل من عرائس وكان من جبارة التابعين وهو من تكلم بالموت فقال لمات الى حتى ينوبه والقياه على نفسه فكشف الثوب عن وجهه واسنوى قاعدا فقال الى لبيت ربي عز وجل يقال يوم هو وكان قد ورث عز ضياعا ولقي رجل يقال له ما تظنون والاعتراف ان محمدا صلى الله عليه وآله بعثه بالحق فاعترف بذلك واوصاه حتى ادرج اليهم قال ثم طرح نفسه فكانما كانت حصاة وقعت في بلت فغاب ووقفا

وقال الحسن ان رجلين من بني اسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان احدهما يجاري في نفسه وكان الآخر عابدا وكان يعظه فيقصر فيه وكان يقول لي ولك الجنة يوما حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك فقال الله تعالى ايكم المتقول علي استطلع احدكم بحظري حتى على عبادي اذهب فقد غفرت لك ثم تقول للعابد ادخل الجنة برحمتي وقال لك النار فقال قولا والذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة اهلكت دنياه وآخرته وروي ان رجلا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين سنة فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بني اسرائيل يقال له الاجواري فقال الاص في نفسه هذا اني الله يسير والى جنبه حواريه لو ترك يكان معها ثالث فقال فمثل مرمان مدنوس الحواري فوزدن في نفسه فغظ الحواري وقال في نفسه مثلي لا يمشي الى جنب هذا العابد فقال واحسى به الحواري فقال في نفسه هذا يمشي الى جانبي فلعله مقت مني نفسه وقدم الى عيسى فمشى الى جانبه فمقت الاص خلفه فقال فاوحى الله تعالى الى عيسى قل لبني اسرائيل قد احبطت عملك اما الحواري فقد احبطت حسناته لعجبه بنفسه واما الآخر فقد اخبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه فاخذ بها مذك ومضى الاص الى سياحة وحمل من حواريه وروي عن مسروق ان نبيا من الانبياء كان سائحا فوطئ بعض الفقاء عضة حتى الزق العظم بعضة فقال فرفع الرس عليه السلام يده فقال اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله تعالى الى ذلك النبي اني قد غفرت لك وتوعدت من هذا وروي ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقف على الشرف فيقول ليس لك من الامر شيء فيرفع الله عليهم وهم في اسوا حالة لو لك لا الاسلام قال الاثران رجلين كانا من المتعابدين متباغضين في العباد قال فاذا دخلا الجنة يرفع احدهما الدرجات العلى على صاحبه فيقول يا رب كان

ان الرجل يكثر في عبادة فوقعت عيناي على فضول ليسجانه اذكان يسالني الدرجات العلى وانت كنت تسالني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سؤله وقد امل على ان العبادة على الرجاء افضل لان الحب اغلب على الراجي منها على الخايف فكم فرق في الملوك بين من يخدم اتقاء عقابه وبين من يخدم ارتجاء ثوابه واكرامه ولذلك امر استحاب الفلق ولذلك قال صلى الله عليه وآله سلوا الله الدرجات العلى فانكم لن تسالوا في اذا سالتم الله فاعطوه الفردوس الاعلى فان الله لا تعظم شيء وقال يكون على الصراف دخلنا على مالك انس في الحبس فقبض فقال يا عبد الله كيف بحدك فقال للاوس الثقيل كم الآن تستقبلون من عمر الله لكم كم حساب ثم جاء حتى اعتصاه وقال لي ان جاءني في مناجاته يكاد رجائي لكم يقطع الذنوب تقطعني لكم الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرز فانا بالاذنوب موصوف واحدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا اقتصر عليها وانت بالجود موصوف وقيل ان يحيى استضاف ابراهيم الخليل عليه السلام فقال ان اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله تعالى الى ابراهيم يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه وكم من سبعين سنة تطعمه على كفره فلما صفت ليلته فاذا كان عليك فمر ابراهيم يطيب خلف المجوسي وذره واضافه فقال المجوسي ما السبب فيما صنعت فذكر له فقال المجوسي بكذا يعاملني ثم قال المجوسي على الاسلام فاسلم وحكى الاحنف ابو سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوحيد الاوحدين فقال كيف حالك فقال وحدا الاوحدين ما فعل بي غير ان ابا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا استاذ ما فعلت بك فقال يحسن ظني برته يحسن ظني برته وحكي ان ابا العباس بن سريج رأى في منامه كان القيامة قد قامت واذا الجبار يجاسبه فقال ابن العلماء قال فجاز ثم قال فاذا

فيما علمت قال فقلت يا رب قصرت ولم اسأل فما عاد السؤال كانه لم يرض بما اجاب واراد جوابا غيره فقلت الم اك فيما تعلمني في صحفي الشرك قد رجوت ان اغفر ما دون ذلك فما هو قد غفرت لك موبقات بعد ذلك ثلث الجبال وقيل كان رجل شرب جمع قرمان ندمانه ودفع الى الغلام اربعة دراهم وامره ان يشتري شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل العقر شيئا ويقول من دفع الي اربعة دراهم دعوت له باربع دعوات فقال دفع الغلام الدراهم اليه فقال منصور ما الذي تريد ان ادعو لك فقال احد يريد ان يخلص من دين قد ركبه فقال منصور وقال الآخر فقال ان يخلف الله عليه دراهم فدعا ثم قال الآخر فقال يتوب الله على يسير فدعا ثم قال الآخر فقال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور وضرج الغلام فقال سيده لم ابطات فقص عليه القصة فقال ويحك فما دعا فقال سالت الله ان يغفر العقر فقال ذهب عمر وايش اتى فقال ان يخلف الله عليه الدراهم فقال لك اربعة الف درهم وايش الثالث قال ان يتوب الله عليك فقال ثبت الى الله وايش الرابع فقال ان يغفر الله لي ولك وللقوم وللعقر فقال هذا الواحد ليس الي فغابات تلك الليلة راى في المنام كان قايلا يقول له انت فعلت ما كان اليك افترى اني لا افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين اجمعين ورؤي عن عمر الوراق بن عبد الحميد الشعثي قال رايت جنازة يحملها ثمانية من الرجال وامراة قال فاخبرت بمكان المراة وذهبت الى المقبرة وصليت عليها ودفنا الميت فقلت للمراة مع كان هذا الميت قالت ابي قلت وكيف كان امرك قالت مع كبر سني وكثرة عيالي كان هذا الميت يجيء كل جمعة فيعطيني ما يكفيني وعيالي حتى حضر والدي الوفاة فقلت له يا ابت الى من تكلنا فقال الى فرتنا هذا فسكت بما الى شرط واعطيتها دراهم وخلطة وثيابا فرايت ذلك الميت كانه اتاني

اتى كانه الحرب لبيك وسعديك بيت بعض الفضل شكر به فقلت من اين
فقال الحديث الذى دفنتموه اليوم حتى دبى باحتقار الناس اياى وقال
ابو سليم الاطروش كنا قعودا بعبادان مع صوفى اكرمنى على دجلة اذ مرت
احداث فى زورق يضربون بالدف والشربون ويلعبون فقالوا المعروف
امامهم يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يده وقال اللهم كما فرحتهم فى الدنيا
فتفرحهم فى الآخرة فقال القوم انما سألناك ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم
فى الآخرة تاب عليهم وكان بعض السلف يقول فى دعائه ما رب واى اهل
دهرك يعصونك ثم كانت تمكث عليهم سانغة ورزقك عليهم دارا فاسمح
ما احلك وعزك ما اكرمك تعصى ثم تسبغ النعمة وتمدد الرزق حتى لهانك
يا ربنا انا نطاع بسعة ما احلك تعصى وتمدد الرزق وتسبغ النعمة
حتى لهانك ما ربنا لا تغضب ﷺ تمذهب الاسباب التى يحتاب
بها روح الرجاء الى قلوب الخائفين والآيسين فاما الحمق المغرور فان
فلا ينبغى ان يسمعوا اشباههم من ذلك بل يسمعون ما سنوردده فى اسباب
الخوف فان اكثر الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبى
الغرم الذى لا يستقيم الا بالسوط والعصا واظهار الخشونة فى الكلام فانا
عقد ذلك فعليه بباب الصلاح فى الدين والدنيا ﷺ ﷺ ﷺ

الشطر الثانى من الكتاب فى الخوف

وفيه بيان حقيقة الخوف
وبيان درجات الخوف وبيان اقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وحال
الافضل من الخوف والرجا وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة
وبيان احوال الخائفين من الانبياء والصالحين بيان حقيقة الخوف
اعلم ان الخوف عبارة عن تالم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال

يكون بعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله بالملك العالم بكل ما يكون ولم يخف ما لم يكن
لكثرة اخباره من العبد بمعارفه المجاهى وبنارة يكون بها جبنا وكسر قلبه
بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله وتعالى واستغنائه وانه لا يسأل عما يفعل
تكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله
عليه وآله انا اخوفكم لله ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
ثم اذا كملت المعرفة اثمرت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الخوف
من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات التى فى البدن فتتحول
الصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تشق به المرارة فتمضى
الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او القوى فتورث التخليط الكلى
واما الجوارح فتكفها عن المعاصى وتعتدها بالطاعات تلافيا لما فرط منها تعودا
للاستقبال ولذلك قيل ليس الخائف من بكى وامسح عينه بل من ترك
ما يخاف ان يعاقب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف شاهد منه
ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذى النون متى يكون العبد خائفا
قال اذا انزل نفسه منزلة السقيم الذى يتحمى مخافة طول السقام واما
الصفات فنوعان نعم الشهوات وتكدر اللذات فقصر المعاصى الحكم عنده
مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف انه فيه سم فيفوت
الشهوات بالخوف وتناديب الجوارح وحصل فى القلب الذبول والخشوع
والذلة والاستكانة وبفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب
الهم بخوفه والنظر فى خطر عاقبته فلا تتفرغ جارحته لغيره ويكون له شغل
الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والصيانة والاقتباس والملاحظات
ومواخذة النفس فى الخطوات والكلمات ويكون حاله من وجهين
مخالف سبع ضارى لا يرجى انه تغفل عنه فيغتلك او بهيم عليه يملك

وقد ظهر ان بيان حقيقة الخوف انس باسه وملك الحق قلبه وصار ابين
وقعته مشاهدة الجلال الحق على الدوام لم يتسع له التفات الى المستقبل فلم يكن
لخوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان لانعطاف
النفس عن الخروج الى رعوناتها والى هذا اشار الواسطى حيث قال الخوف
حجاب بين الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر التعبد على السرائر لاشى فيها
فضل لرجاء ولا لخوف ولا لمحبة فالحب اذا شغل قلبك فى مشاهدة المحبوب بخوف
الفراق كان ذلك نقصانا فى الشهود واذا دوام الشهود غاية المقامات ولكنا
الآن انما نتكلم فى اوايل المقامات فمنزل حال الخوف ينتظم ايضا من علم وحال
وعمل اما العلم فمعقول وحال الخوف انما هو العلم بالسبب المفضى الى المكروه وذلك
كمن جنى على ملك ثم وقع فى يده فيعلم ان القتل مثلا يجوز العفو والاقالات
ولكن يكون تالم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله
وهو فاحش جنايته وكون الملك فى نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه قويا
على تحقيق الانتقام خاليا عن شغل اليه حتمه وكان هذا الخائف عالما
عن كل وسيلة وحسنة تحور اثر جنايته عند الملك فالعلم بظاهر هذه الاسباب
سبب لشدة الخوف وشدة تالم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب يضعف
الخوف وقد يكون الخوف لاعن سبب جناية فان انا الخائف بل من صفته
المخوف كالذى وقع فى مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفته ذات السبع
وهى سطوته وحرصه على الافتراس غالبا وان كان اقتراسه لا لاختيار وقد
يكون من صفة جبلية للمخوف منه تخوف من وقع فى مجرى سيل او حوادث من
فان المخاوف كلها ترجع بحسب الى السيلان والاغراق وكذا النار فى
الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق
القلب وتالمه وذلك الاحتراق هو الخوف وكذا الخوف من الله تعالى يكون

فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره فما حال من غلب الخوف
واستولى عليه هكذا كان حالة من الصحابة والتابعين وقوة الارادة الجازمة
بحسب قوة الخوف الذى هو تالم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة
بجلال الله تعالى وصفاته وافعاله وعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار
والاهوال واعلم ان درجات الخوف ما مظاهر اثره فى الاعمال ان منع من المحظورات
وسهل الكف المحاصل منه المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما تطرق
اليه امكان التحرز فيكف عما لا تتيقن انه كذبه ويسير ذلك تقوى اذا تيقن
ان ترك ما به ما لا بأس به وقد يحمله على ان يترك ما لا بأس به مخافة ان يجره
وهو الصدق فى السنوى فاذا انضم اليه التحرز للمحذوم لا يجنى ما لا يسكنه والاثم
ما لا يأكله ولا يلتفت الى ما يعلم انه فارقه ولا يصرف الى غير الله تعالى انه
من انفاسه لهوى الصدق وصاحبه جدير بان يسير صدقا وقد دخل فى الصدق
التقدير وقد دخل فى السنوى الورع وقد دخل فى الورع العفة فانها عبارة عن الاعراض
عن متقضى الشهوات خاصة فاذن الخوف يؤثر فى الجوارح بالكف والاقلام
وتقدم ان اسم الكف اسم العفة وهو كف عن متقضى الشهوة واعلم ان الورع
فانه لم الكف عن كل محظور واعلم ان السنوى فانه اسم الكف عن الخطرات والشبهة
جميعا وورائه اسم الصدق والمروءة وهى من الرتب الآخرة ما قبلها بحر النفس من
الاخوف فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الجنس كما انك تقول الانسان اما ابيض او غير
والابيض اما قرشى او غيره والقرشى اما هاشمى او غيره والهاشمى اما علوى او غيره
والعلوى اما حسن او حسينى فاذا ذكرت الحسنى فقد وصفته بالجميع
وان وصفته بانه علوى وصفته بما فوقه بما هو اعم منه كذلك اذا قلت عبد
فقد قلت انه مملوك وورع وضعيف فلا منع ان كثرة هذه الاسباب تدل على
معان كثيرة متباينة فتحتاط عليك عند كل من طلب المعانى منك الالفاظ وتمنع

الالفاظ المختلفة لمعنى واحد اشارة الى مجامع معانى الخوف وكيفية من جانب العلم وكلية الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة منه كما وقد ما يأتى ذكره

الخوف واختلافه بالقوة والضعف اعلم ان الخوف محمود وربما نقول ان كل ما هو محمود كلما كان اقوى واكثر كان اجود وغلط هذا القول ان الخوف سوط الله تعالى يسوق به عباده الى المواظبة على العلم والعمل لما انهما كما ربية التى من لم تهذبه سياط الخوف للبهيمية ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبى ولكن ذلك لا يدل على ان المبالغة فى الضرب محمودة فكذلك الخوف لا تصور وله افراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فالقاصر منه هو الذى يجرى مجرى رقة الصبى بحيث يطرب الصبى عند سماع آيات من القرآن فيورث البكاء وتقبض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذى يضرب به دابة قوية لا يولمها ولا يزجرها فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا العارفين والعلماء لست اعنى بالعلم المدرسى برسوم العلماء والمسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعنى به العلم بالله وبآياته وافعاله وذلك مما قد غمر وجوه الآن ولذلك قال الفضيل رحمه الله اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واشار به الى ان الخوف هو الذى يكف الجوارح عن المعاصى وتحدها بالطاعات وما لم يؤثر فى الجوارح بالمنع عن شهوة وحركة خاطرة لم يستحق ان يسمى خوفا والمفرط فهو الذى يؤدى وبجاوزه الى الاعتدال حتى يحمل الى اليأس والقنوط وهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولاه لما كان الخوف كما لا يخفى نقصان لان مثاره الجهل والجهل نقصان بل يدرى عاقبة امره ولو

بعض اقسامها فضيلة بالاضافة الى ما دونها كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة النبى والصديق فان الخوف ان لم يؤثر فى العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذى لا يزيد فى حركة الدابة الا اثر قليل درجات بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على الغض وهو الكف عن بعض الشهوات فله درجة فان اثمر الورع فوقها واقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين وهو ان يسلب الظاهر والباطن جميعا حتى لا يبقى لغير الله فيه مسع لهذا اقصى ما يحمد منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوزه الى ازالة العقل والقوى لمزمن بسبب غلبة الخوف قد يعد عليه ولو كان محمودا لكان محمودا عليه سبب الرجاء ولغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول لابن اللاذى لجوجا اياك وكثرة احتقار عقولكم فانه كم من مختبل ولى ناقص العقل بسبب الخوف

بيان اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه اعلم ان الخوف لا يتعلق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها فى ذاته كالنار واما ان يكون مكروها لانه يفضى الى المكروه كما يكره المعاصى لا ذاتها الى مكروه فى الآخرة وكما يكره المرض لانه يفضى الى الموت والموت مكروه لانه يفوت الحياة والحياة محبوبة لانها مزرعة الآخرة والمكروه الذى يخاف قد يكون مكروها لنفسه وقد يكون مكروها لغيره فهذه اربعة اقسام

القسم الاول ان يكون مكروها فى ذاته وهو على اربع مراتب

المرتبة الاولى ان يكون مكروها فى ذاته لكونه مؤلما وهو الذى يسمى عذابا وعقابا وهو الذى يخاف فى الآخرة وهو على درجات بعضها اشد من بعض وهو الذى يخاف فى الدنيا ايضا وهو على درجات بعضها اشد من بعض

المرتبة الثانية ان يكون مكروها لكونه مفوتا لما هو محبوب لذاته وهو الذى يخاف عند الموت وهو على درجات بعضها اشد من بعض

المرتبة الثالثة ان يكون مكروها لكونه مفوتا لما هو محبوب لغيره وهو الذى يخاف فى الدنيا وهو على درجات بعضها اشد من بعض

المرتبة الرابعة ان يكون مكروها لكونه مفوتا لما هو محبوب لغيره وهو الذى يخاف فى الآخرة وهو على درجات بعضها اشد من بعض

القسم الثانى ان يكون مكروها لكونه مفضيا الى ما هو مكروه لذاته وهو على اربع مراتب

المرتبة الاولى ان يكون مفضيا الى ما هو مكروه لذاته فى الآخرة وهو على درجات بعضها اشد من بعض

المرتبة الثانية ان يكون مفضيا الى ما هو مكروه لذاته فى الدنيا وهو على درجات بعضها اشد من بعض

المرتبة الثالثة ان يكون مفضيا الى ما هو مكروه لغيره فى الآخرة وهو على درجات بعضها اشد من بعض

المرتبة الرابعة ان يكون مفضيا الى ما هو مكروه لغيره فى الدنيا وهو على درجات بعضها اشد من بعض

القسم الثالث ان يكون مكروها لنفسه لكونه مانعا من الوصول الى ما هو محبوب لذاته وهو على اربع مراتب

المرتبة الاولى ان يكون مانعا من الوصول الى ما هو محبوب لذاته فى الآخرة وهو على درجات بعضها اشد من بعض

المرتبة الثانية ان يكون مانعا من الوصول الى ما هو محبوب لذاته فى الدنيا وهو على درجات بعضها اشد من بعض

المرتبة الثالثة ان يكون مانعا من الوصول الى ما هو محبوب لغيره فى الآخرة وهو على درجات بعضها اشد من بعض

المرتبة الرابعة ان يكون مانعا من الوصول الى ما هو محبوب لغيره فى الدنيا وهو على درجات بعضها اشد من بعض

القسم الرابع ان يكون مكروها لكونه مانعا من الوصول الى ما هو مفض الى ما هو مكروه لذاته وهو على اربع مراتب

المرتبة الاولى ان يكون مانعا من الوصول الى ما هو مفض الى ما هو مكروه لذاته فى الآخرة وهو على درجات بعضها اشد من بعض

المرتبة الثانية ان يكون مانعا من الوصول الى ما هو مفض الى ما هو مكروه لذاته فى الدنيا وهو على درجات بعضها اشد من بعض

المرتبة الثالثة ان يكون مانعا من الوصول الى ما هو مفض الى ما هو مكروه لغيره فى الآخرة وهو على درجات بعضها اشد من بعض

المرتبة الرابعة ان يكون مانعا من الوصول الى ما هو مفض الى ما هو مكروه لغيره فى الدنيا وهو على درجات بعضها اشد من بعض

بيان اسباب الخوف اعلم ان اسباب الخوف كثيرة ولكن نحصرها فى ثلاثة اسباب احدها الخوف من الله تعالى وهو الذى يحصل من ثلاثة اشياء من معرفة الله ومن معرفة صفاته ومن معرفة افعاله اما معرفة الله فهو ان يعرف الله بصفات الجلال والكبرياء والعظمة والاستغناء المطلق عن جميع الخلق وان جميع الخلق فقراء اليه فى وجودهم وفى بقائهم وفى جميع صفاتهم وان جميع الخلق بالنسبة الى كبريائه وعظمته كالذر بل اقل من الذر وان جميع ما فى السموات والارض بالنسبة الى ملكه وسلطانه كخردلة فى بيداء عظيمة وان جميع ما فى السموات والارض بالنسبة الى ملكوت الله كخردلة فى بيداء عظيمة وان جميع ما فى السموات والارض بالنسبة الى ملكوت الله كخردلة فى بيداء عظيمة وان جميع ما فى السموات والارض بالنسبة الى ملكوت الله كخردلة فى بيداء عظيمة

خوف الاشتغال عن الله بغير الله او خوف الاسترسال بتوالى النعم او خوف الانكشاف فى اثناء طاعته حتى يسود له من الله ما لم يكن يحتسب او خوف تبجح الناس عند ذلك الغيبة والخيانة والفحش والاضرار السوء او خوف ما لا يدرى ما مكتوب له بسببه عرة او خوف تحويل النعمة فى الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الافتقار فى خارج الدنيا او خوف اطلاع الله على سريرته فى غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء او خوف ان يسبق له فى الازل ما هذه كلها مخاوف العارفين والكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر مما يفضى الى الخوف فمن خاف استقبالا للعادة عليه فى مواظبته على الطاعة عن الوساوس وهكذا الى آخر الاقسام وانما غلبت هذه الثلاثة على الكثير خوف الخاتمة فان الاعرفة محظر واعلى الاقسام واجلها على الاطلاق معرفة خوف السابقة لان الخاتمة تتبع السابقة وفرع متفرع عنها فيحتمل ان يسلب كثيرة فالى ما يظهر ما سبق به القضاء ام الكتاب والخوف من الخاتمة بالاضافة الى الخائف من أن يلقى كرجلين وقع الملك فى صفتهما بتوقيع يحتمل ان يكون فيه جز الرقبة ويحتمل ان يكون فيه تسليم الوزارة اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فيرتبط قلب احدهما بحالة وصول التوقيع ونشره فانه عاد ناظر ويرتبط قلب الآخر بحالة ترقيع الملك فيه فهو الذى خطر له فى حال التوقيع من رحمة او غضب وهذه الالتفات الى السبب فهو احد من الالتفات الى ما هو فرع فكذلك الالتفات الى القضاء الازلى الذى جرى بتوقيعه القلم على ما لم يظهر فى الابد وإليه اشار النبى صلى الله عليه وآله حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا

انه كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء ابائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قضى السيرى
وفى الكتاب انه كتب فيه اهل النار باسمائهم وان بهم لازادة فيهم ولا نقص
ويحتمل السعادة بعمل اهل الشقاوة ويقابل كانه منهم بل هم هم ثم تستغنم الشقاوة
قبل الموت ولو بنواق ناقة ويعمل اهل الشقاوة عمل اهل السعادة حتى يقال
كانهم منهم بل هم هم ثم تسبق حكم السعادة قبل الموت ولو بنواق ناقة السعيد
سعيد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء الله والاعمال بالخواتيم وهذا انما تقسام
الخائفين الى من يخاف معصية وخيانة والى من يخاف الله تعالى نفسه
لصفته وجلاله والمواظبة الى شغى الجهتين لاجل هذا الخاطر تبه والذى يخاف
خوفه وان كان فى طاعة الصدقتين واما الاخر الهو فى معرض الغرور والآفات
ان واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف
من الله تعالى خوف المرسلين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى فكل من عرفه
وعرف صفاته علم من صفاته الموجبة رجاء ان يخاف من خوفه بل الراجى الخوف
الله حتى المعرفة تخاف الله والكف معصيته ولولا انه تخوف فى نفسه لما سوغ الله
للمعصية وتيسر اسبابها وتعدد اسبابها فان تيسر سبب المعصية يعاد ويستحى
منه قبل المعصية معصية اخرى بها ان سهل المعصية ودعى عليها اسبابها ولا
سبق فعل الطاعة وسيلة توصل بها بل يسرت له الطاعات ومهدت سبل القربات
فالعاصى تدعى عليه المعصية شاء ام ابى وكذا المطيع فالذى رفع عهد لصاحبه عليه
والله الاعلى عليس من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع ابا جهل فى اسفل
السافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده بعذر بان يخاف لصفته جلاله
فان من اطاع الله اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة واتاه القدرة وبعد
خلق الارادة اى ازيته والقدرة اتاه تصير الفعل ضروريا والذى عصى عصى
لانه سلط عليه ارادة قوية خاذية واتاه الاسباب والقدرة وكان الفعل مع الارادة

ضروريا فاطبت شرى كالذى اوجب اكرام ولده وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات
عليه والذى اوجب اهانة الآخر واعداده بتسليط داعى المعصية عليه فكيف
يقال ذلك على العبد واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلى من غير جناية
والاوسيلة فالخوف ممن يقضى عليه شاء وكيف كان بد من حزم عند كل عاقل وهذا
الذى يستر القدر الذى لا يجوز افشاءه والذى نهى عنه الخوف من سوء صفاته
الاشعال لولا اذن الشرع لم يستجز عاقل ذكره ونصيحة فقد جاء فى الخبر ان
الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود خفنى كما تخاف السبع الضارى
فهذا الامثال تهدك حاصل المعنى وان كان الله تعالى يعذب على سبيل فان
الوقوف على سبيله وفوق ستر القدر ولا يكشف ذلك الا الاهله والحاصل
ان السبع تخاف اللجاجة تسبقت اليه من صفته ومن عاشه وسطوته بركوبه
والله تعالى يفعل والاباك فان تخلف لم يرق قلبه وابتاك فتلك وان تخلك
لم تكن شفقة عليك وابتاءك وتركك على ان اعنه عنده افضل لك ان تملك
حياتك او ميتا بل ملاك الف ملك وهلاك كله عنده على السوية واحدة اذا
تقدح ذلك علم سبقيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته وتلك المثل الاعلى
ولكن من عرف عرف على الشاهد الباطنة التى هى اقرب واوثق واجل من المشاهدة
الظاهرة انه صادق فى قوله لاملان جهنم منك واملان منك النار ولا املان
وكذلك من موجبات المهابة والخوف الموقوف بالاستغناء وعدم المبالاة الطبيعة
الثانية من انحاء ان تتمثل فى نفسك هول المكروه وذلك مثل سكرات الموت
وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او بقية الموقف
بين يدى الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير والخوف
من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف من النار وغلاتها و
اهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم ومن نعمان

الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة فى نفسها فالخائف
محزون ومختلف احوال الخائفين فيها واعلاها تبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله
وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والصالحين وان ابدى
وكانة العالمين ومن لم يكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته الباطنة بلذة الوصال والابد
البعد على الفراق واذا ذكرنا ان العارف لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب
وجد ذلك منكرا فى باطنه وتعجب منى نفسه ومهما انكشفت لذة النظر الى وجه الله
الكريم لو لم يمنع الشرع الايمان من الاستعاذة لكان لا يقدر ان يعبر بلسانه عن عظم دهشة التعذيب
والالم باطنه لانه يعلم ان لا ذوق الالذة الذبح والطعن والعين بالنظر
الى الالوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة يشارك البهائم فيها فالذة العارف
فلا يدرك كما غير هم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس اهلا لدوس كان اهلا له
استغنى عنه واستغنى عن ان يشرحه لعنوه فالى هذه الاقسام يرجع خوف الخائفين
بيان تفضيل الخوف والترغيب فيه اعلم ان فضل الخوف تارة يعرف بالاعتبار
والاعتبار تارة بالآيات والاخبار اما الاعتبار فسبيله ان فضيلة الشئ تقدر
بقدر غنائه فى الافضاء الى سعادة لقاء الله اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة
للعبد الا لقاء مولاه والقرب منه بكمال اعانه عليه فله فضيلة وفضيلة قدر
اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله تعالى الا بالاجتهاد بحسبه والاجتهاد
به فى الدنيا ولا يحصل المحبة الا بالمعرفة ولا يحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل
الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا باطفاء
حب الدنيا بحسب القلب والاستغلال بذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها لان
ترك الشهوات الا بقمع الشهوات ولا تقمع الشهوة بشئ كما تقمع بنار الخوف فالخوف
هو النار المحرقة للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر
ما كف عن المعاصى ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات

الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه يحصل الورع والورع والتقوى
والمجاهدة وهى الاعمال الفاضلة المحمودة التى تقرب بها الى الله تعالى زلفى واما
بطريق الاقتباس من الآيات والاخبار فاوردنى فضيلة الخوف خارجا عن الحصر
وناهيك دلالة على فضيلته جعل الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان
وهى بجامع مقامات اهل الجنان قال الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون
وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم بالعلم بخشيته قال الله تعالى رضى الله
عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف
لان الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء فى خبر موسى على نبينا وعليه السلام اما انى لا ارى
فان لهم الرفيق الاعلى لا اشارك فى ذلك فانظر كيف فاز هم برفقة الرفيق الاعلى
وذلك لانهم العلماء والعلم لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء ومرافقتهم
الرفيق الاعلى لانبياء وس يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وآله
فى مرض موته بين البقاء فى الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول اللهم
الرفيق الاعلى فاذن ان نظر الا مثمره فهو العلم وان نظر الى ثمرته فهو الورع والتقوى
والاصل الذى ورد فى فضائلها حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة به
كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلوة برسول الله صلى الله عليه وآله حتى قال
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلوة على محمد وآله وقد خصص الله
التقوى بالاضافة الى نفسه فقال تعالى ان ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن ينالها
التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كفة يقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال الله
تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولذلك وصى الله تعالى الاولين والآخرين بالتقوى
فقال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
وقال تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين فامر بالخوف واوجبه بشرط وهو الايمان
فلذلك لا تتصور ان تنفك عن خوف وان ضعف وكون ضعف خوفه

بحر ضعيف معرفته وايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله أنه فضيلة التقوى اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم فاذا هم بصوت يسمع اقصاهم كما يسمع ادناهم فيقول يا ايها الناس انى قد انصفت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصفوا الى اليوم انا هى اعمالكم ترد عليكم ايها الناس انى قد جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبى ورفعتم نسبكم قلت أن اكرمكم عند الله اتقاكم وابيتم الا فلان بن فلان وفلان افضى من فلان فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبى اين المتقون فينصب للمتقى لواء فيتبع المتقون لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال عليه السلام راس الحكمة مخافة الله وقال عليه السلام لابن مسعود ان اردت ان تكتفى فاكتفى الخوف بعدى وقال الفضيل من خاف الله سلط الخوف على كل شىء ومن اخاف الله سبحانه لا يرى الا بامن الحكم والعبرة ما رايته قط وقال يحيى بن معاذ ما من مومن يعمل سيئة الا ويلحقه حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو كشف بعض اسد بن فرات ضرس عالم فصاح عليه آه آه اما الموت عون فانه لا بد منه الا انا شغلنا الحساب ونغشت عافية الا الورعين فانى استحيهم ان اوصفهم للحساب والزرع والتقوى اساس اشتقت من معانى شتى فالخوف فاعل طلاعى الخوف اسم هذه الاساس وكذلك ما ورد فى فضايل الذكر لا تخفى وقد جعله الله تعالى محضا بالجانين فقال سبحانه وتعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال صلى الله عليه وآله قال الله تعالى وعزتى وجلالى لا اجمع لعبدى امنين فاذا امننى فى الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافنى فى الدنيا امنته يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من خاف الله اخاف منه كل شىء وقال رسول الله صلى الله عليه وآله اكثر ما اخاف على امتى كل منافق عليم اللسان وقال صلى الله عليه وآله ما من قطرة احب الى الله من قطرة دمع من خشية الله او قطرة دم اهريقت فى سبيل الله وقال صلى الله عليه وآله اللهم ارزقنى عينين هطالتين تسقيان طرف الدمع قبل ان يصير دما والاضراس حرا وقال صلى الله عليه وآله سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله فى خلوة ففاضت عيناه وقال ابو بكر الصديق من استطاع ان يبكى فليبك ومن لم يقدر

واشتد

وليتى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجا وهى الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تعالى يخافون ربهم من فوقهم وانما عبر بالوجه عن الخوف بالرجا قال تعالى انما نطعمكم لوجه الله وقال تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا الى غير ذلك وكثيرا ما ورد فى القرآن الرجا بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما اذ غاية الهرب التعرض للشىء بالملازمة لكل كما ورد فى فضل البكاء من خشية الله هو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية وقد قال الله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا وقال الله تعالى انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وانتم سامدون وقال النبى صلى الله عليه وآله ما من عين تبكى من خشية الله الا كانت مثل راس الذباب من خشية الله كما تصيب شيئا من وجهه الا حرمه الله على النار وقال عليه السلام اذا اقشعر قلب المومن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما تحات من الشجر ورقها وقال صلى الله عليه وآله لا يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع وقال عتبة بن عامر انا النجا يا رسول الله قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقالت عايشة قلت يا رسول الله وهل احد من امتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال صلى الله عليه وآله ما من قطرة احب الى الله من قطرة دمع من خشية الله او قطرة دم اهريقت فى سبيل الله وقال صلى الله عليه وآله اللهم ارزقنى عينين هطالتين تسقيان طرف الدمع قبل ان يصير دما والاضراس حرا وقال صلى الله عليه وآله سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله فى خلوة ففاضت عيناه وقال ابو بكر الصديق من استطاع ان يبكى فليبك ومن لم يقدر

فلتباك

بيان افضلية الخوف على الرجاء او عكسه

اعلم ان الاصحاب في افضلية الخوف والرجاء كثرت وربما ينظر الناظر فيها فيتحير به شك في ان الافضل اي ما وقول القايل الخوف افضل ام الرجا سوال فاسد يضاهي قول القايل الخبز افضل ام الماء وجوابه ان يقال الخبز افضل للجايع والماء افضل للعطشان لان كل واحد منهما نظرا الى الاغلب فان كان الجوع اغلب فالخبز افضل له وان استويا فيهما استويا وان وجدا لان كلا منهما مقصود بعضه يظهر بالاضافة الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجا دواءان يداوي بهما القلوب مختلفها بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف افضل وان كان الاغلب اليوس والقنوط من رحمة الله فالرجا افضل فلذلك ان كان الغالب على القلب المعصية فالخوف افضل ويجوز ان يقال مطلقا الخوف افضل على الله ويدل الذي يقال الخبر افضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبر مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء ومرض الجوع اغلب واكثر فالحاجة الى الخبر اكثر فهذا افضل فهذا الاعتبار فلسفة الخوف افضل لان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب وان نظر الى مطلع الخوف والرجا فالرجا افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما تقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام والخوف مستنده الالتفات الى الصفات التي تقتضي العنف فلا يازم المحبة مايزعجه للرجاء على الجملة فيراد لعنه فضل الاستعمال فيه لفظ الاصلح لا لفظ الافضل فمقول اكثر الخلق انهم اصلح من الرجاء وذلك لاجل غلبة المعاصي واما المتقي الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه وحبته وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه ورجاؤه ولذلك قيل لو وزن خوف المومن ورجاؤه لاعتدلا روي ان علي عليه السلم

اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله والصارعين بهما الى سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك ما لا يجرب ثم الحصاد والاوراق عند المنصرف من القتيل الى المحبة وذلك لم يجرب في عرف حتى من هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه خف خوفه على رجاءه لانه كما سبق في احوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فانا ان نعلم رجاؤه فلانه كان عمر بالغ في تفتيش قلبه حتى كان قد روي انه سئل انه هل يجد من آثار النفاق شيئا اذ كان قد خصه حذيفة ان صلى عليه او آخر فعلم المنافقين فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خبايا النفاق والشرك الخفي وان اعتقد مقالته من ذلك في اين ياس وكيف تطيب حال عليه واخاف عنه وان وثق بان ثبت بتثبيت الله تعالى على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال عليه السلم ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبين الجنة الا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل اهل النار وقد يعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبين النار الا قدر ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل اهل الجنة فلا يامن العبد مكر الله ولا يقنط من رحمة الله فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه والرجا تابع للمحبة فان كرم المحبوب والمتصف بالفضل والاجمال كلما عرفه الله حق معرفته احبه فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوب عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعظم عذابه فمهما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفق والاصحاب لمذا رجل محبته كلها في الدنيا فالدنيا محنته اذ المحنة عبارة عن الشقة التي حجبته بجميع الحجب فموته خروج من المحبة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه ولا اشقى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه فاذا لم يكن المحبوب سوى الله وكان

يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات وينزع القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه الى التجافي عن دار الغرور وانما الخوف المحمود من مخوف النفس الذي لا توثر في الكف والحث دون الياس المورث للتفريط وقد قال يحيى بن معاذ ليس عبد الا وفي قلبه خوفان خوف غرق في بحار الافكار وهي عبده بخوف الرجاء وخوف عبده بالخوف والرجا امام في نجاة الاذكار وقال ذو النون من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجا فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجا والمحبة فهو موحد فاذن الامور كلها بهذه الامور وغلبة الخوف اصلح الاصلح ولكن قبل الاشراف على الموت اما عند الموت فالاصلح غلبة الرجا وحسن الظن لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد مضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا قدرة على العمل ثم لا يطلق اسباب الخوف فان ذلك تقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته وامارة الرجا فانه تسوى قلبه وتحسن به ربته الذي اليه رجاؤه ولا ينفع ان تفارق احد الدنيا الا محبا لله تعالى فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه والرجا تابع للمحبة فان كرم المحبوب والمتصف بالفضل والاجمال كلما عرفه الله حق معرفته احبه فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن قدم على محبوب عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعظم عذابه فمهما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفق والاصحاب لمذا رجل محبته كلها في الدنيا فالدنيا محنته اذ المحنة عبارة عن الشقة التي حجبته بجميع الحجب فموته خروج من المحبة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه ولا اشقى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه فاذا لم يكن المحبوب سوى الله وكان

ذكره وموقته والفكر فيه فالدنيا وعلائقها شاغلة لبعض المحبوب فالدنيا ان يحبسه
لان السجن عبارة عن التعلق بالمانع المحسوس عن الاسراع الى محابة قوته قدوم على
محبوبه وخلاص من السجن والاخص حال من انفلت من السجن ووطئ بيته وبين محبوبه
بلا مانع ولا مكدر فهذا اول ما يلقاه كل من يفارق الدنيا عقيب موته من الثواب
والعتاب فضلا عما اعد الله لعباده الصالحين مما لم تر عين ولا خطر على قلب بشر
وفضلا عما اعد الله للذين استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمانوا
اليها من الاشكال والسلاسل والاغلال وضروب العذاب والنكال فنسال الله تعالى
ان يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين والاصفياء باجابة هذا الدعا الا كما
حث الله والسبيل اليه الا باخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق
عن كل ما سوى الله من جاه ومال ووطن فالاولى ان ندعو لها دعاء نبينا عليه السلام
اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل
حبك احب الي من الماء البارد والفرض ان غلبة الرجا عند الموت اصلح لانه
اجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات وقمع
لمحبة الدنيا من القلب ولذلك قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى لا يموتن احدكم الا وهو
حسن الظن بربه وقال تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وحاصر
سليمان التيمي للوفاة فقال لابنه انا بين حدثين ما ادري ما اذكر لي الرجا حتى اني لله
تعالى على حسن الظن به وكذلك المحتضر للموت الوفاة والشدة حزنه جمع
الطعام حوله بعضهم وقال احدهم جعل عند الموت يلاعبه اذكر الاحباء الملقى
فيها الرجا وحسن الظن والمقصود من ذلك كله ان يحبب الله الى نفسه وذلك
اوحى الله الى داود عليه السلام ان حقني الى عبادي تحبني بما ذا افعل بان تذكر
لهم آلائي ونعمائي فان غاية السعادة ان تموت العبد محبا لله وانما تحصل المحبة
بالمعرفة وباخراج حب الدنيا من القلب حتى صار الدنيا كالسجن للانسان من المحبوب

روى بعض الصالحين ابا سليمان الدارانى فى المنام وهو يطير فسالته عما آل اليه امرك
فقال اصبح مسالى عن الخوف فى الجنات البارحة **بيان الدواء الذى به يعالج حال**
الخوف اعلم ان ما ذكرناه فى دواء الصبر وشرحناه فى كتاب الصبر من الكتاب هو كافٍ
هذا الغرض لان الصبر الحكمى الابدى حصول الخوف والرجا لان اول مقامات الدين
اليقين الذى هو عبارة عن قوة الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار وهذه الامور
بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجا للجنة والخوف والرجا جانحتان يطير الطير ان
الجنة بهما وقد حث بالجناح فلا يصير على عطلها الا بقوة الرجا والنار قد حفت بالشهوات
فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال على عليه السلام من اشتاق الى الجنة
سلى عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يدوم مقام الصبر
المستفاد من الخوف والرجا الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر فيه فعند
الدوام ويدوم دوام الذكر الى الانس ودوام الفكر الى كمال المعرفة ويدوم كمال المعرفة
والانس الى المحبة وبتمهيد مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات بعد هذا على الترتيب
فى سلوك منازل الدين فليس بعد اصل اليقين مقام سوى الخوف والرجا ولا
بعد ما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد لله باطنا وظاهرا ولا مقام بعد المجاهدة
الى منتهى الطريق الا البداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة والانس
ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فاذن فيما
ذكرنا فى علاج الصبر كفاية ولكنا نعيد الخوف بكلام جامع فنقول الخوف يحصل
بطريقين مختلفين احدهما اعلى من الآخر وهو ان الصبى اذا كان له بيت قد دخل
عليه سبع او حية ربما كان للخوف وربما يمتد اليه الحية ليلتقمه ويبتلعه
ولكن اذا كان معه ابوه وهو عاقل يخاف من الحية ويهرب منها فاذا نظر
الصبى الى ابيه وهو يقصد فريصه ويتجافى فى الهرب قام معه وعلم ان الخوف
وراءه فى الهرب فخوف الاب من بصيرة ومعرفة بخصلة الحية وبقهرها وحيلها

وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته والخوف الاول فانما يكون بمجرد التقليد
لانه يحسن الظن بابيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف فمن شم فيعلم
ان السبع مخوف ولا يعرف وجهه فاذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف
من الله تعالى على مراتب احدها الخوف من عذابه وذلك الخوف منه فى ذاته قاما
الخوف منه فهو خوف العلماء وارباب القلوب العارفين من صفاته بما تقتضيه الهيبة
والخوف والخذر المطلقان على ستر قوله ويحذركم الله نفسه وقوله اتقوا الله
حق تقاته فاما الاول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بحصول الايمان بالجنة
والنار وكونها جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب ضعف السبب وسبب
ضعف الايمان وانما يزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكرة فى احوال
القيامة واصناف العذاب فى الآخرة وبزيادة النظر للاخبار الواردة فيهم
ومشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تاثير واما الثانى
وهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف بمعنى ان يخاف البعد عنه والحجاب
القرب منه كما قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت
فى بحر الحى وهذه خشية العلماء حيث قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما
والعلوم الموصى بها حقا من هذه الخشية وكل من هو بمجرد التقليد يضاهى خوف
الصبى من الحية تقليدا لابيه وذلك لا يستند الى بصيرة فلا جرم يضعف
ويزول على قرب حتى ان الصبى ربما يرى المعلم يقدم على اخذ الحية فينظر
اليه ويعزم به فتجرى على اخذها تقليدا كما احترز من اخذها تقليدا لابيه والتقليد
التقليد بصيغة فى الغالب الا اذا قويت بشاهدة اسبابها الموكدة لها
على الدوام بالمواظبة على مقتضاها فى كثير الطاعات واجتناب المعاصى
طويلة على الاستمرار فاذن من ارتقى الى ذروة المعرفة وعرف السبع خافه بالضرورة
فلا يحتاج الى علاج طلب الخوف كما ان من عرف السبع ورأى نفسه واقفا

وقوع الصبي الضعيف في غالب السباع والسبع قد يفعل ما لا تفاق فخلقه وقد يحجم عليه
فيعقره وذلك سبب لا تفاق وكذلك الا تفاق اسباب مرتبة بقدر معلوم
ولكن اذا اضيف الامر الموهوم الى الا تفاق قال ان اضيف الى علم الله لم يجز ان يكون
اتفاقا والواقع تخالف السباع لو كانت موقوفة لكان الخوف السبع لان السبع
ان تسلط عليه الجوع افترس وان سلط عليه الفضل جاع وترك فاما ان يخاف
السبع وخالق طباعه فلست اقول مثل الخوف من الله تعالى الخوف من السبع
فاذا كشف الغطاء علم ان الخوف من السبع هو من الخوف من الله لان
المهلك بواسطة السبع هو الله تعالى علم ان سباع الاخرة مثل سباع الدنيا
وان الله خلق اسباب العذاب واسباب الثواب وقطن لكل واحد اهلا
يسوقه القدر المستمر عن التفاوت الخزم الازلي الذي خلق فخلق الجنة وخلق
لها اهلا سخرها لاسباب شاؤوا الم تر ان الله سواء خلق النار وخلق لها اهلا سخرها
لاسباب شاؤوا الم تر انه اوقع طائرا يرى احد نفسه في قعر اعماق القدر والاغلب
الخوف بالصورة فهذه مخاوف العارفين لستر القدر وفي قدرة التصور عن
الارتفاع الى ارتفاع الاستبصار فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والآثار
فيطالع احوال الذين نفذوا قولهم ونسب عقوبتهم وتناصيهم الى مناصب الراجين
المغرورين فلا تمارى في ان الاقتداء بهم اولى لانهم الاولياء والكمل واما الآمنون فهم
الغافلة الجهال الاغبياء اما رسول الله صلى الله عليه وآله فهو سيد الاولين والآخرين
اشد الناس خوفا حتى روى انه كان يصلي على طفل فسمع من ورائه انه سمع قائلا يقول هنيئا لك
عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ما يدريك انه كذلك وانما رسول
الله وما ادري ما يصنع بي ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا لا بد ان يفهم والا تقص
منهم وروي انه قال ذلك ايضا على جنازة حتى بن مظعون وكان من السابقين

الاول

وقوله استغرغ لكم ايتها الثقلان وقوله افامنوا مكر الله الآية وقوله وكذلك اخذ ربك اذا اخذ
القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقوله يوم يحشر المحسنين المتقين الى الرحمن وفدا
الآيتين وقوله وان منكم الا واردها الآية وقوله تعالى اعملوا ما شئتم وقوله ليس كمثله
بريد حرش الحرة تزداد في حرتها الآية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآيتين
وقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل الآية وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان
لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فهذه
اربعة شروط للخلاص من الخسران وانما كان خوف الانبياء مع انه قاطع عليهم بالكرم
لانهم لم يامنوا مكر الله سبحانه ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روي ان النبي
صلى الله عليه وآله وصحبه سلم عليه السلام بكى فاوحى الله عز وجل الى جبرئيل
اليهم السلام وقد امنته كما قال اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وكانها اذ علما ان الله تعالى
هو علام الغيوب فانه لا وقوف لها على غاية الامور فلها ان تكون قد قدمت
اشياء لها واستحقا مكر الله اياها حتى ان تكون هو نها ظهر لنا قد انا من المكر وما وفي
نفسه ظاهرا كان ابرهيم عليه السلام كما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكانت هذه من
الدعاوير العظام فاستحق وصورض بجبرئيل عليه السلام في الهواء حتى قال له الك حاجة قال اما اليك فلا
فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله فاضافه الله تعالى اليه وقال وابرهيم الذي
وفى فالمراد بحسب قوله حسبي الله وسئل ابو الحسن عن موسى صلوات الله عليه حيث قال
انا نخاف ان نفرط علينا او ان يطغى فقال تعالى لا تخافا اني معكما اسمع واري
فوضع هذا على اليم السحرة سحرهم او حس موسى في نفسه خيفة اذ رأى من كرامة الناس
الامر عليه حتى جد دعليه الامن وقيل له لا تخف انك انت الاعلى وما ضعفت
شوكة المسلمين يوم بدر قال عليه السلام اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يعبد في الارض
احد فتعلق ابو بكر وقال ابشر فوعدك ما شككت ربك فانه وافيك بما
وعدك فكان مقام الصديق مقام الشفقة بعد ما مضى وكان مقام رسول الله صلى الله

عليه

ولا يكنهما من الالتفات وكيف يؤمن تغير الحال وتقلب المرء من اصبعين من اصابع
الرحمن وانما شدد تعليما للعباد ان يخافوا ما نهاهم عنه وقد قال مقلب القلوب اتى عذاب
ربهم غير مأمون واجهل الناس من امنه وهو ينادي به بالتحذير من الامن
ولولا ان الله لطف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت
قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء حتى من الله واسباب الفضل رجحت على
عوالم الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب
قال بعض العارفين لو كان في الدنيا من يعرفه حق معرفته بالتوحيد حقيق ان تزهق
نفسه اشتياقا الى الله كما ترى ما اطيب الموت على التوحيد وقال بعضهم لو كان
الشهادة على باب النار والموت على الاسلام عند باب الجنة لاخترت
الموت على الشهادة لاني لا ادري ما يعرض لي قبل ان ابلغ باب الجنة وباب الدار
وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احد امن على ايمانه ان يسلب عند الموت
الا سلبه وكان يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة
وكل حركة وهم الذين وصفهم الله بقوله اذا ذكروا وجلت قلوبهم وجلا استعظاما
جبل يبكي ويخرج فقيل يا ابا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله اعظم من ذنوبك
فقال على ذلك ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان اتى ربي
باشتال الجبال من الخطايا وحكي عن بعض الخائفين انه اوصى بعض اخوانه قال
اذا حضرتني الوفاة فاقعد عند راسي فان رايتني مت على التوحيد فدعني
واشكلها واشر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان اهل البلد وقال ابو عثمان
المنتقلت وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس ذلك حتى لا اغتر وا
بشهودي جنازتي ليحضر جنازتي من احب على البصيرة لعلمه بحسن الرياء بعد
الوفاة فعالى ربي اعلم ذلك فذكر له علامة فرأى علامة التوحيد عند موته
فاشترى السكر واللوز وفرقه وكان سهل يقول لمريد يخاف ان يبتلى بالمعاصي

والعارف

والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكان ابو يزيد يقول اذا وقعت في السحر فكان
في وسطي نار اخاف ان يذهب بي الى الهاوية ويبقى النار حتى اصل الى الشقاوة
على النار فمذ قال كل يوم خمس مرات ويروى عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين
اخبركم بخواص الناس وكل عاقل الا يغتر بالكثير ويروى اخبار الانبياء
ان نبيا سئل الله تعالى الجوع والتعرى سنين وكان لباسه الصوف
فاوحى الله عز وجل اليه عبدي اذا رضيت ان عصمت فلبسك ان مكنتك حتى اني
الدنيا فاخذ التراب فوضعه على راسه وقال يا قدرة رب ما اعصمني
الكفر فاذا كان خوف العارفين مع رسوخ اقدامهم وقوة ايمانهم من سوء
الخاتمة فكيف الاجانب الضعفاء وسوء الخاتمة اسباب تقدم على الموت مثل
البدعة والنفاق والكبر وخامس الصفات المذمومة ولذلك اشتد خوف الصحابة
حتى قال الحسن ما امن النفاق الا منافق ولا يأمن من النفاق كان احب الى الناس ما طلعت عليه
الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضد اصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل
الايمان فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وآله
اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت
فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا
وعد اخلف واذا اؤتمن خان واذا خاصم فجر وفي لفظ آخر واذا عاهد غدر
وقد شرح الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا تخلو عن شيء من الاصدرج
اذ قيل الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان
والقلب والمدخل والمخرج وكل الذي يخلو عنه فرد من المعاصي بل صارت هذه
الامور الموفرة بين الناس متادة ولسنى كونها منكرا بالكلية بل جرى
ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن زمانا حتى قال حذيفة
ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فيصير

منافقا اني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وكان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وآله يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها
على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله من الكبائر وقال بعضهم علامة النفاق ان
يكره من الناس ما يأتي مثله وان تحب على شيء من الجور وان تبغض على شيء
من الحق وقيل لبعض النفاق انه اذا هم بشيء ليس فيه حجر ذلك وقال الحسن
لابن عمر انا نجد على بعض الامراء فنقتلهم فقال لو كنا نقتل على هوى انفسنا
لكنا نحن فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ربطا بالحجاج وسمع فيه فقال لو كان الحجاج حاضرا لكنت سكتا
تكلمت به قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله
واشد من ذلك ما روي انا كنا نعد قعودنا عن امامنا جذيمة منتظرين كانوا
يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج اعلمهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا انما
كنتم تتكلمون فسكتتم اذا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وآله وهذا احد منه كان قد خفي بعد المنافقين واسباب النفاق و
كان يقول انه ما ان على القلب ساعة تخلي بالاعمال حتى لا يكون للنفاق فيه
مسرة زبرة وما في عليه ساعة قط الا النفاق حتى لا يكون للايمان فيه مسرة
فقد عرفت بهذا ان خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببها امور عديدة
منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق وشتى كلها للعبد عن شيء من جملة
ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من امن النفاق فهو
منافق وقال بعضهم لبعض العارفين اني اخاف على نفسي النفاق فقال
لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا زال العارفين بين الالتفات الى
السابقة والخاتمة خائفين منها ولذلك قال صلى الله عليه وآله العبد المؤمن بين
مخافتين من اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ومن اجل قد بقي لا يدري

والعارف

ما الله قاض فيه فما الذي ينجيه بعد الموت مستعتب والا بعد الدنيا من دار
الا الجنة او النار فان قلت ان
اكثر هموم الاخرة ترجع الى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم ان سوء الخاتمة
على رتبتين احدهما الاظلم من الاخرى فاما الرتبة العظيمة فهي ان تغلب على القلب
عند سكرات الموت وظهور ما هو الاشك فيه فالحجر ما يقبض الروح
حال غلبة الحجر او الشك فكون ذلك على القلب من عقدة الحجر وحجابا منه
وبين الله ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب الخالد والثانية وهي دونها
ان تغلب على قلبه عند الموت صحبة آثر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها
فيتمثل ذلك له فلا يستقر وحي الناس في ذلك الحال فيتسع لغيره فيتفق قبض
روحه على ذلك الحال فكون استغراق قلبه به منكسا راسه الى الدنيا صافا
وجهه اليها وربما انصرف الوجه على الله تعالى حصل الحجاب
ترك العذاب اذ نار الله الموقدة لا تأخذ الا المحجوبين فاما المؤمن السليم قلبه
حب الدنيا للصروف عنه الى الله تعالى فقول له النار جزيا مؤمن فان نورك
يطفئ لهبي فهذا انفى قبض الروح في حالة عليه حب الدنيا فالامر
مخطر لان الموعوت على ما عاش عليه ولا يمكن الكتاب صفحة اخرى للقلب
لعلة استقصاء الصفحة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا الاعمال
الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا
مطمع في رجوع الى الدنيا ليتدارك به وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان اصل
الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة فهو كالمد
بالاعمال الصالحة فانه يجوز ان القلب في الحالة التي وصفت لنا عند الموت فان
كان ايمانه في قوة ان حد مثقالي حبة من الخردل في زمان اقرب فان كان
اقل من ذلك طال مكثه في النار ولو كمن الاشقياء حتى قيل يجوز ان يخرج

من النار ولو بعد آلاف سنين فان قلت فاذكر ما يقتضي ان يسرع النار اليه
عقيب موته فاعلم ان من انكر
عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الايمان ونور القرآن على الصحيح عند
ذوي الابصار لما صحت به الاخبار وعاين القبر الحاضرة من حضر الدفن
او روضة من رياض الجنة وانه قد ينسخ الى قبر المعذب سبعون بابا من جهنم
كما ورد به الاخبار فلا فارق روضة الا وقد نزل به البلاء ان كان قد قدر له
لشر الخاتمة وانما تختلف اصناف العذاب باختلاف الاوقات فمنكر
منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده ثم المناقشة في الحساب والاقتضاء
على طلاء الاشهاد في القيمة ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية الى
احر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي متردد في جميع احوال هذين الصنفين
العذاب وهو في جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته ولا يظن
ان محل الايمان ياكل التراب بل التراب ياكل جميع الجوارح ويؤدي الى
ان يبلغ اكتساب اجله فيجتمع الاجزاء المتفرقة ويعاد اليها الروح التي هي
محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة اما في جواصل طير
معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما على حالة تقتضيها هذه الحالة
ان كانت والعياذ بالله شقية فان قلت فما السبب الذي يفضي الى
سوء الخاتمة فاعلم ان اسباب هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل
ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الخاتمة على الشك والجحود فتحصر سببه
في شيئين احدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الاعمال
كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت اعماله صالحة و
لست اعني مذهبا او قولا انه بدعة فان بيان ذلك يطول في القول فيه
بل اعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وافعاله خلاف

العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر والتشوف الى الكلام استقلالا وانما صغوا
الى اصناف المتكلمين في تقليد آرائهم المختلفة ولذلك قال صلى الله عليه وآله
اكثر اهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في
الكلام والتفتيش عن هذه الامور وامروا بالتسليم والايمان وقنعوا
بما انزل الله جملة وتفصيلا من غير اعتماد على التشبيه والتصوير
الخوض في الله وبل ان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقبات الوقوف
وسكك وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وبداية الهدى واليقين
عن التلوث باجلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الى الخوض في صفة
عقولهم مضطربة ومتعارض في التلوث التي الهمها سبب النشوة الغرة وتعلقه
والتعصبات الثابتة بين الخلق مساير مولدة للعقائد الموروثة الى الكافرة
بحسن الظن بالمعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها
مقبلة وشهوات الدنيا بحبتها كالحدة وهي تهلك صارفة فاذا فتح باب الكلام
زاد في صفاته بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واستعدادهم
طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي المكان الاحاطة بكنه الحق انطلقت
السنتهم باتباع لكل واحد منهم وعلق ذلك بقلوب الصغيين اليهم وتاكد ذلك
بطول الالف منهم والتقدم عليه طريق الخلاص عليه فكانت الآفة اخطر
في زمان يشغله اما الاعمال الصالحة والقيام بما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن
الآن قد استرخى العنان وفشى الهذيان وترك كل جاهد على قوانين وحساب
وهو معتقد ان ذلك علم واستيقن وانه صفو الايمان وظن ان ما قنع به
حدس وتخمين علم اليقين وعين البقين وتعلم من نساء محصنين وصغى ان
ينشد في سؤاله عند كشف الغطاء احسبت ملكك الايام اذ حسنت
ولم تخف سوء ما يأتي به القدر وساءتك الليالي فاغرورقت بها وهند صقول

يحدث الكدر واعلم تبيانا ان كل من فارق الايمان السابق باعده وسلكه
وخاض في البحث فقد تعرض لهذه الاخطار وشاهد من انكسرت سفينته و
هو ملتطم الامواج برميه موج الى موج زمانا ينتهي ان يلقيه الى الساحل و
ذلك بعيد والهلاك اغلب عليه وكل نازل على عقيدة تلقنها من غير تفتش
بضاعة عقولهم امامع الآذان التي حررت في قصاعهم او دون الآذان
كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وان كان هو انما تلقاه من غير امامه مقتر
لعقد الناقص وكل خائض في البحث ظاهر عن ما بين الحالتين الا اذا
جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة الذي تشرق في عالم الولاية والنبوة
وذلك لم يكن الا حرفا اتى تبيانه بل فظ صفوا في هذا الفصول نهذا
والذين شغلهم خوف النار وطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول نهذا
احد الاسباب المخطرة في سوء الخاتمة واما السبب الثاني فهو ضعف الايمان
في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب وهو ضعف الايمان ضعف
حب الله وقوي حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله
الا من حيث يحدث فيه نظر الاثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق
الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويسود
بسود وتراكم ظلم الذنوب على القلب ولا يزال يطفى ما فيه من نور الايمان
على ضعفه حتى يصير طبعا وربما فاجأه الموت بغتة فاذا حانت سكرات الموت ازداد ذلك
الحب اشتعالا ويصير ضعف الايمان نارا مشتعلة ترافق الدنيا وهي المحبوب
الغالب على القلب فتستأنف القلب باشتعال نار فراق الدنيا وترى ذلك من الله
فتخلع صبره بانكاره ما قدره الله من الموت وكراهته ذلك من حيث انه من الله
فيخشى ان يشور في باطنه بغض به بل بحب كما ان الذي يحب ولده حبا
ضعيفا اذا اخذ ولده اموالا التي هي احب اليه من ولده ما حرقها

استلذ ذلك الحب الضعيف بعضا فان اتفق زهوق روض ذلك الحظ الذي
خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا والسبب
فيه مثل هذه الخاتمة هو غلبة محبة الدنيا والركون اليها والتنعم بها
مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله الذي وجد في قلبه حتى انه
اغلب من حب الدنيا وان كان حب الدنيا ايضا لهوا لعبد عن هذا الخطر
وحب الدنيا رأس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد مر اصناف الخلق في
ذلك كله لقلة الموفق بانه تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر فان كان
آباؤكم وابناؤكم واخواتكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
فتربصوا حتى يأتي الله بامره فاذن من فارقته روض هذه الخطرة الانهار
على الله تعالى بالظهور بفضل الله كما تقلب من تمرته بينه وبين اهله
والروياء بحاله فيكون موته قد وقاه على ما انفقه وفر اقاما احب فقدم
على الله تعالى قدوم العبد المبغض الآبق اذا قدم به على مولاه فهو اما
تحت السخطة من الاخرى والنكال واما الذي يلقى في على الحب فانه
تقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه الذي يحل شاق
الاعمال ووعثاء الاسفار طمعا في لقائه فلا تخفى ما يلقاه من الفرح و
السرور بحق القدوم فضلا عما يختص من لطائف الاكرام والرضا
الانعام واما الخاتمة الثانية التي هي دون الاولى وليست بمضيعة للخلود
في النار فلها ايضا سببان احدهما كثرة المعاصي وان قوي الايمان و
الاخر ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك لان مقارفة المعاصي مع
غلبة الشهوات ورسوخها في القلب كثيرة الالف والعادة وجميع ما
الف الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر

الى الطاعات كان اكثر ما يحضره طاعة الله وان كان ميله الاكثر الى المعاصي عبر عما قليله
عند الموت فربما ينبعث روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا وبصحبته من المعاصي
فيقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى فالذي لا تنوقف الذنب الا الغيبة
بعد الغيبة فهو البعد عن هذا الخطر والذي لم تتارف قبا اصلا فهو بعيد جدا
عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت اكثر من طاعاته وقد تاب الى
منه بالطاعة فهذا الخطر عظيم جدا ويخوف هذا اشتمال هذه الخاتمة لانه يغلب
ان الانسان يرتكب في اثناء عمره جملة من الاحوال التي يعتد طول عمره حتى انه لا
يرى الا ما يأتي شاذة في اليقظة وحتى ان الماضي الذي يجتمع الا يرى صورة
التقاعد اذا كان قد وقع في اليقظة ولو مرة كذلك مرة الا يرى عند الاضطرار صورة
التقاعد لا محالة ان الذي مضى عمره في الاشتغال من سنخ الاحوال المتعلقة بالكل
والعلل الكثيرة كالتجارة الذي مضى عمره في التجارة والتجار يرى من الاحوال
المتعلقة بالتجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يطرق على
النوم احوال مناسبة مع القلب تطول الالف لها بسبب آخر من الاسباب
والحالات شبيه النوم وكلما فوقه ولكن سنخ الموت هو استقدام من الغشي فوق
من النوم فيقتضي ذلك تذكر المألوفات وعود ها الى القلب واحد الاسباب
الرجحة لحصول التذكر في القلب طول الالف وطول الالف بالمعاصي والطاعات
ايضا من هو كذلك يخالف ايضا شامات الصالحين شامات الفساق فيكون
غلبة الالف سببا لان تمثل صورة فاحشة في قلبه وقبيل الهيئة نفسها فيما
يقتضي عليها روحه فيكون ذلك سوء خاتمة وان كان اصل الايمان باقيا بحيث
يرجى له الخلاص منها وكما ان ما يخطر في اليقظة انما يخطر بسبب خاص بعلم الله
تعالى وكذلك احاد المنامات لها اسباب عند الله تعرف بعضها والعوارف بعضها
كما انا نعلم ان الخاطر منتقل من الشيء الى مناسبه اما بان يسبق الى الخاطر
بان يكون قد ورد على الحس معه اما المشابهة فان نظر الى جميل فتذكر جميلا
آخر واما بالمضادة فان نظر الى جميل فيتذكر قبيحا وما على هذا المثال والتعاون
بينهما واما بالمقارنة فان نظر الى فرس تذكر آدمي قبل مع الانسان وهو ذكر
ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء ولا يدري وجه مناسبته لم
وانما يكون ذلك بواسطة او واسطتين ينتقل من منتقل من شيء الى آخر ومنه
الى ثالث ثم نسي الاول والمكون بين الثالث والاول مناسبة ولكن يكون
بينه وبين الاول مناسبة وبين الثاني والاقرب مناسبة وكذلك الانتقالات
الخ الطرق الى ام اسباب من هذا الجنس وكذا عند سكرات الموت ومن
اراد ان يكف خاطره عن الاشتغال بالمعاصي والشهوات فلا طريق الا
المجاهدة طول العمر فطالما نسيه عنها وقمع الشهوات من القلب فهذا
هو القدر الذي يحل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخليته
الفكر على الشرعة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يرجى لمن يعاشر
عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك نقل عن بعثال انه كان يلقن عند الموت
كلمتي الشهادة فهو يقول خمسة ستة اربعة وكان يقول النفس بالحساب
الذي طال الفته اثقل الموت قال بعض العارفين من السلف ان الموت
جوهره يتلألأ نورا فلا يكون العبد على حال الا تطبع مثالة من الموت على
الصورة التي كان عليها فاذا كان كل سكرات الموت كشفت اصوره
من الموت فرأى كل نفسه على صورة معصيته وكذلك يكشف يوم القيامة
فيرى احوال نفسه فيأخذه منها الحياء والخوف فيجل عن الوصف وقد ذكر
صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب مما ذكرنا في ذلك فان النائم اذا ذكر
ان المستقل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من اجزاء النبوة فاذن
رجع سوء الخاتمة لاحوال القلب واضلاع الخواطر وتقلب القلوب هو الله

والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر فهذه خاطرة تحت الاختيار دخولا كليا
وان كان للطول الالف فيه تاثير فلذا اعظم خوف العارفين من سوء الخاتمة
لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين واحوال الطا
والصالحات عات
عليه ذلك وان كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه جاور فيه
ولكن اضر طرابات الخيال الادخل الحيلة تحت الضبط وان كان الغالب
مطابقة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ ابا طاهر الزيادي
يصف شيخه وجوب حسن ابا علي الرودباري شيخه وان لا يكون في قلبه انكار لكل
ما تجوزوا فيه في لسانه مجاراة لعلي حتى قال الشيخي ان التبسم الكركان منهما
الي وقلت راتك كنت قلت لي كذا فقلت لم اذكر ذلك قال فتبسم
ولم يكلمني وقال لولا انه كان في ظنك تجويز الاطلاع عليه وانكاره اقوله
ذلك ظاهرا في ذلك على لسانك في المنام وهو كما قال وقد قال بزرجمهر ان
في منامه خلاف ما يعتقد في اليقظة على فلسفة هذا هو القدر الذي يسعه فكره
في علم المعاملة من اسرار امر الخاتمة وما وراءه ذلك فهو داخل في علم المكاشفة
وقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان يرى الاشياء كما هي عليه غرور
وترجيح جميع العمر في طاعة الله من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال
لا سبيل فلا بد وان تعلم عليك من الخوف ما غلب على العارفين من طول
تسعة بكاؤهم وبناحتهم ويدوم بهجرتهم وقلتك كما استخلص من
احوال الانبياء والاولياء والسلف الصالحين لكون ذلك احد الاسباب
المهيجة لنار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا ان اعمال الجوارح كلها
ان لم تسلم في النفس الاخير الذي عليه يرجو الروح وان سلامة مع تطرق
امراض الخواطر مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول ان لا
اعجب ممن هلك كيف هلك وكم اعجب ممن نجى كيف نجى ولذلك قال

حاده الفقاء اذا بعثت الملائكة بمدح الدين وقدمات على الخير والاسلام تحيت الملائكة
وقالوا كيف نجى دنيا خسيسة فيها خيار ما وكان القوس فيها كل ليل لعلام تمكن
فقال كما على الدوت رضا فالان تبكي على الاسلام وما الجلة من وقت سفينة
لجة البحر وصحت عليه الرياح العاصفة واضطربت الامواج كانت الحاقل حتى
العدد من الهلاك وقلب الموج اشد اضطرابا من الكشيدة وامواج الخواطر
اعظم اضطرابا من امواج البحر وانا الخوف عند الموت خاطر سوء نظر فيه وما الذي
قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة ستين سنة لو سبع
بينه وبين الجنة الا الافواق ناقة فتجيء فتسبق به الكتاب والمتبع فواق ناقة
للعالي ذهب الشقاوة بل من الخواطر التي تقطع بنظر خطور البرق
الخاطف وقال سهل رايت كاني دخلت الجنة فرايت ثمانية نهري فسالته
ما الخوف فاكثر ما يكون في الدنيا قال سوء الخاتمة والعمل هذا الخطر العظيم كان
الشقاوة مغلوبا عليها وكان موت الجاهة بكرة واما الموت فجاة فالامر فيها اشق
عند عليه خاطر سوء واستيلاء على القلب والقلب لا يخلو عن اشغالها الى ان
يرفع بالكراهة وفتور الموفيوا الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في
حال الزهق في القتال سوى حب الله وحب الدنيا والاهل والمال والولد
وقطع الشهوات عن القلب اذ لا يبقى على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا
من حب الله وطالبا لرضائه وبائعا دنياه بآخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه
الله اذ قال تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة والبائع راغب عن المبيع للحبة ومخرج حبيس القلب ومحرر رقبة العبد
المطلوب في خلده مثل هذه الحالة قد تحصل في بعض الاحوال ولكن لا تثبت
زهوق الروح فيها نصف الثواب بسبب زهوق الروح على مثل هذه الحالة
هذا فيمن ليس تقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة فاني من هذه الحالة

وان

تشغلك عن الله تعالى اي واد اهلكك فاقبل هذه النصيحة من مهرجوك في
النصيحة منك واعلم ان مسلك الدبر والزهد والاحتياط هذا اليوم التصبر فاذا
دفعته يوما بهوى من نفسك او غلبتك اخطفته بجاة في غير وقته ارادتك
والتماركك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما اشرت اليه
لضعف جوهرك اذ لكن فيما وصفناه من امر الخاتمة كفاية في تخويفك فانه يرد
عليك من احوال الخائفين ما نرجو ان ينزل بعض القشاوة عن قلبك فتحمي
لك عقل الابنا والعلما والاولياء وعلماء الله تعالى دون عقلك مع علمك
وبكائك فتامل مع كل العيش عليك وعيش على تلك احوالهم اشتد الخوف
وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يبكي حتى يغشى عليه وبعضهم يمرض ويضطر
منقطعا عن بعضهم يخرج منها الى الارض والاعزوان كان ذلك لا يوثر
في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة
لما يتحجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية
الله وما الله بغافل عما تعملون يا احمد ابن ابي الحواري عليه السلام
روت عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان اذا تغير الهواء وسمع صوتا
يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله
وقرا صلى الله عليه وآله اية في سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة
صعقا ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله صورة جبرئيل الا بط فصعق وروي
انه عليه السلام كان اذا دخل وقت الصلوة يسلم لصدره ازيز كازيز المرجل
وقال صلى الله عليه وآله اتاني جبرئيل قبل الاذان موسرعد فرأس اصابعه
وقبل لما ظهر على الجبل ظهر طفق جبرئيل ويكائيل عليهما السلام
فاوحى الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان كلمة الشهادة فقالا يا رب انما نامن بمكر حال
الله تعالى [illegible] وهكذا كونوا لا تامنوا مكري وفي حديث عن الكندي قال لما

خلقت النار طارت فزعة الملائكة من اماكنها فلما خلق نواديم عادت الى موضعها فعلى هذا الى آخر سال جبرئيل عليه السلام ميكائيل هل ضحك قط قال جبرئيل عليه السلام ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وقال ان الله تعالى لم يضحك احدهم منذ خلقت النار فخافت ان يضحك الله عليهم فيعذبهم وقال ما من عزم حجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخل بين حيطان الانصار فحل سقط من التمر وأكل قال فقال ابن عمر مالك وأنا كل قلت يا رسول الله الا شهيه فقال لكني اشتهيه وها جميع ما اصبت هذا الذي طعما ولم اجد طعم الجوع الى لاعطاني ملك سوى ربي لاعطيته مكيك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخونون ورزق سنتهم ويضعف اليقين في قلوبهم فمن توانه ابرحنا والا قاسى قلت و كائن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان اعلم يا عمر اكثر المال والاتباع المتوكلون من كثرة ما نذخر به هاجيرة فانية قال احبوه بعيد امله الا واني الا اكثر دينارا ولا درهما الا اعتاز قال فعد وقال لو اردت ان يسمع الزبرجد ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه اذا تكلم في الصلوة من مسيرة خوفا من ربه وقال مجاهد بكى داود عليه السلام اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه حتى عطاس فنودي يا داود اجائع انت فتطعم ام ظمآن فتستسقى اعار فتكسى فعجت نحبه فجاج الغوث من حر جوفه فاوحى الله عليه التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي التي اصبت خطيئة في كفة فكوة فكان لا يشبع كفة الطعام ولا الشراب واللغوة الا اباحة فكفته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا فاه والاصبع خطيئته فاضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه ويروى عنه عليه السلام انه ما رفع راسه الى السماء منذ خلق الله تعالى

والارض فاذا كان قبل ذلك بيوم اخرج الى البرية منبر فامر سليمان فنادى بصوت تستولي البلاد وامر لها من الغياض والاكام والجبال والبراري والصوامع والبيع فنادى الامن اراد ان يسمع نوح داود عليه السلام فليات قال فاتى الوحوش من البراري والاكام واتى السباع من الغياض واتى الهوام من الجبال واتى الطير من الاوكار واتى الغدران من خدورهن و يجتمع الناس لذلك اليوم واتى داود حتى يرقى على المنبر ويحيط به سور الشرف وكل صنف على حدته يحطون به وسليمان عليه السلام قائم على راسه فيأخذ في الثناء على ربه فتنحنى الوحوش بالبكاء والصراخ ثم تأخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام و طائفة من الوحوش والسباع والناس ثم تأخذ في اهوال القيامة وفي الزيادة على نفسه فتموت من كل نوع طائفة فاذا رأى سليمان كثرة الموتى قال الثناء قد فرغت استمعوا من كل شرق وغات طوائف من بني آدم اسل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فيها ويوكل اذا ناداه بعض عباده في اسلاف داود عليه السلام بطلت الحجة على ربك قال المخبر منشيا عليه فاذا نظر سليمان الى اصحابه اتى سرير فحمله عليه ثم امر منادي الامن كان ابوه داود جيء به فقرب فليات بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت آية تاتي بالسرير وتحمل قريبا وتنزل ممن قتله ذكر النار يأمن قتله خوف الله ثم اذا اتاه داود قام ووضع يده على راسه ودخل بيت عبادته واغلق بابه وتنزل الملائكة داود اغضب ان انت على داود ولا يزال تاتي فيأتي سليمان فيقف على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرن حتى شعيرة تنزل يا اتاه فتقول هذا على ما تريد فيأكل من ذلك القرن ما شاء الله ثم يخرج الى بني اسرائيل فيكلمهم بعلمهم وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويكونهم فخرج في اربعين الف امرأة منهم ثمانون الف ارملة

وبا عدان حمير الدنيا وبحق اقول لكم ان اكل الشمير والسمن على الابل مذهب الكلاب
ان طالب الفردوس فليأكل كما كان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته التي
عليه وليبالغ اضطرابا عليه سيلان بل فيأتيه جبرئيل فيقول له الجبار يقرئك
السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول يا سيد ربنا انه اذا ذكرت
خطيئتي انسيت خلتي اتخذه اسوة الا ابنا عليك السلام فذوقك اتاهل منها
فانهم اعرف على اسقامها وبصفاتهم سيلات احوال الصحابة
والتابعين والسلف الصالحين في شكل الجبة قال علي عليه السلام
وقد سلم من صلوة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رأيت اصحاب
محمد صلى الله عليه وآله فما ارى اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا
غبرا بين اعينهم اشكال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون
بين جباههم وأقدامهم فاذا اصبحوا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم
الريح وهملت اعينهم الدموع حتى تبل ثيابهم والله كاني بالقوم باتوا غافلين
ثم قام فما رئي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن الحصين لو
وددت اني رأيته استفتي الرياح في يوم عاصف وكان علي بن الحسين يأذا
قرضا اصفر لونه فيقول لاهله ما الذي تعتادكم عند الوضوء فيقولون ما نزال
بين يدي من اريد ان اقوم وقال موسى بن مسعود كنا اذا جلسنا الى الثوري
كان الرقد احاطت بنا ما ترى من خوفه وضعفه وقرع الفارس يا ايها
كتب انا نظن عليكم الحق الآية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه ثم افاق
وقال عز بك لا عصيتك حدثني ابا دانا عتبة شوقك على ما تصنع قال ابن
السوري عزه الله تعالى ان يسمع القرآن من شدة خوفه وقد كان اقرأ جنده
لكوف الآية فيصيح الصيحة فما يتمثل انها حتى ان الطبيب رجل من عشيرته
عليه يوم عشر المتدين الى الرحبة وفد ولسوق الجزيرة الى جنبه ورد وا

نظر السخط وانا اقبل على ذلك وكانت امه حين كلمته قالت انها ما بقي في
امرك صغار الا وقد كبر الا وانا كنت احدثت حدثا منه بقيا الا ركل فصيل
لبكة ونا ناك فقال الا ماه ما ينبغي ان يكون امه عروس قد اطلع على وانا ط
بعض نوبه فتستحي وقال ويحك لا عتزلك وقال ابن فضيل اذا
اغبط بنهار سلاوا لكنا مرة بالا عداء صالحا ليس هو آيسا يسول يوم
القوة انا اغبط من اتخلق وزوى ان فتى من الانصار وخلته شعثة اذا
فكان يكي حتى جعلته اكمة البيت فاتى النبي صلى الله عليه وآله فدخل عليه و
اعتقته عشر مرات فقال صلى الله عليه وآله ما حملك واصاحبك قال الفرق
من النار فعتقه كلهم وروى عن ابن ابي ليلى انه كان اذا اوى الى
فراشه قال الهي امرت فعصيت ونهيت فاقترفت فلا مدفع لي الا عفوك
اليك هذا اسلامي قال ابو جعفر وكنت اسمعه يقول انا انا وارد والنار
ولم يبق انا انا صادر ولا منها وقيل اشرف السجن لصرخنا ما شئت شئت لبكة
عن بني اسرائيل قال الهي انه دخل بيت المقدس فسمعه نادى انا اهل
الصوف والمسوح فقد كرك لواء الله وقد نادى جبريل في يوم واحد
وكان عطاء السليمي جزاه الله خيرا وكان يسأل الحسن فقال يا ابا سعيد انا كان يقبل
الصوف وقيل لابي ذر ما اشهرك فقال ان خروجي من اهلي اشهرني
شوقا للشهوة وقال انه ارفع راسه الى السماء فاضحك الله تعالى منه
وانه رفع راسه نوبة فسقط فانفتق بطنه فمات وكان يبس جسده في
الصيف لئلا مخافة ان يكون قد نسخ وكان اذا اصابهم ريح او برق او
غلاء طعام قال هذا من اجل ذنوبهم لو مات عطاء استراح الناس منه
وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وقيل كهول وشبان فصلوا صلوة
الخوف وطهور الله قد تورمت اقدامهم من طول القيام وغارت اعينهم في

وحكم ليس في الزمان حديث انما هو زمان بكاء وتضرع واستكانة وهو ما حكاه الله
انما هو زمان الحفظ للساكت واخف ملائكة وعلى ذلك فخذ ما تعرف ودع
ما تنكر وزراي الفضيل بن عياض قيل له الى اين فقال للنار ورأى رجلا يضحك
والناس يخوفون وقال ورين عبد الله عن ورد ما بال المتكلمين يتكلمون
فلا يبكي احد فاذا تكلمت سمعت البكائين كل حاجة فقال لانهم غلبت عليهم
النكت كالفاتحة المستأجرة وحكي ان قوما وعظوا عابدا وهو يبكي فقالوا له الذي
يبكيك يضحك الله تعالى روعة بني اسرائيل في محاربهم قالوا واما قال روعة
النداء المرض على الله عز وجل وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك من بغداد
اردت ان اتبع من بعض عجائب عباد كم فذهبت به الى رجل فوعظه فلم يتحرك
فقمت فاستأذنا عليه فاذا رجل معه حرضة فرات فاذا الاغلال في اعناقهم
والسلاسل في ايديهم وهم يجرون الى النار يسحبون فشهق الرجل شهقة وخر
مغشيا عليه فحبس عنده وتركناه على حاله وقد بقينا الى الظهر فلما
فرات هذه الآية شهق شهقة وخر مغشيا عليه فاستأذنا عليه ثانية وثالثة فلم
ادخلوا ان لم تشغلوا عن ربنا فرات ذلك الناس خاف مقامي وخاف وعيد
فشهق شهقة فخذ الدم من محاجره وحمل تشخط في دمه حتى مات فتركناه
على حاله وخرجنا فاذا درنا على استه النفس كل مخرج من عنده وتركوه مشمئزا عليه
ثم ايت السابع فاستأذنا فاذا المرأة من وراء الحائط تقول ادخلوا فدخلنا
فاذا شيخ قائم في محرابه مصليا فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فحركته
فصرخ وقال ان للخلق بعدا متى ما قال الشيخ بن بدين من ونحك ما تريد منا
فاتحنا فاه شمطاء البصر فصيح الصوت ضعيفة جدا فقلت له ويحك ما
الصوت فقالت امرأة الحرص والامل فقلت له بالله ما تتفضل به الساعة فلما كان
بعد ذلك سألت عن الشيخ فاذا هو قد مات فخرجوا به فدفنوه

الى التوبة سرا يرتكبونها والى يجعل يحركه اللسان لسؤال التوبة غاية حظنا
فكيف من يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا
جاء وقت العمل بالسمنا عصينا فلا عالما للحذلان اعظم من هذا فسأل الله
تعالى ان يمن علينا بالتوفيق والارشاد علينا بمنه وفضله والمقتص من حكاية
احوال الخائفين معلوم اوردنا فان القليل منه يغني الكامل والقليل يكتفي
بالكثير منه والله اسأل فيض الكف الغافل فلا يغني ولقد صدق
الرجل الذي حكي عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار العباد
انه راه على باب القدس واقفا كئيبة النحول من شدة الوله والبكاء
يرتل وعظه من كثرة البكاء فقال عيسى فلما رايته مالي نظرة فقلت اتيا
الراهب اوصني بوصية احفظها عنك فقال ما اخي ما ذا اوصيك ان
استطعت ان يكون بمنزلة الميت قد احتوشته السباع والهوام فهو ينتظر
حذر نحاف ان يفتك فمنهم السبع او يسهو فينهشه الهوام فهو مذ اعور
القلب وصل الهوى المجافي للسكينة وان من المقربون وفي الجزء
الى نهاره وان فرط الطائرون ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيئا اعمل
ان سنني فقال الفطان بكريه من الماء اليه فقد صدق قال القلب
الصافي بحر ارادني مخافة وانقلب الجاهد منهوكة بكل المواعظ وما ذكر
من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فالاصغر ان نظن ان تقدير
بل هو حقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا بالصفات
السباع وانواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب
والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان سهوت عن حفظ
الآلة تحجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في
قبرك عاينتها وقد تمثل لك بصورها واشكالها الموافقة لعاداتها فترى نفسك

العقارب والحيات قد احدقت بك في فرشك وانا هي صفاتك الحاضرة
لك الآن قد انكشفت لك صورتها فان اردت ان تتقيها وتتحرز منها وانت
قادر عليها قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها
لصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك وحينئذ والسلام

هذا آخر كتاب الخوف والرجاء ويليه كتاب الفقر والزهد
والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله

من ربع المنجيات من
احياء الغزالي
الاحياء

كتاب الفقر والزهد
وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات من المجلد الرابع من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يسبح له الرمال ويسجد له الظلال ويشهد له كل شيء على الآن
من الطين اللازب والصلصال الى حين صورته باحسن تصوير واتم اعتدال وقسمه
بحور الدراية عن ورطات الضلال واذاق زرع ما اكثره بالعذب والاصال ثم
كحل بصيرة الخصوص في خدمة نور العبرة حتى لاحظ قصبات نضرت الجلال فلاح له الرشد
والهدى والكمال فاستهدى دون مبادي اشراقه كل حسن وجمال فاستغنى الصديقون بمشاهدة
ولازمته غاية الاستغناء وتمثل له ظاهر الدنيا في صورة امرأة قد تزينت وتختالت و
اكشفت له باطنها عن عجوز شوهاء تحت من طلعته المخزي وضربت في حالك السكاك و
وهي تتلفع تجلبابها بقناع اسرارها وتتعطف بلطائف السحر والاحتيال ثم
قد نصبت حبائلها في مدارج الرجال لمن تتصيدهم بضروب المكر والاغتيال ثم لا تخرج

وجوده فان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا من غيره فهو الغني المطلق
والاكثر ان يكون مثل هذا الموجود الا واحدا فليس في الوجود الا غني واحد وكل من
عداه فانهم محتاجون اليه ليبدو وجوده بالدوام وان هذه الاحكام الاشارة بقولنا
والله الغني وانتم الفقراء اذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر
من المال على الخصوص والاقعد العبد الاضافة الى اضاف حاجاته الاخيرة الان
حاجاته الاخيرة هو من جملة حاجاته ما تتوصل اليها بالمال وهو الذي نريد الان
بيانه فقط فنقول كل من قدر المال فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا
كان ذلك المفقود محتاجا اليه حتى تصور ان يكون احد احوال عدم النقود ثمن
نيرا او تخصص كل حالة باسم لتتوصل بالتسمية الى الحكم للحالة الاولى وهي الحالة التي يكون
بحيث لو اتاه المال كما يسره وتنادى به وتدرب من اخذه بعضا او مخترزا لشيء
وشغله وهو الزاهد وهو اسم صاحب الزاهد الثانية ان يكون بحيث لا يرغب فيه ولا يرغب
بحصوله ولا يكرهه كراهة تنادي بها وينزهه فيه ولو اتاه رضي به وصاحب هذه الحالة
يسمى راضيا الثالثة ان يكون وجود المال اليه عند عدمه اغبط فيه ولكن لا يسلم
من غبطة ان بعض الطلبة بل تمنا عصوا اخذه وفرح به وان افتقر الى صرفه الى
الشغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب
مع ما فيه من الغبن الضعيف الرابعة ان يكون تركه للطلب لعجزه والامور اغبن في حقه
لو وجد سبيلا الى الطلب ولو بالتعب لطلب او هو مشغول الطلب وصاحب هذه الحالة
نسميه الحريص الخامسة ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري
الفاقد للثوب ونسمي صاحب هذه الحالة المضطر كيف ما كانت وعند ذلك الطلب الضعيف

فهو محتاج الى دوام هذا العشق والتلذذ بمشاهدته بين الزق والحريرة في اوقات متعاقبة لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغنى مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا واعلم ان الزهد في درجة كمال الابرار وصاحبه في الحالة من المقربين فلا حرم صار الزهد في حقه نقصانا اذ صفات الابرار سيئات المقربين وهذا لان الكافر في الدنيا مشغول بالدنيا كما ان الراغب فيها مشغول بها والشغل بالمسمى لانه حجاب عن الله تعالى اذ العبد بينك وبين الله حتى يكون العبد حجابا فانه اقرب اليك من حبل الوريد وليس هو في مكان حتى يكون السموات والارض حجابا بينك وبينه فانه اذا سألك عنك فلا حجاب بينك وبينه الا اشتغالك بغيره وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره وانت لا تنفك عن شغل نفسك وشهوات نفسك للذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ببعض نفسه انهم شغل عن الله بكل ما سوى الله فمثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى الرقيب وابغضه واستثقله وكره لاجله حضوره فهو في حال اشتغاله قلبه بغضه معرض عن التلذذ بمشاهدة معشوقه والمستغرق قلبه العشق بغير المعشوق والملتفت كما ان النظر الى غير المعشوق في حضرة المعشوق شرك في العشق ونقص من منهلذا النظر الى غيره ببغضه شرك فيه ونقص ولكن احدهما اخف من الآخر بل الكمال ان لا تلتفت القلب الى غير المحبوب بغضا وحبا فانه كما لا يحتمل التلفت حبا لحاجة واحدة فلا يحتمل ايضا بغض وحب لحاجة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله تعالى كالمشغول بحبها الا ان المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق الآخرة اذ يرجى له ان منتهى حاله الى ان يزال هذه الغفلة ويتبدل بالشهود فالكمال لم يترتب لان بغض الدنيا مطية توصل الى الله

فالحب والبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن احدهما مستدبر الكعبة والآخر مستقبل لها فهما متباينان بالاضافة الى الحال فان كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالاضافة الى المستدبر اذ يرجى له الوصول اليها وليس بمحمود بالاضافة الى المعتكف في الكعبة والملازم لها الذي لا يخرج منها حتى ينتهي الى الاشتغال بالدابة بعد الوصول اليها فلا ينبغي ان يظن ان بغض الدنيا ينفع في نفسه بل الدنيا عائق عن الله والوصول اليه والدنيا هي الدابة والمال قال ابو سليمان الداراني من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي ان يشتغل بالآخرة فيمن ان سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما ان سلوك طريق الحج وراء ترك الغزل العائق عن طريق الحج فاذن قد ظهر ان الزهد في الدنيا ان اريد به عدم الرغبة فيها وجودها وعدمها في الكمال وان اريد به الرغبة عنها فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضي والقانع فهو ناقص بالاضافة الى درجة المستغني بل الكمال ان يستغني عنك المال ويستغني عنك المال وكثرة المال وحاجتك اليه بان تكون على شاطئ البحر والقلة توذيك والفقر اسهل من المال لكن لا يكون ذلك مشغولا بالغراض جواز المال الكثير ولا بغض للمال الكثير بل قول الشرع سنة بقدر الحاجة واستغن عن سواه بالله بقدر الحاجة والاجل هو على احد فمكذا ينبغي ان يكون المال الاجل واحد والحاجة والاولى ان يتهيأ قليلا واحدا وكثرة الآخر واذا عرفت ان الله تعالى قد تكفل بتدبيره الذي هو به العالم عليك ان قد حاجتك من الخبز بامكنك الحبة ما دمت حيا كما يمكنك قد حاجتك من المال على ما بيناه في كتاب التوكل قال ابو سليمان لاحمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني فان ملك عشرة دنانير او مائتي درهم اذهب الا بالبعض هذه الزكوة التي هي فان الاحد يوسوس اليك ان اللص قد اخذها فقال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زهدهم في الدنيا تعليما منهم ان اخذها فيه من الزكوة فيه حتى يتهيأ لهم بسبب الضعف والنقصان فان قلت فما بال المال لا ينبغي ولا اولياء ظهروا من المال وتنعموا منه

كل الثمار فاقول كانوا من المال على معنى انهم باشروا اكثر من حاجتهم فنعموا عاجلا واما ما لم يحصل من الزيد والزيادة ومنعوا منه انفسهم بل تركوه في الانهار والبراري للمحتاجين لانهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه او ببغضه وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يعطي اصحابه ما خذوه ووضعوه في مواضعها وما ربوا منها اذ كان قد استوى عندهم المال والذهب والحجر وما تعلل عنهم من امتناع فاما ان يتعلل من جاف ان لو اخذه ان يحرقه بالنار وتعيد قلبه عيوبه الى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا حرم البغض للمال والهرب منه من صميم كمال وهذا حكم جميع الخلق لان كلهم ضعفاء الا الانبياء والاولياء واما ان يتعلل عن قوي فلم الكمال ولكن اظهر الفرار والنفار ترولا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به فان التارك ذو اقتدوا به فان الملوك كانوا يرون الاصل المقرب بين يديهم اولاده مع انه يحبه لا لضعف فيه اخذا ما وكيف لا يعلم انه لو اخذ اولاده اذا رأوا ملكهم والسيرة الضعفاء فترة الانبياء والاولياء والعلماء فقد عرفت ان الالات ستة وان علامة رتبة المستغني ترك الزاهد ترك الراضي ثم القانع ثم المحترض ولكن الفقير اقصر درجة من حيث الزهد والرضا والقناعة وهو درجة مختلف تحت اختلاف هذه الاحوال ولفظ الفقير مطلق على هذه الجملة واما المستغني فقيرا فلا وجه لرجعه الى هذا المعنى بل ان كان فقيرا فمعنى آخر وهو ان يكون محتاجا الى الله تعالى في جميع اموره عامة وفي امر المال خاصة فيكون اسم الفقير كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية واتجا فانه اعني اسم العبد من الالفاظ الدالة على ان كان اسم العبد علما للخلق فقد كان اسم الفقر علما لمن عرف نفسه بالفقر الى الله فهو اعني اسم الفقير واسم العبد سواء من هذين المعنيين فاذا عرفت هذا الاشتراك فعلمت ان قولهم عليه السلام عودي بالفقر وكاد الفقر ان يكون كفرا لا ناقض قولهم اللهم احيني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين اذ فقر الحضرة هو الذي استعاذ منه والفقير الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار

بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليك اادخل فقالت ادخل بابي انت وامي يا رسول الله
فقال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق
نبيا ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا او هكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته
فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل
فقال السلام عليك يا ابنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي
اني لست اقدر على طعام آكله وقد اضر بي الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لا تجزعي يا
ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلث واني لاكرم على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكني
آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة
قالت فاين آسية امراة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد قال آسية سيدة نساء عالمها
ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب
لا اذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة
واما الآثار فقد قال ابو الدرداء ذو الدرهمين اشد حسابا او قال اشد حبسا من ذي الدرهم وارسل
عمر الى سعيد بن عامر بالف دينار فجاء كئيبا حزينا فقالت امراته احدث امر فقال اشد من ذلك ثم قال
اريني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء
يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج وقيل ان ... ثلثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان
ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل لم يدع بشراب فلا يقال له ايهما
وقيل جاء فقير الى مجلس الثوري فقال له تخط لو كنت غنيا ما قربتك وكان الاغنياء من اصحابه
يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه الفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رايت ارذل منه في مجلس الثوري

ولا رايت الفقير اعز منه في مجلس الثوري وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف
من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما
يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعا وقال ابن عباس ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر
وقال لقمان لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك
للفقراء من اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامات الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة
المنافقين وفي الاخبار من الكتب السالفة ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه احذر ان امقتك فتسقط
من عيني فاصب عليك الدنيا صبا وكانت عائشة تفرق مائة الف درهم في يومها وجاء اليها معاوية
وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقع فتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه
وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني لفعلت وكان قد اوصاها رسول الله صلى الله عليه وآله وقال ان اردت
اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه وجاء رجل
الى ابراهيم بن ادهم بعشرة آلاف فابى عليه ان يقبلها فطلب السائل الحاح فقال ابراهيم اتريد ان امحو
اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف لا افعل بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين
والصادقين قال صلى الله عليه وآله طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله
عليه وآله يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا واو القانع هذا
للراضي ويكاد دشوه ... ان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقراء
يدل على ان له ثوابا كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهية لفعل الله في حبس الدنيا عنه ورب
راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله وكراهية في فعله فتلك الكراهية هي التي تحبط ثواب الفقر وروي
عن النبي صلى الله عليه وآله ان لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله
يوم القيامة وروي عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال احب العباد الى الله الفقير القانع برزقه الراضي عن الله

وقال صلى الله عليه وآله اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة
انه كان اوتي قوتا في الدنيا واوحى الله الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من اجلي
قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال عليه السلام لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا
وقال صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى يوم القيامة اين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة من هم
يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون
ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي واما الزاهد فسنذكر فضله في
الشطر الثاني من الكتاب واما الآثار في القناعة والرضا فكثيرة قال ... القناعة ... العلم
وقد قال عمر ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من ييأس عما في ايدي الناس استغنى عنهم وقال
ابن مسعود وما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك
وقال ابو الدرداء ما من احد الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا
والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفعه مال يزيد وعمر ينقص وقيل
لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابراهيم بن ادهم من اهل النعم
بخراسان فبينا هو يشرف من قصر له ذات يوم اذ نظر الى رجل في فناء القصر وبيده رغيف ياكله
فلما اكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئني به فلما قام جاء به اليه فقال له يا رجل اكلت
الرغيف وانت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابراهيم في نفسه
فما اصنع انا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو ياكل ملحا وبقلا
فقال له يا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا فقال الا ادلك على من رضي بشر من هذا قال
بلى قال من رضي الدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء وياكله
بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد وقال الحسن لعن الله اقواما اقسم الله تعالى لهم

ثم لم يصدقوه ثم قرا وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق وكان ابو ذر يوما
جالسا في الناس فاتته امراته فقالت له تجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال لها
يا هذه ان بين ايدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهي راضية وقال ذو النون
انا سلح الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن
واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله تعالى قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت
الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك
فانا اليك محسن وقيل في القناعة شعر اضرع الى الله لا تضرع الى الناس واقنع بيأس فان العز في اليأس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ان الغني من استغنى عن الناس وقيل يا جامعا مانعا
والدهر يرمقه مقدرا اي باب منه يغلقه مفكرا كيف تاتيه منيته اغاديا ام بها تسري فتطرقه
جمعت مالا فقل هل جمعت له يا جامع المال اياما تفرقه المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك
الا يوم تنفقه ارفه ببال فتى يغدو على ثقة ان الذي قسم الارزاق يرزقه فالعرض منه مصون ما يدنسه
والوجه منه جديد ليس يخلقه ان القناعة من يحلل بساحتها لم يلق في ظلها هما يؤرقه بيان فضيلة
الفقر على الغنى اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر
وقال ابن عطاء الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر وقد قال دعا الجنيد على ابن عطاء فاصابته
محنة وقد ذكرنا هذا في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر وذكرنا ان معرفة
الفضل في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا مفصلا واما الفقر والغنى اذا اخذا مطلقا لم يشك
من قرا الاخبار والآثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين
احدهما فقير صابر ليس حريصا على الطلب بل هو قانع راض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس
حريصا على امساك المال والثاني فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من

الفقر الرضى بالكسب وان الغنى المنفق الى الخيرات افضل من الفقير الراضى بالاول وما يظن ان الغنى افضل من الفقير لانها متساويان في صفة الحرص على المال والغنى موسوم بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنها وهذا هو الذي ظنه ان عطاء الغنى المستغنى بالمال وان كان فيه ما ذكرناه فالمقصود ان نفضل على الفقير القانع وقد استشهد له بما روى في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات يدركون بها سابقون بها فوق ما الاغنياء فعلم الاغنياء ذلك وكانوا يقولونه فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك فقال فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد بان عطاء الغني فاسئلوه فقال الغني افضل لانه وصف الحق اذ الدليل الاول فيه نظر لان الخبر قد روى معضلا اقتضيا ما على خلافه فلك وسوان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى يزيد بن اسلم عن ابيه قال لقي الفقراء رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا ان رسول الله قد ذهب اهل الدثور بالنعيم المقيم فقال مم ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال افلا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلوة ثلاثا وثلاثين مرة فاختلفنا بيننا فقال بعضنا نسبح ثلاثا وثلاثين مرة ونحمد ثلاثا وثلاثين مرة ونكبر اربعا وثلاثين مرة فرجعنا اليه فقال تقولون الله اكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين مرة فهذا ما ورد في الخبر وهو معضل ولا حجة في مثله على ان ما ذكرناه من فضل الغني لا يمنع من فضل الفقير اذ لا تناقض بين قول من فضل الغني وبين قول من فضل الفقير لانه وصف الفقير بالصبر والرضى بالمقدور ووصف الغني بالجود والسخاء والايثار وكل واحد من الوصفين فضيلة ولا تناقض بين فضيلتين وانما التناقض بين فضيلة ورذيلة وكذلك لا تناقض بين قول من فضل العبد الجاهل الفقير الذي لا يعصي مولاه لانه وصف العبد بالعفة والصبر على الفقر ووصف العبد العالم الغني بالسخاء والايثار وانفاق المال في مرضاة الله تعالى ولا تناقض بين الوصفين ولا يلزم من فضل احدهما على الآخر فضل كل غني على كل فقير ولا من فضل كل فقير على كل غني بل قد يكون في الاغنياء من هو افضل من كل فقير وفي الفقراء من هو افضل من كل غني وانما يتناقض القولان لو قال قائل كل غني افضل من كل فقير وكل فقير افضل من كل غني وهذا لا يقوله عاقل فكذلك لا تناقض بين قول من فضل الغني وبين قول من فضل الفقير وانما التناقض بين قول من فضل الغني وبين قول من فضل الفقير وهذا لا يقوله عاقل فكذلك لا تناقض بين قول من فضل الغني وبين قول من فضل الفقير وانما التناقض بين قول من فضل الغني وبين قول من فضل الفقير وهذا لا يقوله عاقل فكذلك لا تناقض بين قول من فضل الغني وبين قول من فضل الفقير وانما التناقض بين قول من فضل الغني وبين قول من فضل الفقير وهذا لا يقوله عاقل

الفقر ان الغنى غني بالاسباب العارضة فانقطع وانمحق وجاء الفقر وفقا لوا الشكر من صفات الله تعالى فيتبغي ان يكون افضل من الصبر قلنا هذا ايضا لا يقتضي ان الفقر افضل لان صفات المعبود اكمل من صفات العبد والشكر وان كان من صفات الله تعالى فليس هو من صفات الربوبية بل من صفات العبودية فان الله تعالى لم يزل غنيا ولم يزل شاكرا وكذلك قال تعالى فيما روي عنه عليه السلام العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل حب الفقر والتعاشر في الزهد ومنازعة فيها لانها صفات الربوبية وقد ذكرنا في هذا الفصل كله ان تفضيل الغنى والفقر وحاصل ذلك تتعلق بعبودات تقبل التأويل وبكلمات قاصرة لا تعد مناقضة بها اذ كما لا تناقض قول من فضل الغنى لانه صفة الحق وكذلك لا تناقض قول من ذم الغنى وفضل الفقر لانه وصف العبد الجاهل والغنى والفقر وان وصف العبد وليس لاحد ان يفضل الغنى على العلم كشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما لا يراد لغيره بل يراد لغيره ويتبين ان ما يراد لغيره ومتصف به اذا نظر فضيلته والدنيا كذلك محذور لمعنى ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله والقرب معلوم لجميع ولكن ان فيه فقد العائق عن الله وعدم الشاغل عنه وكم من غني لم يشغله الغنى مثل سليمان بن داود عليهما السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن التقصد وغاية المتقي في الدنيا هو حب الله والانس والا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل الآخرة ومع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع حب الله وحب الدنيا في قلب شغلين سواء كان فراقه اوفى وصاله وربما يكون شغله بالقرآن اكثر وربما يكون في الحلال اكثر والدنيا بعينها مشغولة للغافلين والخروج عنها مشغول بها وربطها والقادر عليها مشغول بالخلاص منها فان الوقت فارغ عن غير حب المال بحيث صار المال احب اليه كالماء الذي لا يشتهي الفاقد والواجد اذ كل واحد عن متمنع الاقتدار الحاصر ووجود قدر الحاجة افضل من فقده فاذا الخلاص بسلوك سبيل الموت السهل المؤدي وان اخذت الامر باعتبار الاكثر فالفقر عن الخطر ابعد اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء على ما ورد

وكون حب دنيا في الجملة وهو الشوب اذا افقده فلجت نفسه تمزقه واذا سرق منه فان حبه لتلك السنة تأفل عما ان كان مغمورا فاكثر من رجل باع سريرة لظنه انه ينقطع التفات عنها فعند لزوم البيع وتسليم الجارية يشتغل قلبه الى ما كانت مستكنة فيه فيتحقق به انه كان مغمورا وان العشق كان مستكنا في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء الا الاقلا والاولياء واذا كان ذلك محالا او بعيدا فاطلق القول بان الفقر اصلح للكافة للغني هو افضل لان علاقة الفقير انما هي بالدنيا اضعفت وبقدر ضعف علاقته تضاعف ثمرات تسبيحاته وعباداته فان بركات اللسان لم يزد الا عبادة بها الانس المذكور والا كمون تأثيره في اثارة الانس مع قلة فارغ عن غير المذكور كثير شغل مشغول وكذلك قال بعض السلف مثل من قصد زهد علماء الدنيا مثل من يطفئ النار بالحطب ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمن وقال الاوزاعي مثل من يتعرض لصحبة الفقراء مثل من يطفئ النار بالحطب فاذا ثبت ان الفقر اصلح للكافة فالغنى افضل لان الكافة لا تقدر عليها فاذن الافضل من عداه غني الغني عن الفقير والفقير عن الغني وعن الفقاعي قال من دخل السوق ولم يشتر فيه فصار حاصله كان خيرا له من ان لم يدخل وسلم فقال له رجل ليس عندنا دقيق والخبز فارغ فقال ذلك الوقت فان عندك الفضل فخرج وهذا كما قال عيسى عليه السلام ليس عندنا دقيق والخبز فارغ اشتروا ذلك الوقت فان عندكم الفضل فخرج وهذا كما قال بعض الحكماء الفقر المقيد مثل الغنى المقيد مثل الغنى المقيد مثل وضوء على وضوء نور على نور وصيد الحيتان وكانوا يكرهون سماع علم الغيوب من الاغنياء وقد قال الصديق اللهم اني اسألك الزهد عند الموت من غير والزهد فيها حاضر للفقاعي واذا كان مثل الغنى كان حاله بحذو من الدنيا ووجودها فكيف يشك ان فقد المال اصلح من وجوده ومع الحال الغني ان اخذ حلالا واتقى عليها وصرف ذلك في طاعات الله وجد عبادات الفقراء ونقش في صحائف حسناته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اخشى ان يكون عجلت حسناتي وانا اتقلب في مالي ولذا قال ابو الدرداء ما احب ان لي حائطا على باب المسجد يجري عليّ كل يوم قيراطا

الفقر الرضى بالكسب وان الغنى المنفق الى الخيرات افضل من الفقير الراضى بالاول وما يظن ان الغنى افضل من الفقير لانهما متساويان في صفة الحرص على المال والغنى موسوم بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنها وهذا هو الذي ظنه ان عطاء الغنى المستغني بالمال وان كان فيه ما ذكرناه فالمقصود ان نفضل على الفقير القانع وقد استشهد له بما روى في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات يدركون بها سابقون بها فوق ما الاغنياء فعلم الاغنياء ذلك وكانوا يقولونه فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك فقال فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد بان عطاء الغني فاسئلوه فقال الغني افضل لانه وصف الحق اذ الدليل الاول فيه نظر لان الخبر قد روى معضلا اقتضيا ما على خلافه فلك وسوان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى يزيد بن اسلم عن ابيه قال لقي الفقراء رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا ان رسول الله قد ذهب اهل الدثور بالنعيم المقيم فقال مم ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال افلا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلوة ثلاثا وثلاثين مرة فاختلفنا بيننا فقال بعضنا نسبح ثلاثا وثلاثين مرة ونحمد ثلاثا وثلاثين مرة ونكبر اربعا وثلاثين مرة فرجعنا اليه فقال تقولون الله اكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين مرة فهذا ما ورد في الخبر وهو معضل ولا حجة في مثله على ان ما ذكرناه من فضل الغني لا يمنع من فضل الفقير اذ لا تناقض بين قول من فضل الغني وبين قول من فضل الفقير وهذا لا يقوله عاقل فكذلك لا تناقض بين قول من فضل الغني وبين قول من فضل الفقير وانما التناقض بين قول من فضل الغني وبين قول من فضل الفقير وهذا لا يقوله عاقل فكذلك لا تناقض بين قول من فضل الغني وبين قول من فضل الفقير وانما التناقض بين قول من فضل الغني وبين قول من فضل الفقير وهذا لا يقوله عاقل

ولذلك قالت الصحابة بيننا نفقه الفراء صبرنا وبيننا نفقه السراء فانصرفوا خطبة الادبس كلم الاشاذ الغذ الذي الوصف الاعصار الكثيرة الاثار فلما كان خطاب الشرع عاما كان المال مذموما الا لمن اتقى الله وانفق المال في الخيرات وهذا هو الاصل للكل دون ذلك النادر ونزيد شرحا على الغني وفضله الفقر ومدحه حتى قال عيسى عليه السلام استقروا الى اموال اهل الدنيا فان بقي لهم الهدهد سوارا بانكم وقال بعض الحكماء ما تقلب الانسان على طلاوة الايمان فوق الحر كمثل ابرة عمل من هذه الامة الدينار والدرهم وكان اصل محل قدم موسى من حلية الذهب والفضة ايضا واستوا المال والذهب والحجر الا منصور للانبياء ثم تم ذلك بعد فضل الفقر بطول المجاهدة اذ كان صلى الله عليه وآله يقول للدنيا اليك عني اذ كانت الدنيا مثل زينتها وكان على اليه ان يقول اصفوا لي وبيضا لي غيري وذلك الاستشعار ونفي خطور سوادي الفقر لولا ان راى ربه وذلك هو المطلق اذ قال عليه السلام ليس الغنى بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا فاذن الاصلح للكافة الخلق فقد المال وان تفقدوا بها وصرفوها في الخيرات لان لا تسكون صفة القدرة على المال عن نفس الانس بهذا العالم وتقدر ما انس العبد بالدنيا مستوحش من الآخرة وتقدر ما انس بعض صفاته سوى صفة المعرفة مستوحش من انس بعض صفاته وبها انقطعت اسباب الكل بالدنيا تجافى الخلق عن الدنيا وزهدتها والتعلق اذا تجافى ما سوى الله وكان موضوعا بالقدر لا محالة اذ لا تصور تعلق فارغ وليس في الوجود الا الله وغيره فمن اقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن اقبل على غيره تجافى عن غيره وكيف اقبل على احدهما بقدر تجافى عن الآخر وقربه من احدهما بقدر بعده من الآخر وشبهها مثل المشرق والمغرب فانهما متجافيان فالقرب من احدهما سبب البعد من الآخر فمن اقرب من احدهما هو عين البعد عن الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض الله فينبغي ان يكون على حذر العاقل فالمغرور من اغتر بالدنيا والسعيد من فاز بالعقبى فاذن فضل الفقر والغنى حسب فيها ما المال مبغوض فان تساويا فيه تساقطا درجته الا ان هذا نزل الاقدام وموضع الزلة فان الغنى ربما يظن انه استغنى بالمال عن الله تعالى

ان الاخذ انما ينفى المال فينبغى ان يكون سلالا الاحيان من الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليجتز
من اخذه وقد ذكرنا فى كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يحل اجتنابها وما يستحب اجتنابها
واما عرض المعطى فلا يخلو اما ان كون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية او الثواب وهو الصدقة
والزكوة او الذم والرياء والسمعة او على التجرد وامر وجاهيته الاغراض اما الاول وهو الهدية فلا باس
بقبولها فان قبول هدية رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن ينبغى ان لا تكون فى هدية فالاولى تركها فان
علم ان بعضها انما قطع فيه المنية فليرد البعض دون البعض فقد اهدى رجل الى النبى صلى الله عليه وآله شاة
واطعمه وكبشا فقبل اللحم والاقتطرد الكبش وكان صلى الله عليه وآله يقبل من فضل الناس ويرد على قوم
لقد هممت ان لا اتهب الا من قرشى او انصارى او دوسى وفعل هذا جاءه من الصحابة والتابعين ومن
بصرة الى فتح الموصل فيها خصوص درهما فقال احد شاعطا عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال من اتاه رزق
من غير مسئلة ورده فانما رد على الله ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد بقيتها وكان الحسن يرد هذا
الحديث انهم ولكن حمل اليه رجل كساء ورزمة من مرقق ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس
مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لم يقم الله تعالى يوم القيامة ولعل الخطاب وهذا يدل على
ان امر الواعظ والعالم اشد فى قبول العطاء وقد كان الحسن يقبل من اصحابه وكان يأخذ هم التى
يسأل اصحابه الدرهم ويخزه ويعرض عليه غيرهم الباقى فلا ياخذ وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه
شيأ سئل تركه عندك ما اظن ان كنت بعد قبولك فى ملكك افضل من قبل القبول فاخبره حتى اخذه
والا فلا واما مرة هذا الشق عليه اذ الطبع رده وهو مزهد بالقبول ويرى الكبر على نفسه فى قبول صدقة
هدية فان علم انه يزيد به منة فاخذه مباح وكنه مكروه عند الاتقياء الصادقين وقال المسيب بن شريك
احد لقط شيأ الا سرا يستقل الا ان يقدح عندى زهده فى الدنيا فهو مزهد بخروج الشئ من يده و
يتبرم بعقار عنده فاكون عونا على الخير وجاء خراسانى الى الجنيد بال مرسلا ان ما كله حلال

اخرج على الفقر فقال ان اردت هذا فقال ومتى اعيش الا ان اكل هذا فقال اما اريد ان تستقبل فى اكل المتقبل بان
الحلاوى والطيبات فقبل فقال الخراسانى ما احد بغداد اسن على منك فقال الجنيد وما ينبغى ان تقبل الا
من مثلك الثانى ان يكون للشئ المجرد وذلك صدقة او زكوة فعلى اى وصف من صفات نفسه انه اهل او
مستحق للزكوة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك فى كتاب اسرار الزكوة وان كان يعطيه
صدقة وكان معلوما انه ليس فقيرا فليتوقف الى ما يجتهد فان كان معتادا فى المعطى ان يعطى الاغنياء
والمترفين الهدية بالتصدق عليهم لهذا حرام اخذه كما لو اعطاه نظنه انه عالم او على ولم يكن قال اخذه حرام
محض الشبهة فيه الثالث ان يكون غرضه الرياء والسمعة فينبغى ان يرد عليه قصده الفاسد والتشبه اذا
يكون معينا له على غرضه الفاسد وكان يحيى بن معاذ الرازى يقول ما فعل ومتى الوعظ انه لا ينذر وان رد ذلك فكما
لا اخذت وجب بعضهم فى رده ما كان يأتيه من صلة فقال انا اردصلتى اشفاقا فى نصحكم لانه ينذر وان
ويحبون ان يعلم به فيذهب الموالى ويحبط اجورهم واما عرض الاخذ فينبغى ان يعرف انه يحتاج اليه فيما
لابد منه او هو مستغن عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبه والافات التى ذكرنا فى المعطى
فالافضل له الاخذ قال صلى الله عليه وآله المعطى سبعة باعظم اجرا من الاخذ اذا كان محتاجا وقال
من اتاه شئ من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه فرد تعطا فرده
وقال بعض العلماء من لم يعط ولم ياخذ سلم ولم يعط وقد كان بشر بن السرى يعطى الاحدين حنبل ثلثمائة درهم
فقال له السرى يا احمد اذا رأيت الرد فانها شدد من الاخذ فقال له احمد اعد على ما قلت فاعاد فقال احمد
ما رددت عليك الا الان عندى قوت شهر فاحبسه عندك فاذا كان بعد شهر فاعطنى وقد قال العلماء
خاف فى الرد الحاجة عتوبين ابتلاء المعطى او دخول شبهة او غيره فاما اذا كان ما اتاه زايدا على حاجته فلا يحل
اما ان يكون حاله الاشتغال بنفسه لو التكفل بامور الفقراء او الانفاق عليهم لما اطيق حمل ذلك
فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه واما ان كان بحالة يطرق الاجزة فان ذلك محل تتابع الهوى
وكل على ليس فهو من سهل الشيطان او داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ثم اعتمان

احدهما ان ياخذ في العلانية ويرد في السر او ينفق في السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا طبيعة الانس اطمانت نفسه بالرياضة وان لم تسكن له ولا ياخذ ليصرفه لصاحبه الى من هو احوج منه او ياخذ ويوصله الى من هو احوج منه فيقع كلاهما في السر وكلاهما في العلانية وقد ذكرنا ان الافضل اظهار الاخذ او الاعطاء في كتاب اسرار الزكوة مع جملة من احكام الفقر فليطلب منه واستماع احمد عن قول عطاء السقط انما كان لاستغنائه عنه اذ كان عنده قوت شهر ولم يرد انه يشغل بالكسب وصرفه الى غيره فان في ذلك افات واخطار اذ الورع يكون حذورا من مظان الافات اذ الزمان مملوء الشيطان على نفسه ورجال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق فسمعت هتفا يقول من طوافه وهو يقول بصوت خفي جائع كاسا ترى عريان كاسا ترى فماتري فيما يرى بما لا يرى فنظرت اليه فاذا عليه خلقان لا يكاد توارى عورته فمكثت في نفسي لا احد ادراهي مع فقره احسن من هذه الخلة اليه فطرأ لي ان اخذ منها خمسة دراهم فقال اربعة دراهم ثمن سراويل ودرهم ثمن قميص فاشتريت ثلثا واتيته فاذا هو قد طرح نفسه على الطريق وهو يقول اريد ان اجد بردا ان اجد حرا ان اجد نفسي منشرحا فاكتسيت الى ما خذ بيدي فاطاف في مطاسبوعا كل شوط منها فاذا هو من معادن الارض يحشر تحت اقدامنا الى الكعبتين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وحرير فاستطرد ذلك للناس فقال هذا كله قد اعطانيه زاهدا وقد اخذ من لدي الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذاك للعباد دفعة راحة ونعيم والفقر ان الزيادة على قدر الحاجة انما تاخذ استدراجا فتستطرد احد اليك ما ذا تحمل فيه وقدر الحاجة تاتيك رفقا فلا تتعلق عن الرفق بالرفق والابتلاء قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقد قال صلى الله عليه وآله لحق لان آدم الا في ثلث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فاذن انت في اخذ الحاجة من هذه الثلث مثاب وفيما زاد على ان الاصل ان مستوفي الحساب واني عسيت ان اعد فانت مستوفي العذاب عند الاختبار الا ان نعوم على ترك لذة من اللذات تتوقا الى الله وكسر الصفة النفس فيملك عنوا صفوا التمحض به قوة عندك فالاولى الاستماع هنا فان النفس

اذا رخصت في نقض العزم الفت نقض العهد وعادتها فلا امكن تهمتها ورد ذلك يعرف فان ازهد فان اخذت وصرفت الى محتاج فهو غاية الزهد والانفراد على الاصدقاء فاما اذا كان حالك كحالك والبذل مع اكتمال يحوق الفقر وتهدد جاعة من الصلحا فخذ ما زاد على حاجتك فانه غرر لك في الفقر وبادر به الى الصرف اليهم والا تدخر فان لمساكين والليلة واحدة ففيه واختبار ربما يخلون ذلك فتمسكه وتكون فتنة عليك فقد تصدى لهذه الفقراء جاعة اتخذوها وسيلة الى الترؤس والمال والنعم الى المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب فله ان يستوفي على حسن الظن بالله تعالى اما ذا كان الطمع الظاهر فان رزق الله من حلال قضاه وان مات قبل القضاء قضى الله تعالى عنه وارضى غرماءه وذلك شرط ان يكون مكشوف الحال عند من قرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بل واعده بل كشف حاله عنده بل قدم على القرض على بصيرة وذلك مثل ان الرجل واجب ان تقضي من ماله المال او من الزكوات فقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وقيل معناه ليبع اصل ثوبه وقيل معناه فلستقرض بجاهه فذلك قد اتاه الله وقال بعضهم الله تعالى مستقرضون على قدر بضاعتهم والله عباد منفقون على قدر حسن الظن بالله ومات بعضهم فاوصى بالثلث فخالف الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال انا الاقوياء هم اهل التوكل على الله واما الاسخياء هم اهل حسن الظن بالله واما الاغنياء هم اهل الانقطاع الى الله فاذن لها وعدت هذه الشروط فيه وفي المال وفي المعطى فليأخذه ومتى ان يرى ما يأخذه من الله لان المعطي انما المعطي واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر اليه بسلط عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات وقد كان بعض الناس دعا شيخا في حبس من حبوسه فاجابه فرضع اصل مائدة حسنة فاقعد فقال الصاحب ان هذا الرجل يقول ان هذا الطعام وقد سمه فلعله حرام فقام كلهم ومزحوا الا شابا كان دونهم فالتزم صاحب البيت لشقيق ما ذا قصدت بهذا فقال اردت ان اختبر توكل صاحبي كلهم وقال موسى عليه السلام حملني على ان ادخر عاسر ائيل بعدي هذا اليوما ويشبهني هذا الليلة فاوحى الله اليه كذا اصنع باوليائي من ادخر ازاد

وسوال للعارى وبذله بكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح بهما وصدقته الشروط فى المسئول يكون مباحا
والمسئول عنه بكونه راضيا فى الباطن والسايل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو طالب
ليس له السوال الا اذا استغرق طلب العلم اوقاته وكل من ابتغط فهو قادر على الكسب بالوراقة والمستغرق
فهو الذى طلب شيئا وعنده مثله واما السوال اجراء قطعا وذا ان طرفان واخفان واما المحتاج حاجة
جهد فرض محتاج الى دوا ليس نظير خوفه لوم استعماله ولكنه الاخلق بخوف وكس ارجبه والاقيس تحتما
فى الشتا وهو شاذ فى البرد شاذ ايا الا يتفق الا حد القسم وكذلك من يسال لاجل الكرى وهو قادر
على الكرى بشقة فهذا القسم ينبغى ان يسترسل عليه الا باجه لانها القسم حاجة محققة ولكن الصغرى اولى
وهو بالسوال تاركا للاولى ولا يسمى سوالا مكروها مباحا صدق فى السوال وقال ليس تحت يدى قصعة
والبرد دونى اذى الطبيعة ولكن يشق على فاذا اصدق فصدقة تكون كفارة لسوالى ان شاء الله واما اباحة
الخفيفة فمثل سوال قيصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه فيستتر به الخروق التى فى ثيابه عن اعين الناس
ولكن يسال لاجل الادام وهو واجد للخبز وكمن يسال الكرى النوم فى الطريق وهو واجد كرى النهار
او يسال كرى المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا ان كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة غير فهو حرام
وكذلك لو كان فيه شئ من المحذورات الثلثة من الكذب او الذل وايذاء المسئول فهو حرام لان مثل هذه
الحاجة لا تصلح لان يباح بها هذه المحذورات وان لم يكن فيه شئ من ذلك فهو مباح مع الكراهة فان قلت
فكيف تكون اخلا السوال عن هذه المحذورات فاعلم ان الشكوى عند من يظن بان نظر الشكوى على الله
والاستغاثة عن الخلق والسوال محتاج وكانى اقول انا مستغنى بالملكه ولكنى بطالبنى الكيس
بشئ فوق ثيابى وهى فضيلة على الحاجة وفضول النفس فتخرج عن حد الشكوى واما الذل
فان يسال اباه او قريبا وصديقه الذى يعلم انه لا ينقصه ذلك شيئا ولا يزدريه بسبب سوالى بل يعد
السخى الذى قد اعد مال لمثل هذه الكارثة فيفرح بوجود مثله ويعد نفسه بقبوله لتستغنى عنه الذل الذى

فان الذل الازم للمسئول واما الايذاء فسبيل الخلاص عنه ان لا يعين شخصا بالسوال بعينه بل
يلقى الكلام تعريضا بحيث لو اقدم على البذل لا يتبرع بصدق الرغبة وان كان فى القوم شخص بعينه
لو علم ذلك كان يلام فهذا ايذاء فانه ربما يهتدى كرما خوفا من الملامة وتكون الاحب اليه فى الباطن
الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة واما اذا كان السوال معينا فينبغى ان لا يصح بل يعرض تعريضا
لسبيل التغافل ان اراد فاذا تغافل مع القدرة عليه فذلك اغضبه وانه عرضه اذيته وينبغى
ان يسال من لا يستحى منه لوروده او تغافل مع القدرة عليه فان الخياس السايل يوذى كما ان
الرياء مع غير السايل يوذى فان قلت فاذا اخذ مع العلم بان باعث المعطى هو الحياء منه او من
الحاضرين ولولاه لما ابتدا فيه فهو حلال لوشبهه فاقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الامة
وكيف لا وقد اخذ المغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق ان اضرب ظاهر جلده بسياط الخ او
باطن بسياط الحياء وخوف الملام وسياط الباطن اشد نكاية فى قلوب العقلاء والاحرار ان قال هو
فى الظاهر قد رضى وقد قال صلى الله عليه وآله نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة
القضاء فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى السواطن وتزاين الحالات فاضطر والى الحكم بظاهر
اللسان مع انه ترجمان كثير من الكذب ولكن الفت دعت اليه وهذه سوال عما بين العبد وبين الله
والحاكم فيه احكم الحاكمين والعلم عنده كالالسنة عند سائر الحكام فلا يتطرق الى مثل هذا الا ان
قلبك وان افتوك وافتوك فان المفتى صديق القاضى والسلطان ليحكموا على الشهادة وبنى
القلوب هم على الاخوة ومستواهم النجاة عن سلطان الاخرة كما ان نفس الفقيه النجاة عن سلطان
الدنيا فاذ ما ياخذه مع الكراهة لا ملكه بينه وبين الله ويجب عليه ادخاله صاحبه فان كان ممن
ان يرده ولم يرد فضيلة ان يثبته على ذلك يا يساوى قيمته فى موضع الحديد والمقابلة يستنقص عن

قوله والعلم عند الله كالالسنة عند سائر الحكام فلا يتطرق الى مثل هذا الا ان قلبك وان افتوك وافتوك فان المفتى صديق القاضى والسلطان ليحكموا على الشهادة وبنى القلوب هم على الاخوة ومستواهم النجاة عن سلطان الاخرة كما ان نفس الفقيه النجاة عن سلطان الدنيا فاذ ما ياخذه مع الكراهة لا ملكه بينه وبين الله ويجب عليه ادخاله صاحبه فان كان ممن ان يرده ولم يرد فضيلة ان يثبته على ذلك يا يساوى قيمته فى موضع الحديد والمقابلة يستنقص عن

عمدة فان السبل مهتدة فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف بيده فهو مضمون عليه يسئل عنه يوم القيامة
وهو خاص بالتصرف فيه والسؤال الذي حصل به الاذن فان تلف بهذا الامر الباطني بعيد الاطلاع عليه كتلف
السبيل فيه وربما نظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضيا فاقول لهذا ترك المحققون السؤال
رأسا فاما كانوا ياخذون من احد شيئا ثم وكان يشرع لا ياخذ من احد ثم السري قال لا يحل له ان
يفرح بخروج المال من يده فانا اعينه على الحيلة وانا اعظم انكيره السؤال والامر بالتعفف لهذا
لان هذا الاذن لما حمل الضرورة وهو ان يكون السائل شرها على الهلاك ولم يسق له سبيل الا الخلاص
والم يجد من يعطيه من غير اراقة وذي فيها اذ ذاك كاباحة لحم الخنزير واكل الميتة وكان الاشباع
عارض الورعين وهو ارباب القلوب من كان منهم ثاقب بصيرة في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا
ياخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا ياخذ الا من احد قرائنه ومنهم من كان ياخذ
ما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله في الكبش والاقط وكان هذا احيانا ينتهي عن سؤال
فان ذلك لا يكون الا في غيبة ولكن قد يكون غيبة طمأنينة او طلبا لمزيد ثقة وسعة فكان الخروج
من ذلك غنما السؤال فقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وآله من احدهما الفقر حتى قال سلوا الله
في صلاتكم سلطان وهو سؤال الخضر عليه السلام وقالت في انهم اسألوا الناس حتى ان احدهم ليسأل
وان ترك السؤال مع الاصدقاء والاخوان وفي حق الاخوان وكان قد ياخذون مالهم بغير سؤال
واستيذان لان ارباب القلوب على الوان الطرق اقعد لانطق اللسان وكانوا قد ألفوا
لاخوانهم انهم كانوا فرحون بباسطتهم فاذن كانوا لا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار
اخوانهم على مؤونته والا فكانوا يستغنون عن السؤال ومحل اباحة السؤال ان تعلم ان السؤال
بصفة لو علم بالك من اكابر لابتدأك بعرض السؤال فلا يكون سؤالك تأثيرا الا تعرف جلستك

فامانى تركه بحيا او اثارة داعية بالجميل فلا يتصدى للسابل حالة لا شك معها في رضا الباطن بحالة لا شك
في الكراهة ونعلم ذلك بقرينة الاحوال فالاخذ في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثانية حرام محت ومتردد في
الحالة الثالثة احوال شك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حواز القلب فانه الاثم ولدع ما يريبك الى ما لا يريبك
وادراك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوى الحرص وضعفت
الفطنة تراءى له موافق غرضه ولا تستفت للقرآن الدراية على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قول
رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال ان طيب ما اكل الرجل من كسبه وقد اوتي جوامع الكلم لان
من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب اسلافه او اقاربه فاكل من مال الناس فان اعطى فهو سؤال فانما يعطى
لدينه ومن يكون باطنه بحيث لو انكشف للمعطي لدينه فيكون ما ياخذه حراما وان اعطى سؤالا فان
من يطيب قلبه بالعطاء انما سئل وان من يقتصر في السؤال على حد الفم فاذا فتشت احوال من ناكل
من ايدي الناس علمت ان جميع ما يأكلونه او اكثره سحت وان الطيب هو الاكل الذي اكتسبه هو او مورثه فاذن
بعيد ان يجتمع الورع مع الاكل من ايدي الناس فقال الله تعالى ان تقطع طمعا عن غيره وان تغنيها
بحلالك عن حرامه بسعة وجوده **بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال** اعلم ان قوله صلى الله عليه وآله من سأل
عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم صريح في التحريم ولكن حد الغنى مشكل ويقدره عسير وليس على وضع
المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث استغنوا يغنى الله تعالى قالوا وما اغنى قال
غداء يوم او عشاء ليلة وفي حديث اخر من سأل وله خمسون درهما او عدلها ذهبا فقد سأل الحافا وورد
في لفظ اخر اربعون وبهما احتملت التقديرات وبحث الاخبار فسبيل ان تقطع ورودها على احوال
مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير يمتنع وغايته الممكن فيه تقريب ولا تام وذلك الا يستحيط
باحوال المحتاجين فيقول قال صلى الله عليه وآله الحق ابن آدم الا ثلث طعام تقم صلبه وثوب يواري عورته

من الادب

وبيت يكنه ومازاد فهو حساب فليجعل همه الثلث اصلا في الحاجات بانسان اجناسها والنظر في
الاجناس والاقدار والاوقات فاما الاجناس فمن همه الثلث ونحن نبينها ما في معناها حتى يلحق بها
اكرى المسافر اذا كان الاقتدار على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفقة عياله وولده
وكل من يجب عليه كفالته واما الاقدار فكالثوب يراد في الملبوس بذوي اليسار وهو ثوب واحد لقميص
ومنديل وسراويل ومداس واما الاثمان من كل جنس فهو مستغنى عنه والمستغل على هذا اثاث البيت
والاغنى ان يطلب رقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفر وما يكفي قدره اخر فان ذلك مستغنى
فيقتصر من العدد على واحد من النوع على الجنس الذي يحسبه ما لكي في غاية البعد عن العادة واما الطعام
فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما تقتات به وكان الشعير والادم على الدوام افضله
وقطعه بالكلية اضرار فيه في بعض الاحوال رخصة واما المسكن فما قله مما يخرج حسب المقدار وكذلك
من غير زينة فاما السوال للزينة والتوسع فهو سوال عن ظهر غنى واما بالاضافة الى الاوقات فما يحتاج
اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وما وارى بكنه فلا شك فيه فما سوى المستغل فهذا له
ثلثة درجات احدها ما يحتاج اليه في هذه الوقت ثانيه ما يحتاج اليه بعد اربعين يوما او خمسين وثالثه ما
يحتاج اليه في السنة فلسقط ما من عوده بكنه له ولعياله ان كان له عيال لسنة فسوال الحرام فان ذلك عار
الغنا وعليه يترل التقدير بخمسين درهما في الحديث فان خمسة دنانير تكفي للمنزل في السنة اذا اقتصد
اما العيال فربما لا يكفيه فان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السوال والاهنة فرضه فلا يحل
له السوال الا بستغني الحال وربما لا يعيش الى الغد فكون قد سال لا لحاجة اليه قبل السنة فيكفيه غدا
يوم وعشا ليلة وعليه يترل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان سنوته اصله السوال
والجد ما عطيه لو اخر فيها له السوال لان اهل البادية غير بعيد فهو كخبر السوال فخايف

ان يتم ضبطه اعاجز عن تضبيطه فان كان خوف العجز عن السوال في المستقبل ضعيفا وكان بالطبع ضعيف
السوال فاجر جافي محله القدم يخل سوال عن كراهته بحسب درجات الاضطرار وخوف
الموت وتراخي المدة التي فيها تحتاج الى السوال وكذلك الاستقبل الضبط وهو موكول باجتهاد العبد
ونظره لنفسه بينه وبين الله فيستفتي فيه قلبه ويعمل ان كان سالكا طريق الاخرة وكلما كان اتقى
وثقته بموعود الرزق في المستقبل اقوى وقناعته بقوت الوقت اظهر فدرجته عند الله اعلى فلا يكون
خوف الاستقبال وقد قال الله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقال الشيطان يعدكم الفقر
ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسوال من الفحشاء الذي يامر به القلم وحال من سال
لحاجة ترك فيه عن ذله وان كان محتاجا اليه في السنة اشد من حال من ملك مالا موروثا او اجر
وعدم الثقة بفضل الله وهو امهات المهلكات بيان احوال السائلين كان بشر يقول الفقر
ثلثة فقير لا يسال وان اعطي لم ياخذ فهذا مع الروحانيين في علليين وفقير لا يسال وان اعطي اخذ فهذا
مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسال عند الفاقة فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين فاذن
قد اتفق كلهم على ذم السوال وعلى ان مع الفاقة يحط الدرجة والمرتبة وقال ابرهيم بن ادهم الشقيق بن
ابرهيم حين قدم عليه بخراسان كيف تركت الغزا من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا
صبروا فقال انه لما هو صنع تروك السوال فقد اتى عليهم غاية الشاق فقال لرويم هكذا تركت كلاب غدا خلفك
قال لرشيق فكيف الفقر عندكم يا ابا الحق فقال الفقر عندنا ان يعطوا اشكروا وان يمنعوا اشكروا فقبل
راسه وقال صدقت انت استاذ فاذن درجات ارباب الاحوال في الرضا والصبر والشكر والسوال اكثر

الفاتحة

فلابد لسالك طريق الآخرة من معرفتها وسوء اقتحامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم الفرق على
الترقي من حضيضها الى نهايتها ومن اسفل السافلين الى اعلى العليين وقد خلق الانسان
في حسن تقويم ثم رد الى اسفل سافلين ثم امر بان يترقى الى اعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو
لا يقدر على الترقي قطعا فانا الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما لا يقدر عليه وما رب الجهول قد تغلبهم
حالة يقتضي ان يكون السؤال عن مزيد الهم في درجاتهم وذلك بالاضافة الى حالهم قليل فهذه الاعمال التي
وذلك كما روي ان بعضهم رأى ابا الحسين النوري يمر يده وسال الناس في بعض المواطن فقال فاستعظم
ذلك واستسخفه له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم سال الناس الا يعلم
انها سالم لشيهم ولا خرة هو حرون من حيث لا يضره وكان ما شار بسال قوله عليه السلام يد المعطي العليا
وقال بعضهم يد المعطي يد الآخذ للعطاء لانه يعطي الثواب والعقد له الا ما اخذه ثم قال الجنيد يا غلام الميزان
فلوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فاقامها على الميزان ثم قال لها الا تحملت ما تنقص اتا نوزن الرش لسوف تقدر
فكلفت خاطبه بهجوا او هو رجل حكيم واستحييت ان اسأله فذهبت بالصرة الى النوري فحال له الميزان
مائة وقال رد عليه وقل ان الاقبل منك شيئا واخذ ما زاد على المائة قال فزاد تحيي فقال
الجنيد رجل حكيم يريدان يأخذ الجبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة
بلا وزن لله تعالى فاخذت ما كان لله ورددت ما جعل للمنة قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال
اخذ ماله ورد مالنا ولله المستعان فانظر الآن كيف صفت قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله
اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مخالطة باللسان ولكن بنشاهد القلوب ومتناهي
الاسرار وذلك منتهى كمال الحال وصفو القلب عن حب الدنيا والاقبال بالكلية على الله عز وجل
قبل نجرد طريقه فهذا جاهل كمن يتكر شيئا كون الدواء سهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان طال احتباؤه

حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لعجزه كان لكن يشرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في
باطنه فاخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول ولكن ليس فيه الباس من خطر
واف من الجهل بل البصير احد رجلين اما رجل سلك الطريق فظفر بما ظفروا به وهو صاحب الذوق
والمعرفة وقد وصل الى اليقين واما رجل لم يسلك الطريق او سلك ولم يصل ولكنه ادرك من
ذلك وصدق به فهو صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين ايضا ثمرة
وان كان دون عين اليقين ومن حصل عين اليقين وعين اليقين فهو خال عن ثمرة الموت
ويعبر يوم القيامة في حيرة الجاحدين المنكرين من الذين هم قتلى الغفول الضعيفة والاتباع الشياطين
فنسال الله ان يجعلنا من العارفين في العالم العاملين امتثالا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب

الشطر الثاني من الكتاب في الزهد

وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد واقسامه وبيان تفصيل
الزهد في المطعم والملبس والمسكن والاثاث وضروريات المعيشة وبيان علامات الزهد بيان حقيقة الزهد
اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين ومنتظم هذا المقام من علم وحال وعمل ثم
المقامات كلها ابواب الايمان كلها كما قال السلف يرجع الى معتد وقول وعمل وكان القول للصورة اتم
مقام الحال الذي يظهر حال الباطن والاقليل القول يراد العين وان لم يكن صادرا عن حال ثم سلما
وليس ايمانا والعلم هو السبب الحامل على الحال ثم الحال يحرك محرك الشوق والعلم هو الذي يحرك الشوق فلنذكر اولا ما هية
كلا ثم في العلم والعمل والحال فنقول اما العلم فهو ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء
الى ما هو خير منه وكل من عدل عن شيء الى غيره لعجزه عما وضع وسع وعزه فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما
عدل الى غيره لرغبته فيه فاذا الاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا والاضافة الى المعدول اليه يسمى

وحبا فاذن يستدعى حال الزاهد رغوبا عنه ورغوبا اليه وهو خير من الرغوب عنه وشرط الرغوب عنه
ان يكون ايضا هو رغوبا عنه من وجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا فتارك
التراب والحجر والخنزير لا يسمى زاهدا وانما يسمى تارك الدراهم والدنانير زاهدا لان التراب والحجر لا
منفعة له عنده وشرط المرغوب عنه ان يكون خيرا عنده من المرغوب عنه حتى يغلب هذا الرغبة فانها قد
تقدم على البيع الاولى الشرعي عنده خيرا من البيع فيكون حراما بالاضافة الى من زاهد فيه وبالاضافة الى
العوض رغبة وحبا ولذلك قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه
باعوه وقد يطلق الشراء بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان
ذلك عندهم احب من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذن كل من باع الدنيا بالاخرة فهو زاهد في الدنيا
وكل من باع الاخرة بالدنيا فهو ازهد زاهد وكن في الاخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزاهد من زهد
في الدنيا فهو اسم مدح لهذا ولكن في الاخرة كما خصص اسم الالحاد من ميل الى الباطل خاصة وان كان
هو الميل في موضع اللسان ولما كان الزاهد رغبته عن محبوب بالجملة لم تصور الا بالمعدوم الذي هو
احب منه والافتر المحبوب بغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله حتى الزاد ليس ولا
يحب الا الله فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ سوى الله حتى الزاد ليس ولا
في الاخرة بل يطلع في الحور والقصور والعواكه والانهار فهو ازهد زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك
من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه او يترك التوسع في الاكل
ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهد درجة من تورع عن بعض
المعاصي في الدنيا وهو مرجو كما ان التورع عن بعض المعاصي صحيح فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات
والزهد عبارة عن ترك المباحات التي لا حظ للنفس وللسعداء مقدر على ترك بعض المباحات
دون بعض كما لا يسعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات ليس زاهدا وان كان

قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن تخصص بعض هذه الاسم ترك المباحات فاذن الزهد عبارة عن
عن رغبته عن الدنيا عدولا الى الاخرة او عن غير الله عدولا الى الله وهي الدرجة العليا وكما شرط
في المرغوب اليه ان يكون خيرا عنده فيشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه فان تركا لا يقدر عليه
بحال وبالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك بما زهدت قال الزهد عن عبد العزيز اذ
جائة الدنيا راغمة فتركها وأما فيما زهدت وأما العلم الذي هو اشرف لمذة الحال هو العلم بكون المتروك
حقيرا بالاضافة الى الماخوذ كعلم الرجل بان العوض خير من المبيع فرغب فيه وهذا العلم لا يتصور
ان يزول الرغبة عن المبيع فكذلك من يعرف ان ما عند الله باق وان الاخرة خير وابقى لذاتها
خيرة في انفسها وابقى كما يكون الجوهر خيرا من الشبع مثلا وهي ابقى كما يكون الجوهر ابقى من الشبع والا يصبر على
مالك الشبع بيعه بالجوهر والا فهكذا مثال الدنيا والاخرة فالدنيا كالشبع الموضوع في الشمس لا يزال
في الذوبان الى الانقراض والاخرة كالجواهر التي لا فناء لها فبقدر قوة التقين والعلم في التفاوت
بين الدنيا والاخرة يقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون
ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال وابشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم فليس يحتاج
من العلم في الزهد الا الى هذه القدر وهو ان الاخرة خير وابقى وقد سمعت ذلك ممن لا يقدر على ترك الدنيا
اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه ولكونه مقهورا في يد الشيطان واما
لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما فيوما الى ان يختطفه الموت والى هذه الاسباع الاخيرة
يعود الغوث والى توقع خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى قوله تعالى

الآخرة الاشارة بقوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فحثه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو الذي يرغب عن عوضه ولما تصور الزهد لا بعوض ورغبة عن محبوب لاجل محبوب قال رجل في دعائه اللهم ارزقني الدنيا كما تحب فقال صلى الله عليه وآله لا تقل هكذا ولكن قل ارزق الدنيا كما يحبها الصالحون من عبادك وهذا لان الدنيا حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلال الحق حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا تصور ان يرى ما يلهي النفس والقلب عن ذكره كما يرى ما هو حشرات الارض لانه مستغنى عن الحشرات تماما وليس مستغنيا عن الدنيا والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله ويراها متفاوتة بالاضافة الى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واخذ لا بيع ومعاملة واستبدال الذي هو خير بالذي هو دون فكما ان العمل الصادر عن حق البيع هو ترك البيع واخراج الثمن من اليد واخذ العوض فكذلك الزاهد هو تارك لما هو في يده بالكلية وهو الدنيا باسرها مع اسبابها وعلائقها وعلاقتها فيخرج من القلب حبها ومن حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويواظب على اليد واللعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والاكتساب من سلم المبيع واما اخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجائز في الاخذ والترك فليبشر بدخول الذي باع فان الذي باع بهذا البيع وفى بالعهد ففي اسلم حاضرا في غايب وسلم الحاضر واخذ يسعى في طلب الغايب سلم الله الغايب حين اخترع سبب امكان العائد ثم وفى بصدقه وقدرته ووفاه بالعهد واداه سكان الدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك لم يصف الله تعالى الجنة ونعيمها في الزهد فان الزاهد لن يدخلها وان كانوا قد فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم عذاب الجحيم بما كانوا يعملون كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وغيرها على ابعاد

يوسف حتى تشتري اخاك معهم فترك ولا وصفه انه بالزهد في يوسف عند الفقر على اخراجه الا عند التسليم والبيع فعلامة الزهد الاسكاك وعلامة الزهد الاخراج قال الحرث عن الدنيا دون النصف فانت زاهد فما الحرث فقط ولست زاهدا مطلقا وان اكل لك مال ولم يساعدك الدنيا لم تصور منك الزهد لان ما لا تقدر عليه لا تقدر على تركه وربما تهوى بك الشيطان بغرور وتخيل اليك انه لو ان اتاك فانت زاهد فيه فلا تغتر ان تتدلى بحبل غروره دون ان تستظهر بوثوق علم من الله فانك اذا لم تجرب نفسك حال القدرة على الترك عند تمكنك من طلب نفسك لم تعلم انك عند تعذرها فلما تيسرت لك اسبابها من غير تكدر ولا خوف في الخلق تمتعت فيها واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فاكل وان شق بوعدها في المباحات والوثوق الغليظ ان تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بها وعدت على الدوام مع اتساع الصوارف والاعذار حينئذ بلطف الله لا بأس ان يثق بها وثوقا ما ولكن يكون مع تغيرها الى ضد على حذر فانما يرجع النقص للعهد فيه الرجوع الى مستقى الطبع والجبلة فلا امان منها الا عند الترك بالاضافة الى الماترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن ابي الدنيا قال ابن شبرمة الا ترى ان هذا ابن الحايك انفق في مسئلة الارد عليا اضعف قال ابن شبرمة لا ادري لهو ابن الحايك ام هو كل اهل الدنيا عدت اليه فاقرت منا وهربت منا فطلبنا هو لذلك حال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله انا نخشى ان نرتد ولو علمنا ان الله يحبنا لعلمنا حتى تركوا ما تركتم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله انه سيجيء على الناس زمان يحب المقل فقال وما عرفت ان فينا من يحب الدنيا حتى ترك قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة

يوسف

وليس في الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والمروة وعلى سبيل استمالة القلوب والاعلى سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لها في العبادات انما الزهد ان تركها لعلمك بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الاخرة فاما كل نوع من الترك يتصور من الاوس بالسوء بالاخرة فذلك قد يكون مروة ومروة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا اذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة ومن الدنيا فهو اخذ المال وكما ان ترك المال على سبيل الطعام العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالمروة والسخاء او استثقالا لما فيه من خطر الاموال من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل للملوك والاغنياء ليس من الزهد ايضا بل هو استجلاب حظ انما الشأن على الزاهد ان تنازعه الدنيا عصوا صعوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم وفوات حظ فتركها خوفا من ان تمنعه الدنيا بغير الله ومحبتا لما سوى الله وكون كل من احب الله عز اسمه اوثر كما طمعا في ثواب الاخرة فترك التمتع بالشهوة الدنيا طمعا في شهوة الجنة وترك التمتع بالسراري والقصور طمعا في الحور العين وترك التفرج في السباتين طمعا في الجنة واشجارها وترك الزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك لذائذ الاطعمة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من قول الله اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا فاترك في جميع ذلك موعد الجنة على ما تيسر من الدنيا عصوا صعوا العلم بان ما في الاخرة خير وابقى وما سوى هذا معاملات دنيوية لا جدوى لها في الاخرة اما بيان فضيلة الزهد فقال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا فجعل العلم وصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها

فوصف الزهد بانه من احسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وقال تعالى والا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال تعالى الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة فوصف الكفار بعلمهم بان الدنيا من صفة الذين يصدونه وهو ان يستحب الاخرة على الحيوة الدنيا والاختيار انما يرد على ما هو مقدور وهو الذي يتصف بضده وهو ان يستحب الدنيا على الاخرة وقد قال صلى الله عليه وآله من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له امره وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وآله اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه فانه يلقن الحكمة وقد قال الله تعالى ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واراك قبل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه وانطق به لسانه ومن بعض الصحابة انه قال قلنا يا رسول الله على الناس خير قال كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غش فيه ولا غل ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الاخرة ومعنى ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وآله ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للحب من الله فهو زهد على الدرجات فمعنى ان يكون الزهد افضل المقامات ومعنى انه ان يحب الدنيا ستة على بعض وفي خبر عن طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان في قلب عبد فاذا صار فاقتا في الايمان اقام فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وآله انا مؤمن حقا فقال وما حقيقة ايمانك فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني انظر الى الجنة والنار وكاني انظر الى عرش ربي بارزا فقال

كثير وقد منعنا في ذم الدنيا ربع ص

الايمان ٥ عرفت فالزم يا عبد نور الله قلبه فاعلم كيف بدا باطنها وحسنه الايمان فعروف النفس عن الدنيا وقربه بالتجافي وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وآله اذ قال عبد نور الله قلبه ابصر بها الايمان وعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله عن منشأ الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل لم ماهذا الشرح قال النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فاعلم كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهي التجافي عن دار الغرور وقال صلى الله عليه وآله استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحي قال ليس ذلك ولكن من استحيى فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليتذكر الموت والبلى ومن اراد الآخرة ترك زينة الدنيا فعليكم بالاعمال فان كنتم كذلك فالجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فيما غدا تضمحلون فجعل الزهد تكملة ايمانهم وقال جابر خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته فقال رجل ما اعظم هذا الرجل وما اعظم حرمته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لله اعظم حرمة منه المؤمن حي وميت ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث فمن هجر اخاه فوق ثلاث فمات دخل النار ومن هجر اخاه فوق ثلاث فلقيه لم يسلم عليه ولم يكلمه ولم يرد عليه سلامه فهو كقاتله ان مات على ذلك دخل النار ومن سلم عليه فلم يرد عليه سلامه فهو كقاتله ان مات على ذلك دخل النار ومن سلم عليه فرد عليه سلامه فهو كقاتله ان مات على ذلك دخل الجنة ومن هجر اخاه فوق ثلاث فمات على ذلك دخل النار ومن هجر اخاه فوق ثلاث فلقيه لم يسلم عليه ولم يكلمه ولم يرد عليه سلامه فهو كقاتله ان مات على ذلك دخل النار ومن سلم عليه فرد عليه سلامه فهو كقاتله ان مات على ذلك دخل الجنة ومن هجر اخاه فوق ثلاث فمات على ذلك دخل النار ومن هجر اخاه فوق ثلاث فلقيه لم يسلم عليه ولم يكلمه ولم يرد عليه سلامه فهو كقاتله ان مات على ذلك دخل النار ومن سلم عليه فرد عليه سلامه فهو كقاتله ان مات على ذلك دخل الجنة ومن هجر اخاه فوق ثلاث فمات على ذلك دخل النار ومن هجر اخاه فوق ثلاث فلقيه لم يسلم عليه ولم يكلمه ولم يرد عليه سلامه فهو كقاتله ان مات على ذلك دخل النار ومن سلم عليه فرد عليه سلامه فهو كقاتله ان مات على ذلك دخل الجنة

قال تعالى واذا العشار عطلت فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وغض بصره فقيل يا رسول الله لم اعرضت عنها فقال انه انسى ان لم انظر اليها فعلمت ان الله عز وجل قد نهاني عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به الآية وروي مسروق عن عائشة قالت قلت يا رسول الله الا تستطلع الله فيطعمك فقالت وكنت ملازمات بيتي يخرج فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهبا لأجرى شيئت من الارض وكنى اخترت جمع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها ومر الدنيا على حلوها يا عائشة ان الدنيا لا تسوي عند الله جناح بعوضة يا عائشة ان الله لم يرض لاولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض الا ان كلفني مثل ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم والله لاصبرن كما صبروا ولا قوة الا بالله وروي عن عائشة قالت لما ابتلي خصصه حتى ما في البيت احد اعلق الثياب اذا قدمت عليك الوفود من الآفاق وبرصعة طعام نظفوه وطعم من محرك هذا يا خصه الله تعالى ان اعلم الناس بحال الرجل اهل بيته فقالت فقد ناشدتك الله هل علمت ان رسول الله صلى الله عليه وآله البث في البيت ثلاثا كذا وكذا ان اشبع هو واهل بيته عذوة الا جاعوا عشية ولا شبعوا الا جاعوا عذوة وناشدتك الله تعالى هل علمت ان النبي صلى الله عليه وآله البث في البيت كذا وكذا ان اشبع هو واهل بيته حتى فني الله عليه خبزهم وناشدتك الله تعالى هل علمت ان رسول الله صلى الله عليه وآله قرب اليه يوما طعاما فاخذ منه ارتفاع وشوف ذلك عليه حتى تعرفوه ثم امر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دكان ووضع على الارض ناشدتك الله تعالى هل علمت ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينام على عباءة فتنصف له الليلة ما يجد ما يطويها طاقات فقام عليها فلما استيقظ قال فعلت قلت نعم يا رسول الله فقال انها هذه الليلة بهذه العباءة اشوها باثنتين فكرهت ان تشغلني وناشدتك الله تعالى هل علمت ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان ضيع يا بنة الفضل فاتته الليلة فعوضته بالصلوة فاتحل ثم يأخذ الى الصلوة حتى يلبس فتخرج فيه الى الصلوة وناشدتك الله تعالى هل علمت ان امرأة من ظفر صنعت لرسول الله صلى الله عليه وآله كساء ازارا ورداء وبعثت اليه بها فقبل ان يلبسه الا ان

ارسل الى الكوفة بجوائز فقسموها وارسل الى الفضيل بعشرة الاف درهم فلم يقبلها فقال لرسوله
قل له قبل الفقها وانت ترده على الكوفة فقبل الفضيل وقال الناس ما شاء ومشكل الكيل قوم
كانت لهم قرية يحرثون عليها فلما بلغت زجوها قبل ان لا ينتفعوا بحلها فكذلك انتم اردتم ان تجبى
على اكبر سني وترايا ايها جوعا خير لكم من ان تتزوجوا فضيلا وقال عبد الله بن عمير كان عيسى بن مريم
عليهما السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب لا يدخر لغد اينما ادركه المساء نام وقيل
امرأة ان جاز لزهاد الشام قرص عيش والا بدلنا من الطعام والشراب فما يحل فقال ابو حازم من زهد كله
ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله ثم الجنة او النار وقيل للحسن الا تغتسل فقال
الا ارجل من ذلك وقال ابو سليمان لو ان الدنيا بأسرها لقمة واحدة لكنت اشفق على العبد المؤمن حتى يفرغ منها
الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالقدم فاذا فرحت بالموجود فاتت حرص واذا حزنت على المفقود
فاتت بساخط والساخط معذب واذا سررت بالقدم فاتت بحزن والعجب يحبط العمل وقال ابن مسعود
رحمه الله ان من زاهد فلة خير لك من عبادة المتعبدين المجتهدين الى ان قال ابو الدرداء رضي الله عنه
بعض السلف نقرا على فما صرف عنا الكرى نقره فما صرف الينا وكانه التفت الى معنى قوله عليه السلام ان الله
يحب عبده المؤمن من الدنيا ويحميه كما يحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه واذا تم له على الدنيا
الفرح الى الموت الموت له الصحة خير من السقم والغنى خير من الفقر والموت خير من الحياة وكان الثوري يقول الدنيا دار الفتن
لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخائها ولم يحزن على شقائها وكان سهل الانحنى
العمل المتعبد حتى لا يرجو من احد شيئا ولا يخاف الا ذنبه وقال لحسن ان كنت اقواما ما هم صاموا
ولا صلوا حتى ظننا ان بعضهم لا يعقل ولا ناسهم اقبل على شر منها ادبر وكم من كانت عيشته اهنأ
وكان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطعم الرطب ولم يشبع قدر واحد من الاخر
شيئا ولا اخر منع نفسه بعض طعام فاذا كان الليل صاموا على اطرافهم مقترشون وجوههم محمرة دموعهم على

يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة دابوا في شكرها وسألوا الله ان يتقبلها واذا
عملوا سيئة اخرتهم وسألوه ان يغفرها لهم فلم ارجوا على ذلك محامد ما سلموا من الذنوب والخوف الا بالعفو
بيان درجات الزهد واقسامه بالاضافة الى المزهود عنه والى المزهود فيه اعلم
ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت على ثلاث درجات الدرجة السفلى منها ان يزهد الدنيا
وهو لها مشتهي وقلبه اليها مايل وهمته اليها ملتفت ولكن يجاهدها ويكلفها وهذا يسمى التزهد وهو مبدأ
الزهد وحق من اصل الدرجة الزهد بالكلية والاجتهاد والتزهد مذهب اولا نفسه تركيبه والزهد مذهب
اولا كيسه ثم مذهب نفسه في الطاعات على الصبر على مفارقتها والتزهد على خطر فانه ربما تعلق نفسه
وكذبه بشهوة مفقودة الى الدنيا والاستراحة بها في قليل او كثير الدرجة الثانية ان ترك الدنيا
كله طوعا لاحتقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي ترك درهما لاجل درهمان فانه لا يشق عليه
ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد ليس لانه زاهد وليست اليه كالذي باع
المسيح وملك اليه فيكاد يكون محاسبا نفسه ويزنه ويظن نفسه انه ترك شيئا قدرا لما لعظم
قدره منه وهذا انقص منصات الدرجات ويدل عليها ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى نفسه
اذ لا يرى انه ترك شيئا اذ عرف ان الدنيا لا شيء فكون كمن ترك خنفساة واخذ جوهرة فلا يرى
ذلك معاوضة ولا يرى نفسه بأن كاشفا بالاضافة الى الدر وفهم الآخرة اخس من خنفساة الى
جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد الذي من خطر الالتفات الى الدنيا
كالذي ترك الخنفساة بالجوهرة الذي من خطر الالتفات الى الخنفساة بالجوهرة الذي من خطر الالتفات الى الدنيا
تشكل قال ذا الزهد قال فذا الذي شق قال هذا الدنيا فنفض يده وقال ظننت انك تشكل شيء الدنيا لا
اي شيء تزهد فيه ومثل من ترك الدنيا للاخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات

يكتنها

والكاشفات مثل من منعه عز باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بها ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى انفذ اليه من جميع مملكته اقترى لنفسه عند الملك بلقمة خبز القناعة الى كلب فى مقابلة بانيا له فالشيطان كلب على باب القلب الذى حرص الانسان ان ابى ان يشبع وان يقنع والحجاب مرفوع والدنيا كلها خبز ان اكلها فلم تنقض حال المضغ وتنقضى على الترب بالابتلاع ثم يتعلق بالمعدة ثم ينتهى الى الثقب والعذرة ويحتاج الى اخراج الشغل فى غير كما لينال الملك كيف يلتفت اليها وفى الدنيا كلها اعنى ما يسلم لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهى الا لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كان تمادى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا زوال له الا بعد كلفة ومدة الم قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فانى نسبها الى نعيم الابد فاذن لا تلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الساذج بزهده والملتفت الى ما زهد فيه الا انه يراه شيئا معتدا به والا راه شيئا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه ايضا درجات اذ قد يتخيل المزهد مختلفة وتتفاوت ايضا بالقلة والكثرة فى الصورة وكذلك درجة المحب تزيد على قدر التفاته الى زهده واما انسانا الزهد بالاضافة الى المزهود فيه فهو يزيد على ثلثمائة درجات الدرجة السفلى ان يكون المزهود فيه الحياة من النار وسائر الآلام كعذاب النفس وتناقش الحساب وخطر الصراط وسائر ما هى من العقبات الا هوال التى ورد بها الاخبار اذ قد يظن الرجل نفسه فى الحساب حتى لو ورد مائة نعيم عطاش على عرقه لصدر به وا، فهذا زهد الخائفين وكانهم رضوا بالعذاب لو اعدموا فان الخلاص من الآلام يحصل بمجرد العدم الدرجة الثانية ان يزهد رغبة فى ثواب الله ونعيم الجنات الموعودة فى جنسه من الحور والقصور وغيره وهذا زهد المحبين فان هموا لا مانع كان الخير

قناعة بالعدم والخلاص من الآلام طمعا فى وجود دائم على نعيم قائم الآخرة الدرجة الثالثة وهى العليا ان لا يكون لرغبته الاول الله فلا يلتفت قلبه الى الآلام لتقصد الخلاص منها ولا الى اللذات لتقصدها والنظر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذى اصبح وسعيهم واحد وهو الموحد بحق الذى لا مطلوب غير الله تعالى الا من حيث هو عبد الله فقد عبده وكل مطلوب سيود وكل طالب عبدا لاضافة الى المعبود وطالب غير الله من الشرك الخفى وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف الدنيا وعرف الآخرة وعلم انه لا قدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدنيا فمن عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى القصور مع حضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا النظر والا ثر عنده ولا تظن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى حتى للذة الحور والقصور متذكرون فى علوم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الآخرة يغيم الاستيلاء على عصفور والعلم بالطالب للعلم بالعصفور الذى هو كالمعدوم عند اهل المعرفة وادراك القلوب كالصبى المشغول باللعب بالعصفور الذى ترك الملك وهو كالمعدوم عن ادراك لذة الملك لان اللعب بالعصفور قد تمكن من نفسه على وجه استيلاء يطرد الملك عن كافة خلوج واما انقسامها بالاضافة الى المزهود عنه فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه زيادة على ما ذكر فلا نشتغل بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى تعرف ان اكثر ما ذكر فى قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المزهود عنه بالزهد اجمال وتفصيل والمتفصل ينقسم بعضها الى شرح لآحاد الاقسام وبعضها الى جمع للجمل الى الاجمال فى الدرجة الاولى وهو كل ما سوى الله فينبغى ان يزهد فيه حتى يزهد فى نفسه وهو الاجمال فى الدرجة الثانية ان يزهد فى كل صفة للنفس فهى ستة وهذا تقاسيل جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها والاجمال فى الدرجة الثالثة ان يزهد فى المال والجاه واسبابها اذ اليها مع حفظ النفس وفى الدرجة الرابعة ان يزهد فى العلم

انجم كلمة ملك اللذة والاستيلاء على الاطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء

والمقدرة والدنانير والدراهم والجاه وان كثر اسبابه فرحان العلم والقدرة واغنى كل عالم وقادر مقصود ما ملك التقدير
اذ معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها كالمال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل
الى شرح وتفصيل آخر من هذا فسكادخل فيما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى منه آية واحدة بينها
قال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا ثم رده الى آية اخرى الخسيس فقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده الى شئ معلوم وهو الحيوة الدنيا لا
لعب ولهو ثم رد الكل الى موضع واحد فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالهوى لتقاضي جميع
حظوظ النفس في الدنيا فصح ان كون الزهد فيه واذا عرفت هذا الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض
من هذه الاخلاق البعض وانما اختلفت في الشرح مرة والاجمال اخرى والحاصل ان الزهد عبارة عن الزعن
حظوظ النفس كلها وبها عبر عن حظوظ النفس عبر عن الفاني الدنيا فقصر اللفظ الاخير لانه يريد البقاء لتتم
التمتع الدائم فاراد البقاء فان من اراد شيئا اراد دوامه والمفني لطيب الحيوة الاحب دوام ما هو موجود او كمال
في هذه الحيوة فاذا زعت عنها ان يريد طولها لذلك ملكت عليهم المثال فانا اذا كنت علينا المثال لو الترتنا
الى الحال تعجب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل الى آخر لستم تريدون البقاء الا الى متاع الدنيا فطهر عند ذلك ان الزهد
وكذلك حال المنافقين اما الزاهدون المحبون مدة قاتلوا في سبيل الله كانهم بنيان مرصوص واشتروا الله
الحسنين وكانوا اذا دعوا الى القتال يستشقون رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء
البارد وهما على صورة دين الله او سبيل سنة الشهادة وكل مرتبات منهم على قرابته تحت عاقبة الشهادة
حتى ان فاضل الوليد لما حضر الموت على فراشه كان تحته عزيز وهو يحرك على الصوف فقال له
وانا الآن اموت موت العجائز فلما مات وجد على جسده ثمانون ثقبة من اثار الجراحات تحكد كان طلى
الصادقين الايمان رضي والمنافقون خوفا من الخوف خوفا من الموت فتقل لهم ان الموت الذي تفرون منه

فانه ملاقيكم فاشاروا بالبقاء على الشهادة استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين واما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم انفسهم و
اموالهم بان لهم الجنة فلا راوا انهم تركوا متاع سنة او ثلثين بمتاع الابد استبشروا وابشروا بالفوز
وهذا بيان الزهد فيه واذا عرفت هذا علمت ان اذكر الكلون في حد الزهد اشيرا بانه الافضل اقسامه
فذكر كل واحد مما اراه غالبا على نفسه او على من كان يخاطبه فقال بشر الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذا
اشارة الى الزهد الجاه خاصة وقال فاسم الحوى الزهد في الدنيا هو الزهد في الحوف فقد رأيت من
عظمت عليك مؤنة الزهد وهذا اشارة الى الزهد في شهوة واحدة ولعلي اعلم الشهوات على الاثرى
المهيج الاكثر الشهوات وقال الفضيل الزهد هو القناعة وهو اشارة الى المال خاصة وقال الثوري
الزهد هو قصر الامل وهذا جامع على الشهوات فان قصر الامل يقطع عمل الا الشهوات بحدث نفسه بالبقاء طول العلم
ومن قصر الامل فكانه زهد عن الشهوات كلها وقال الوسيلي الزهد ترك طلب الزهد وهذا اقصد عبد الحد الزهد
ولكن جعل التوكل عوض الزهد وقال الوسيلي ايضا الزهد هو ترك الطلب للمقصود وهذا اشارة الى الرق
وقال اهل الحدث الدنيا انما هو العمل الاثم والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم وافضل السنة وهذا ان
اريد به الى الفاسد والمعقول الذي طلب الجاه في الدنيا فهو صحيح والكنه اشارة الى بعض الجاه خاصة
اوالى بعض ما هو من فضول الشهوات فاخ للعلوم ما الافادة فيها والا فالزهد وقد طول الحتى يتقضي عمر الانسان
في الاشتغال بواحد منها فشرط الزاهد ان يكون الفضول اول عزب عنه عنده وقال الكل الزهد الزهد
اذا راى احدا قال هذا افضل مني فذهب الى ان الزهد هو التواضع وهذا اشارة الى بعض الجاه والكبر
وهو بعض اقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال وعلى هذا من قال الزهد هو ترك الطلب كما قال
ليس من الله ان اراد طلب الحلال فكان يريد به ترك الطلب للحلال وترك الشهوات و
اكل الخبز بالملح فهذا اخذ باصل الزهد وقال ورد ما قلناه فلم نزل نسلة فائدة قال طلب

ان يحتملوا فيما يخرج عن الاعتدال والتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انصرف من بيت فاطمة بسبب
ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذن ما يضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس بمحذور بل الزائد
على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزيادة وان لم يكن سما
قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو دواء وان لم يكن دواء ناجعا ولكنه يسير الضرر والسم محظور شربه والدواء فرض
تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه
وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على
الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من
جملة المشروط ويدل عليه ما روي ان ابراهيم عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرض منه شيئا فلم يقرضه
فرجع مهموما فاوحى الله تعالى اليه لو سألت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسألك
فاوحى الله اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذن قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الآخرة وهو في الدنيا ايضا كذلك
يعرفه من يخبر احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته به
ان يسلم لورثته فيأكلونه وربما يكونون اعداء له وربما يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك
شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتله ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا
فيهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه قال الشاعر الم تر ان المرء طول حياته * معنى بما لا يزال يعالجه
كدود كدود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فانما
يحكم على قلبه بسلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فتقيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة
الاعداء ومراءاة الاصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلو خطر له انه قد اخطأ فيه وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر
وراى قلبه مقيدا بسلاسل واغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوبا من محابه باختياره كاد ان يكون قاتلا لنفسه

وساعيا

وساعيا في هلاكها الى ان يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة فتبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي
هي فاتته وخلفها فهي تجاذبه الى الدنيا ومخاليب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه الى الآخرة
فيكون اهون احواله عند الموت ان يكون مثل شخص ينشر بالمناشير ويفصل احد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة
من الجانبين والذي ينشر بالمنشار انما ينزل المؤلم ببدنه ويتألم من حيث يسري اثره الى قلبه فكذلك الظن الالم
بالألم الذي يتمكن اولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره فهذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من
حسرات فوت النزول في اعلى عليين وجوار رب العالمين فبالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى
وعند الحجاب يتسلط عليه نار جهنم اذ النار غير مسلطة الا على محجوب قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم فرتب العذاب بالنار على الم الحجاب والم الحجاب كاف من غير علاوة النار
اسماعنا فكيف اذا اضيفت العلاوة اليه فنسأل الله تعالى ان يقربنا مما نفثه في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قيل له احبب ما احببت فانك مفارقه وعلى الكشف لاولياء الله ان العبد يهلك نفسه باعماله واتباعه هوى
نفسه اهلاك دود القز رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رأيت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد
منكم فيما حرم الله عليكم ومن لفظ آخر كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم لقلتم مجانين
ولو راوا اخياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو راوا اشراركم لقالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب
وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول اخاف ان يفسد علي قلبي فمن كان له قلب
كان يخاف من فساده والذين امات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله عنهم اذ قال ورضوا
بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون وقال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا
واتبع هواه وكان امره فرطا وقال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم
احال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام احملني معك في سياحتك فقال اخرج

ملك والحسنى قال لا تطيعوه فقال عليه السلام يحب دخل الغنى الجنة او قال بشدة وقال صلعم ما نوم
فرشارقه الا واربعة املاك سنادون في الافاق باربعة اصوات ملكان بالمشرق وملكان
بالمغرب يقول الصديق يرحم المشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول الآخر اللهم اعط منفقا خلفا
واعط ممسكا تلفا ويقول للذان في المغرب ويل للدنيا من الموت وويل للآخرة من الدجال ويقول الآخر كلوا واشربوا هنيئا
بيان علامات الزهد اعلم انه قد ظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال والنهار
الخشونة سهل على من احب المدح بالزهد فكم من الابيس رد والانفس كل يوم على قدر مرير الطعام
والازواد بالاباء لي وانما سر تهم معرفة الناس حالهم وتطريهم اليه ومدحهم له فذلك الدال على الزهد
دلالة قاطعة بل الابدان الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد بل جميع حظوظ النفس من الدنيا بل
قد يدعي جماعة الزهد من لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذا قال
وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من الثياب يموهون بتركك على الناس ليهدي اليهم مثل لباسهم لبسا
ستر الهم بالعين التي تغر بها الى الغرائب فخرقوا فيها كما يفعل المساكين ويحزنون الانفس لباسا
والبسهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما ناخذون بعلم عزيمة هذا الطريق
بالحقائق والخلوات الى المضايق وكل سر لا تكفله الدنيا بالدرس لا يعنو استصغارا لسرائر والتهذيب
اخلاق نوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فعلتهم فادعوا حالا لا هم مالون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا
كلام الخواص فاذن معرفة الزهد مشكل بل حال الزاهد على الزهد مشكل ومنهم ان يقول ذو باطن علمت
علامات الاول ان لا يفرح بموجود ولا يحزن بمفقود كما قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم
بل ينبغي ان يكون بالحق سرورهم بموجود المال ومفرح بفقده والثاني ان لا يستوي عنده ذامه
وحامده فالاول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه والثالثة ان يكون ثناء الله تعالى والقرب

على قلبه حلاوة الطاعة اذا لحلو القلب عن حلاوة المحبة الدنيا واما محبة الله ورجاء القلب كالماء
والهواء في القدح فاذا دخل خرج الهواء والاحتفان وكل من انس بالله استوحش بهم واشتغل بغيره
ولذلك قيل لبعضهم الى ما ذا تضيق بهم الزهد فقال الى الانس بما سوى الله والانس بالدنيا وبالناس جميعا فلا احتفان
وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما واذا تعلق الايمان
بمسويد القلب وباشر بعض لذة الدنيا فلم يتطرق اليها والميل اليها ولهذا ورد في دعاء ادم عليه السلام
اني لسائل اياك بما تشرقلبي وقال ابو سليمان من شغل نفسه بشيء فرغ الناس منه فهو اشغل الخلق
شغل بربه شغل نفسه بغيره اصل العارفين والزهاد ان يكون واحد عند العامة والعلماء
ان الشغل بالله يستغرق عندهم الهم والغم والوجود والعدم والاستدلال بالله
من المال على قدره اصل قال ابن الجوزي وقد كان سليمان كان داود الطائي زاهدا وهو يسكن
الدنيا فقال الزهد ترك ما يشغلك عن الله وقال ابو سليمان الزهد ان لا يملك شيئا ولا يملكه شيء
النفس والزهد الا ان الزهد فيها فكل من ترك من الدنيا شاء اقدر عليه جوعا فاعلى قلبه وعلى جسمه
فلم يدخل في الزهد بقدر ما ترك وانما ترك ان ترك كل ما سوى الله حتى لا يستحي على الطعم وغايته وان كان قطع الجاه من افضل
ان يرزقنا من مباديه نصيبا وان قال ان لا يستحي على الطعم وغايته وان كان قطع الجاه من افضل
الله عنا ذلك فيه واذا الاحظنا بحالنا فنعم الله علينا علمنا ان الله لا يستحفظ امرا فلا يسعدان يفظ السوء ان
اعتماد على الجوع والتجوز لكل كمال فاذن علامة الزهد استواء الغنى والفقر والعز والذل والمدح والذم الاخر
غلبة الانس بالله وسئل عن هذه العلامات علامات اخر لانه سئل ان ترك الدنيا والمال من اخذ
وقيل علامة ان ترك الدنيا كما هي فلا تهول الغرباطا وامرا مسبدا وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد
الشحا بالوجود وقال ابو حفص علامة وجود الراحة في الخروج من الملك وقال الفضيل الزهد

ترك الدنيا

كتاب
التوحيد والتوكل
وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين
بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك وتعالى رزقه منه بالمؤمن ويطول الكيلا يفقروا بانفسهم وعيالاتهم منهم الضعفاء الصغار والولدان والشيخ
الفاني والعجوز الكبيرة الذين لا يصبرون على الجوع فان تصدقت برغيفي ولا رغيف لي غيره ضاعوا
وهلكوا جوعا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله خمس تمرات او خمس قرص او دنانير او دراهم يملكها
الانسان وهو يريد ان يمضيها فافضلها ما انفقه الانسان على والديه ثم الثانية على نفسه وعياله
ثم الثالثة على قرابته الفقراء ثم الرابعة على جيرانه الفقراء ثم الخامسة في سبيل الله وهو اخسها
اجرا وقال صلى الله عليه وآله للانصاري حين اعتق عند موته خمسة او ستة من الرقيق ولم يكن يملك غيرهم
وله اولاد صغار لو اعلمتموني امره ما تركتكم تدفنونه مع المسلمين ترك صبية صغارا يتكففون الناس ثم قال
حدثني ابي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ابدا بمن تعول الادنى فالادنى ثم هذا ما نطق به الكتاب
ردا لقولكم ونهيا عنه مفروض من الله العزيز الحكيم قال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما افلا ترون ان الله تبارك وتعالى قال غير ما اراكم تدعون الناس اليه من
الاثرة على انفسهم وسمى من فعل ما تدعون الناس اليه مسرفا وفي غير آية من كتاب الله يقول انه لا يحب
المسرفين فنهاهم عن الاسراف ونهاهم عن التقتير لكن امر بين امرين لا يعطي جميع ما عنده ثم يدعو الله
ان يرزقه فلا يستجيب له للحديث الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وآله ان اصنافا من امتي لا يستجاب لهم
دعاؤهم رجل يدعو على والديه ورجل يدعو على غريم ذهب له بمال فلم يكتب عليه ولم يشهد عليه
ورجل يدعو على امراته وقد جعل الله عز وجل تخلية سبيلها بيده ورجل يقعد في بيته ويقول
رب ارزقني ولا يخرج ولا يطلب الرزق فيقول الله عز وجل له عبدي الم اجعل لك السبيل الى الطلب
والضرب في الارض بجوارح صحيحة فتكون قد اعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتباع امري و
لكيلا تكون كلا على اهلك فان شئت رزقتك وان شئت قترت عليك وانت معذور عندي
ورجل رزقه الله مالا كثيرا فانفقه ثم اقبل يدعو يا رب ارزقني فيقول الله عز وجل الم ارزقك رزقا

واسعا

واسعا فهلا اقتصدت فيه كما امرتك ولم تسرف وقد نهيتك عن الاسراف ورجل يدعو في قطيعة رحم ثم علم الله نبيه
كيف ينفق وذلك انه كانت عنده صلى الله عليه وآله اوقية من الذهب فكره ان تبيت عنده فتصدق بها
فاصبح وليس عنده شيء وجاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه فلامه السائل واغتم هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيما رقيقا فادب الله
تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بامره فقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا يقول ان الناس قد يسألونك ولا يعذرونك فاذا اعطيت جميع ما عندك من المال كنت قد
حسرت من المال فهذه احاديث رسول الله يصدقها الكتاب والكتاب يصدقه اهله من المؤمنين وقال ابو بكر عند
موته حيث قيل له اوص فقال اوصي بالخمس والخمس كثير فان الله عز وجل قد رضي بالخمس فاوصى بالخمس وقد
جعل الله له الثلث عند موته ولو علم ان الثلث خير له اوصى به ثم من قد علمتم بعده في فضله وزهده
سلمان الفارسي رضي الله عنه وابو ذر رحمه الله فاما سلمان فكان اذا اخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته
حتى يحضر عطاؤه من قابل فقيل له يا ابا عبد الله انت في زهدك تصنع هذا وانت لا تدري لعلك تموت
اليوم او غدا فكان جوابه ان قال ما لكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم علي الفناء اما علمتم يا جهلة ان النفس
قد تلتاث على صاحبها اذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه فاذا هي احرزت معيشتها اطمانت واما ابو ذر فكانت له
نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها اذا اشتهى اهله اللحم او نزل به ضيف او راى باهل الماء الذين هم معه
خصاصة نحر لهم الجزور او من الشياه على قدر ما يذهب عنهم بقرم اللحم فيقسمه بينهم وياخذ هو كنصيب واحد
منهم لا يتفضل عليهم ومن ازهد من هؤلاء وقد قال فيهم رسول الله ما قال ولم يبلغ من امرهما ان صارا لا يملكان
شيئا البتة كما تامرون الناس بالقاء امتعتهم وشيئهم ويؤثرون به على انفسهم وعيالاتهم واعلموا ايها النفر
اني سمعت ابي يروي عن آبائه ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوما ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن انه
ان قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيرا له وان ملك ما بين مشارق الارض ومغاربها كان خيرا له
وكل ما يصنع الله به فهو خير له فليت شعري هل يحيق فيكم ما قد شرحت لكم منذ اليوم ام ازيدكم اما علمتم ان الله
قد فرض على المؤمنين في اول الامر ان يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين ليس له ان يولي وجهه عنهم ومن

(٢١) الانبياء علیهم ... حیران ... التزام ... لهو اللحم

كتاب التوحيد والتوكل وهو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المدبر للملك والملكوت المتفرد بالعز والجبروت الرافع للسماء بغير عماد الممتدر فيها ارزاق العباد الذي صرف اعين ذوي القلوب والالباب عن ملاحظة الوسائط والاسباب الى مسبب الاسباب ورفع هممهم عن الالتفات الى الاعلام والاعتماد على مرسوماتها فلم يعبدوا الا اياه علما بانه الواحد الفرد الصمد الاول والحق بان جمع اصناف الخلق عباد امثالهم لا يبتغي عندهم الرزق وانه ما من دابة الا على الله رزقها فلما تحقق انه ارزق عباده ضمن وبه كفيل توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلوة على جامع الاباطيل الهادي الى السواء السبيل وعلى آله واصحابه وسلم كثيرا اما بعد فان التوكل تراه من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من احوال درجات المقربين ومنهل فائض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث انه من الاحوال القلبية والاعمال الباطنة ولا اطلاع للناس عليها الا بشرح في التوحيد والتباعد عنها بالكلية طمعا في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان ترى الاسباب بالعين بل هو وجه العقل والنفاس في غمرة الجهل وتحقق معنى التوكل على وجه يتوافق به التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والعسر والالتواء على كشف الغطاء شدة يخفى الاكثرون العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بانوار اليقين فابصروا وذاقوا حقائقها فطفقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استطعموا ونحن الآن نبدء بذكر فضيلة التوكل على سبيل المقدمة ثم نرد فيه التوحيد في الشطر الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل ومحله في الشطر الثاني

بيان فضيلة التوكل

اما من الآيات فقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين فاعظم بمن هو محبوب الله حسبه ومكفول بكفاية الله طالب من الله حسبه وكافيه ومحسبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب والمحبة والتوكل وقد قال الله تعالى الليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية بغير الله محروم وقال تعالى للمتوكل عليه وهو الملك بيده الآية فانه سؤال من موصول استنطاق بالحق كفوله تعالى لمن الملك اليوم حين لا يدعي احد شيئا فكيف حين يدعي الكل شيئا وقال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من توكل

تحقيق

تعليل

ولا يضيع من لا ذبحانه وتعالى فماره وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى ان الذين
تدعون من دون الله عبادا امثالكم ان كل من سوى الله عبد سخر حاجته بمثل حاجتك فكيف يتكل عليه قال
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقد قال تعالى ولله خزائن
السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال تعالى يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وكل ما ذكر في
القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار واما الاخبار فقد قال صلى الله
عليه وآله فيما رواه ابن مسعود رأيت الامم بالموسم فرأيت امتي قد ملأوا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم ورضيا نهم فقيل لي
ارضيت قلت نعم قال مع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فقيل من هم يا رسول الله فقال الذين لا يكتوون
ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال
اللهم اجعله منهم فقام اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله سبقك بها عكاشة وقال
صلى الله عليه وآله لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال اصل الله
من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وآله انه كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة يا بلال يقول بهذا امرني ربي قال تعالى وامر اهلك بالصلوة
واصطبر عليها وقال صلى الله عليه وآله لو توكل من اكثرة والكنوز ورد عنه انه لما قال جبرئيل عليه السلام لابرهيم وقد رمي في النار
من لخلقك اكذ حاجة فقال اما اليك فلا وفاء بتوكلي حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ترمى وروي عن
الى ارعوديا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا وفي الاثار قال
سعيد بن جبير لما عني عتب فاقصت على اسمي التي قيل فتاولت الرماق هي التي لا تدع ذا الحوائج وقال تعالى
وتوكل على الحي الذي لا يموت قال الحرث قال ابو منبه للعبد بعد هذه الاية ان يلجأ الى احد غير الله وقيل لبعض العلماء
في منامه من وثق بالله وعد احرز قوته وقال بعض العلماء لا شغلك المضمون لك عن الرزق غير المرزوق عليك
من العمل فضيع امر اخرتك في التماس امر الدنيا التي قد تكفل الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق
من غير طلب دليل على ان الرزق ما مر ربك العبد وقال ابو سليم بن ادهم حالت بعض الرمال بين بدني وبين طعامي

فقال ليس هذا العام عندي ولكن سل بن ابن يطعمني وقال ابو سليمان الداراني لو ايس الموقن ان ما للرزق
فاوصل الى الشام قال لم يكن الميسة بها قال ولست لهذه الغرفة قد خاطها الله عليه
وقال الصحيح متى وضعت يدك وجدت الكل مرصدا

بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل

اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم
علم هو الاصل ومن عمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الاصل وهو
المسمى ايمانا فاصل الايمان اذا الايمان هو التصديق وكل تصديق بالعلم فهو علم واذا قوي سمي يقينا وكل
ابواب اليقين كثيرة ونحن نحتاج منها الى ما يبتني عليه التوكل وهو التوحيد الذي اترجم به كتاب التوكل لان التوكل
وحده لا يشرك له والايمان بالقدرة التي ترجم عنها كتاب الملك والايمان بالوجود والحكمة الذي هو كتاب
الملك والملهوت وهو على كل شئ قدير فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الملهوت وهو على كل شئ قدير
فقد تم له الايمان الذي هو اصل التوكل الغني ان يصير معنى هذا القول معتقدا الازما التقلبا عالبا فالتوحيد
هو الاصل والذي فيه طويل وهو عسير على المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات تتلقى بالاعمال بواسطة
الاحوال ولا يتم العلم الا بها فاذن لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالعلم والايمان والتوحيد هو المحض
الذي لا سبيل له فنقول للتوحيد اربع مراتب وهو منتسم الى لب ولب اللب والى قشر وقشر القشر ولنمثل لك
ذلك بالاقسام الصحيحة بالجوز فقشرته العليا فان لقشرتين ولب اللبتين هو اللب
فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافقين
والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عوام المسلمين وهو اعتقاد وافاشة ان شاء ذلك بطريق
الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة لكن يراها صادرة من
الواحد القهار والابعد ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين وهو الصورة الغالبة على التوحيد
لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ولم واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه
في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه فالاول موصوف باللسان والصحيح والصاحب في الرسالة على السيد والسان

والثاني موجود في مستعد بقلبه خال عن الكذب بالعقد عليه بقلبه وهو عقده على القلب لان شرح الانشراح وانفتاح وكلمة تحط صاحبه عن الغوارب الاخر ان فوق عليها والمضعف بالمعالجة عقدتها ولهذا العقد حيل تقصد بها تضعيفه وتحليله التي يدعى بها رفع حيلة التحليل والتضعيف وتقصد بها ايضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب ولسر كلاما والعارف بالسر كلاما ومن تمام المشروع يقصد دفع المشروع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد حيث انه يجري كلامه مع لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تحل عقدته واما ان هذا يعني ان يشاهد الاشياء واحدا واذا انكشف له الحق كما هو عليه الامر كلف قلبه ان يعتقد على مفهوم اللفظ الحشفة فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين الذين فارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة يتلقى الكلام الذي به يدفع حيل المشروع في تحليل هذه العقدة والامر موجود يعني انه لم يحضر في شهود غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى من التوحيد فالاول الكثرة العليا من الجوز والثاني كالكثرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان الكثرة العليا لا خير فيها بل ان اكلت فيها مرارة الذاق وان نظرت الى باطنها فهو كريه المنظر وان اتخذ خطيا الطفت النار وكثرت الدخان وان تركت في البيت ضيقت المكان فلا تصلح الا ان تترك مدة على الجوز للصوان ثم ترمى فكذلك التوحيد مجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ الكثرة السفلى الى وقت الموت والردة السيئة من التعلب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لا يجرون الا على القلوب والسيف انما يصيب جرم البدن وهو القشر وانما تحد عنه الموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما ان الكثرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى الكثرة العليا فانها تصون اللب عن التلف عند الادخار واذا فصلت امكن ان ينتفع بها حطبا لكنه نازلة القدر بالاضافة الى اللب كذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بالنور

الصدر وانشراحه بانشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو الذي اراده الله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقوله تعالى الذي شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما ان اللب يسبق قشره بالاضافة الى القشر وكما انه المقصد ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال لكنه لا يخلو عن شوب ما لحظ الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا الواحد وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان هذا غاية علوم المكاشفات واسرار الامور ان يستظهر فيه كتاب قد قال للعارفين اغشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة فغير ذكر ما لا يكون استبعادك ممكن وهو ان يكون الشيء كثيرا بنوع مشابهة واعتبار ويكون واحدا بنوع اخر من المشابهة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير ان التفت الى اعضاء جسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه وهو باعتبار اخر مشاهدة الشيء واحدا اذ يقول انا انسان واحد وهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص شاهد انسانا واحدا كثيرا اعضاءه وعروقه واطرافه وتفصيل رؤوسه وجسده والذي عليها فهو بحال الاستغراق والاستهتار مستغرق بواحد ليس في تفرق فكانه لم ير الجسم والمتصف الى الكثرة في تفرقه فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق الى اعتبارات ومشاهدات كثيرة يختلف فيها باعتبار واحد من حيث الاعتبارات واحد وباعتبارات اخر مشاهدات كثيرة بعضها اشد كثرة من بعض ومثال الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه بالجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا وعند هذا الكلام ترك الانكار والمحجوج لتمام تلبيسه وتوهين به ايمان تصدق فيكون ذلك من حيث انك من هذا التوحيد قريب وان لم يكن ما انت به صنعك كالذي انت عليه وان كنت بينهما كان لك نصيب بقدر قربك وهذه المشاهدات التي لا نظر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تعاد كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر غير ولي هذا الامر الجمع بين حضور الحلاج مع الله في الخوض بدوق الاستغراق حتى ضاع ذاته عن ادراك الاشياء الا الحق تعالى شأنه التوكل وقد كان من التوكلين فقال انا الحق

وقد اختلف مشرك في ان الكتاب فاين التفاق التوحيد فكان الخواص فتصحيح المقام الثالث من التوحيد
عطا ليلة المقام المليح وذلك مقامات التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلابد لمن يريد ان يعتقد ايمانا
كيفيا بتبتا التوكل عليه فما قولك في الاقوال الخوض في ذلك وليس التوكل امرا مبتنيا عليه بل يحصل حال
التوكل التوحيد الثالث واما الاول وهو التفاق فهو واضح واما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في العوام المسلمين
وطريق تاكيده بالكلام ودفع حيل المتشبهة فيه ذكرناه في علم الكلام وقد ذكرنا في الاقتصاد في الاعتقاد القدر المحتاج
واما الثالث وهو الذي يتلى التوكل عليه اذ هو التوحيد بالاعتقاد لا ورث حال التوكل فلذكر منه القدر الذي
يرتبط التوكل به دون تفصيل الذي لا يحتمله اشتمال هذا الكتاب ومحاصله ان يكشف لك ان الفاعل
الا الله وان كان كل موجود من خلق ورزق وعطاء وصحة وموت وغنى وفقر فهو ذلك بما يطلق عليه
اسم فالفقر وبعد واخراجه هو الله تعالى الشريك فيه واذا انكشف لك انه لا ضر الا من عزيز بل كان منه وكف
واليه رجاك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون الاستقلال
لهم بتحريك ذرة في ملكوت السموات والارض واذا انفتح لك ابواب المكاشفة اتضح لك ان انفتاحا تام
من المشاهدة بالبصر وانما صدر الشيطان عن هذا التوحيد هو منتهى يتسنى ان تتعلق الى ملكوت
الشرك احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات اما الالتفات الى الجماد
كما عاد ك الى المطر في وجه الزرع ومنافاته ومنافاته وعلى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اهلاك الغلة وعلى
الريح في استواء السفينة وسيرها واما الشرك في التوحيد وجهل بحقايق الامور ولذلك قال تعالى قل ادعوا
الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا فهم يشركون قبل معناه انهم مقولون لو الاستواء
الريح للماء كونا من كشف لهم العالم كما هو عليه علم ان الريح هواء والهواء لا تحرك بنفسه ما لم يحرك وكذلك
تحريكه وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا تحرك له ولا هو محرك في نفسه فالتفات العبد الى الجماد
مالم يتضاعى التفات من اخذ تحريك ذلك الملك وقعا مالعفو عنه وتخليته فاخذ يشغل
بذكر الحجر والكاغذ والقلم الذي يكتب التوقيع وقول لو ان القلم لم تخطت يد زيد بخاتم من القلم

لان تحرك القلم وسكونه للجهل ومن علم ان القلم لا حكم له من نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه
ولم شكر الا الكاتب بل ربما يشتغل فرح النجاة وشكر الملك الكاتب عن ان يخطر بباله القلم والحبر
والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخر في قبضة القدرة كتسخر القلم
في يد الكاتب بل هذا التشاغل فضلا عن الاعتقاد كان الملك الموقع هو كان التوقيع والمحل الذي هو الكاغذ
كما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات
تحت قهر الله تعالى وتصرفه عنك الشيطان حابا واديس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فتهلك الهلاك الذي
وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية وتقول كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان
يعطيك ويمنعك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يخرج رصتك ويسيء
ويهوى عليك فان شاء حبرك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخاف ولا ترجوه وامرك بيده وانت
تشاهد ذلك ولا تشك فيه وتقول افهم ان كنت لا ترى القلم الذي مسخر تكليف لا ترى الكاتب بالقلم وهو مسخر له
وعند هذا زل اقدام الاكثرين من الناس الا عباد الله المخلصين الذين الاسلطان لابليس عليهم الا من شاء وهو
بنور البصيرة كون الكاتب مسخرا مضطرا كالشاهد جميع الصنعة كون القلم مسخرا ومعرفة ان غلط الصنعة وذلك
كغلط القلم مثلا لو كانت تدب على الكاغذ فراى راس القلم اسود الكاغذ وابيض بصره الى البياض الا لان
فضلا من جلب اليد فظن ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصره عن مجاوزة راس القلم
ليضع حد قصره فكذلك من لم تنشرح بنور الله صدره وقصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض
وشاهده كونه قهارا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل ارباب القلوب
والمشاهدة قد انطق الله كل ذرة في الارض والسموات بقدرته التي انطق بها كل شيء حتى
سمعوا تقديسها وتسبيحها وشاهدوها على انفسها بالعجز بلسان ذلق بكلام لا حرف ولا صوت لا يسمعه
الا من هو من السمع معزولون ولست اعني به السمع الظاهر الذي الحجاب فيه الاصوات فان الحائر شريك في

لك ايضا

ولا قدر لما شاركه فيه البهايم وانا اريد به سعادة درك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عرض ولا عرض
فاني قلت هذه العجوزة الاقبلها العقل فصف لي كيف نطقت وانها كيف نطقت وكيف سجعت
وقدرت وكيف شهدت على نفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع ارباب
العقول منها حاجة في السر وذلك ما لا يحصره الا متناهي فانها كلمات لستدرس بحر كلام الله الذي لا نهاية له
ولو كان البحر مداد الكلمات ربي لتفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا انها مناجي
باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لوم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رايت قط امينا على
اسرار الملك قد نوجي بخفايا ه فنادى على الملا من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما قال صلى الله عليه وآله
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان مذكر ذلك ليم حتى يبكوا ولا يضحكوا ولما نهى عن افشاء
سر القدر وعما قال في ذكر الخوض فاسكتوا اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا
فلما خص من بعض الاسرار فاذن بعض حكايات مناجاة ذوات الملك والملكوت لعلوب
ارباب المشاهدات ما فعان اعدها استحي اذا فشا الرواني خروج كلمتها من البحر والنهاية وكما
في المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم تحكي مناجاتها قدر اليسير انهم على الاجمال كتبنا السؤال على
ورد كلماتها الى الحروف والاصوات وان امكن حروفا واصواتا ولكن هذه عجوزة التهم فتقول كل
بعض الناظرين في شكاة نور الله تعالى للكاغذ وقدراه اسود وجهه بالحبر فعال الكاغذ ابيض وجهك كان الصبغ
مشرقا والان قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك والسبب في فعال الكاغذ ابيضتني في
المطالعة فاني ما سودت وجهي شيئا لكن سل الحبر فانه كان محبوسا في الحبرة التي هي مسودة وطنه فساءه
عن الوطن وترك اساحتي ومسودوجهي كلما وعدوانا فعال صدقت فسال القلم على الكاغذ
وعدوانه واخراجه الحبر عن لك فعال ابيضتني فاني كنت في الحبرة وادعاسا كنا عاريا فاعا
ان لا ابرح منها فاعتدى علي القلم مطيعا الفاسد واختطفني من وطني واجلاني عن بلدي

وترق جمعي وبدد لي كلامه على ساحة بيضاء فالسوا عليه الاعلى فعال صدقت ثم سال القلم على السبب في ظلم
وعدوانه واخراج الحبر من اوطانه فعال اصل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار مترنما
بين حضرة الاشجار فاتى اليد بسكين فجتى عني قشري وزوقني على ثياب واقتلعني من اصلي ومضلت
انا بنبي ثم برائي وشقني راسي ثم غمسني في سواد الحبر مرارا وهو فاتستدمني وعشيني على قرطاس ملقد
نثرت الملح على جرحي بسوالك وعتابك فتحت عني وسل من قراني فعال صدقت ثم سال اليد عن ظلمه على
القلم واستخدامه اياها فعال اليد انا الالم وعظم ودم وهل رايت لحما ظلما او جسما تحرك من نفسه انا انا
مركب مسخر كبني فارس تعال لاراقه والتوه وهي الى تردني وتحول بي في اطراف الارض الماترى البر
والحجر والشجر لا تعدى شيئا منها مكانه ولا تحرك من نفسه اذا لم يركبها مثل انا الفارس القوي القاهر الماتري
ايدي للموتى تساوني في صورة الهم والغم والدم ثم لا معاملة بينها وبين القلم فانا ايضا من حيث انا لا معلم
بيني وبين القلم فسال القدرة عن شاني فاني مركب عجز من ركبني فعال صدقت ثم سال القدرة عن شانها
في استعمالها اليد واستخدامها اياه وكثرة تردده عليها فعال جمع عنك لوبي وما تبقى فلكن لا يام علوم وكم من علوم لا تذب
وكيف حتى عليك امر واوكيف ظننت اني ظلمت اليد اما ركبتها او لقدرتك الكاملة اياها قبل التحريك وما كانت تحرك
ولا استحق ان تحرك يا ساكنا نوما حتى تعلن بان بي انا ميت ومعدوم لاني ما كنت اتحرك ولا اتحرك
حتى جاءني موكل الزعني وارمتني للاماتة اني فكانت لي قوة على مساعدته واركن لي قوة على مخالفته وفي
الموكل الشر الارادة ولا اعرفه الا باسمه وجوهه وصياله اذا زعجني من غرة النوم وارمتني للاماتة كان لي سعة
عنه لو ظلمني ورائي فعال صدقت ثم سال الارادة ما الذي حداك على هذه العداوة فكرك المطمئنة حتى
صرفتها الى التحريك وارمتها اليد ثم فعال حدثني عن خلاصها ومناصافعالت الارادة لا تعجل علي
فلعل الناعذرا وانت تلوم فاني ما انتصفت لنفسي ولا لي انتصفت ولا انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر

واعلم ان العوالم ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها واسفلها وهو عالم الكائنات والعناصر والاجسام
من هذا العالم وقد جاوزت ملك المنازل على سهولة واما في عالم الملكوت وهو وراء ذلك فاخاطر وتر
انتهيت الى مفازة وهي المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا ادري كيف قطع فيها
والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاثة منازل اذ
في اولها ما ترك القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك وعالم الملكوت لان علم الملك
اسفل منه طرا وعالم الملكوت اعز منه منتهاه وانا عالم الجبروت بين عالم الملك والملكوت
التي بين الارض والماء فلا موج حد اضطراب الماء ولا هوى حد سكون الارض وثباته وكل من مشى على
الارض فمشيه في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى ان يمشي على الماء من غير سفينة كان كمن يمشي
في عالم الملكوت من غير تمكن فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فاعرف قدر ما جاوزت الارض وخلفت
السفينة وارتق بي مديك الى الصافي من اول عالم الملكوت مشاهدة العلم التي بكيت بها العلماء وحسرة
المتيقنين الذين عثروا على الماء، اما سمعت قول رسول الله صلعم عليه وآله وعيسى عليه السلام الواحد يمشي
على الهواء لما قيل له انه كان يمشي على الماء، فقال لو سأل السالك قدر ما جاوزت في ارضي واستشعر قلبك
خوفا هو صفته من خطر الطريق ولست ادري اطيق قطع هذه المهامه التي وصفت لك ام لا فقيل لذلك
من علماء فقال لو علم الله من قلبه صدقا ويقينا وصفوة نحوي فان ظهر لك العلم الذي به امكنت في الهواء
فمشيه ان يكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب الملكوت
كوشف بالعلم الذي ان الذي صلعم عليه وآله في اول مرة كوشف بالتلاذ اذا تراءى له جبرائيل قوة او
ذلك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصري وصدقت فؤادي
فصار الاشياء والاعلم فقال الآن لك فقال العلم لقد بعدت النجعة لما سمعت ان متاع البيت

واعلم

واما حازم فتذكر ساكتة قليل همته ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشتهاء
للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني تسكين سخوتك فقال العلم والعقل ولا ادري باي رسم وقعت عليه
عليه وسخوت له والزمت طاعته لكني ادري اني مدعو وسكون ما يرد علي هذا الوارد القاهر فهذا
لحاكم الكل العالم وقد وقعت عليه وقعا والزمت طاعته الزاما بل لاستيقنت معه بهاجزم حكم طائفة المخالفة
لعمري على دام هوى التردد على نفسه والتحير في حكمه فانا ساكنة مع استشعار وانتظار وكلما هذا الخبر حكم عليه
بطيء تمرحت طاعته واشخصت القدرة ليقوم بموجب حكم فسل العلم عن شاني ودع عنك تاريك فانا قيل
متى ترحلت عن قوم وقد قدروا الا ارتحلوا فقال العلم احلون هم فقال صدقت واقبل على العقل وقال
مطالبا ومعاتبا ايام على استنهاضي للارادة وبرشيها لاشتياقي للقدرة هيهات العقل انا انا فسلم ما
اشتغلت بنفسي حتى بسطت وقال العلم انا انا نفسي نفسي بل انت طالما اشرت عني بالعقل
وانخططت بنفسي ولكن خططت فكم كان هذا اللوح قبيحا عني فسل القلم عني فان الحظ لا يكون الا
بالقلم فقد هذا استمتع السايل عن جوابه وقال قد طال فيما مضى هذا الطريق وكثر منازلي ولا ازال
بحيلتي من طلعت من هذا الامر منه على غرة ولكني كنت اطيب نفسا بكثرة الزاد اذا كانت ايسع كلما
متيقنا لي الفؤاد وعذر الظاهر اني في دفع السؤال فما قولك فان خطر وشك وانخطى وقال فلت ايهما
فاني لا اعلم قال الامن القصب والروحا الامن الحديد او الخشب والحجر والاسراجا الامن النار
واني سمع منه هذا المثل احدث اللوح والبراية والخط والقلم والاشارة من ذلك شفا اسمع حجة
ولا ادري طحنا فقال العلم صدقت فيما قلت فيما قلت بضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف والهلاك
في الطريق الذي توجهت اليه كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فانا هذا البحث فاذا دع عنه
فكل حيلة خلي بينه وبين ما اردت ان كنت لا بد لك من استتمام الطريق لا محالة فقال بسمعك وانت شهيد والعلم

واعلم

Arabic Manuscript Collection

اما علمت ان الله تعالى لا شبيه لذاته سائر الذوات فكذلك لا شبيه لذوه سائر الاذوق ولا اقلام سائر الاقلام
ولا كلام سائر الكلام ولا خط سائر الخطوط وهذه امور المية من عالم الملكوت فليس لها ذات بحرم ولا
هو في مكان بخلاف غيره ولا يده يلمس ويعظم ودم بخلاف الايدي ولا اقلامه تقصف ولا لوحه من خشب
ولا كلامه صوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا بحره زاج وعفص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا
فما ادراك الا مختاب في مخيلة التربة وانوثة التشبيه بذلك هذا واذ ذاك لا الى مولا والا مولا
فكيف تنبت ذاته تعالى وصفاته عن الاجسام وصفاتها وتربت كلامه عن معاني الحروف والاصوات
واخذت تتوقف في هذه وقلبه ولوحه وخطه فان كنت قد علمت من قولي ان الله خلق آدم على صورته
الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن شبيها مطلقا كما تشاء كن يهوديا ناصرانيا والا فلا تلعب بالتوراة
والانجيل فانك ان لعبت من الصورة الباطنة التي تدرك بالبصيرة لا بالابصار فكن سترا ناصرانيا ومقدسا ساخلا والطو
الطور فانك بالواد المقدس طوى واستمع لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سراج
الغرشتاني بالنودي يا موسى اني انا ربك الاعلى فلما سمع السالك من العلم ذلك استشرف صدره وانه مختف
في الشبه والشرهة فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رأها بعيني الشح والحرص الذي
في شكاة قلبه كمشكاة فيها مصباح والمصباح في زجاجة العلم بحدة اشتعال زيته فاصبح نورا على نور عالما
له العلم اعني الان هذه الوضعة واقبح سترك فلعلك تجد على النار هدى فتبصره فانكشف القلم اللامع
واذا هو على صفة العلم في الشبه ما هو خرشف ولا قصب ولا راس ولا اذنب وهو كتب على الدوام
في قلوب البشر على اصناف العلوم وكان لهذه كل قلم راس ولا راس له فقضى منه النحب وقال لي
الرفيق العلم خير اذا الله عني خيرا اذا الان ظهر لي صدق نبأه عن اوصاف القلم الذي اراه قلما لا كالاقلام
فعند ذا اودع العلم وشكره وقال طال مقامي عندك ومرادك لك وانا عازم على الرجوع الى اوطاني

فاشر

فاسا لعن شانه وساء اليه وقال ايها القلم ما لك تحفظ على الدوام في التقرب من العلوم بمعية الارادات
الى اشخاص القدره وصرفها الى المقدورات فما افحش سيئات ما رايت في عالم الملك والشهادة وسمعته من
جواب القلم اذ سالته فاجابك على البديهة قال فجواب مثل جوابه قال كيف وانت لا تعلم
قال القلم ما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال فسل عن شانك الملقب بين الملك
فاني ذو قبضته هو الذي يردني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الادمي فمعنى التسخير وانها
الفرق في ظاهر الصورة فقال وبين الملك قال القلم ما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات
بيمينه قال نعم قال فاقلام الله في قبضته هو الذي يردها فسار السالك من عنده الى الهي حتى شاهد
وراى من عجايب ملكه على عجايب القلم والانجر وصف شيء من ذلك وملا شرحه بل الاحوى مجلدات كثيره
عشر عشير وصفه والجملة فانه بين لاكالايمان وبيد لاكالايدي واصبع لاكالاصابع قال القلم محركا
قبضته قطهر اعذار القلم فسال الهي عن شانه وتحركه للقلم فقال جواب المسمعة من الهي الذي رايتها في
عالم الشهادة وهو الحوالي على القدره اذ اليد للحكم لما في نفسها وانما تحركها القدره لا غير فسار الى عالم
القدره ورای فهارس الحجاب فاستفتحها وسالها عن تحرك الهي فقال انا ذات صفة
فسل القلم راذا العهدة على الموصوفات لا على الصفات وعند ذا كاد ان يزيغ ويطيش السالك الا
فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سراداقات الحضرة الايل تعاسيفل وهو يسالون
فغشيته دهشة الحضرة فرصعقا يضطربان غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شانك
تبت اليك وتوكلت عليك وامنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو الا
ولا اعوذ الا بصفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وما لي ان لا اسالك وانت تعرض اليك حاجاتها بين
يديك فاقول الشرح صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب
اياك ان تقطع الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما اتاك فخذه وما نهاك فانته عنه

قلبه ومنطق بالحراة

وانوسلطانك ره

وما قال قائل فانه ما زال في هذه الحضرة على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
فقال الحق ان لم يكن لسان حرارة على الثناء عليك فهل القلب مطلع في موقف فيذوي اياك ان تخطر قلبك
الصدقين فارجع الى الصدق الاكبر والقصد فان اصحاب سيد الانبياء كالنجوم بايهم اقتديتم
اما سمعتم قولي النجوم عن درك الادراك ادراك ممكنك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن
حضرتنا فاخرج عن الاحاطة جانبا وجلالنا فعند ذا رجع السايل السالك واعتذر عن اسوئته وجهالته
وقال اليمين والتم والعلم والارادة والقدرة وما بعده اقبلوا عذري فاني كنت غريبا جديد العهد بالدخول
في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فاكان انكاري عليكم الا عن قصور وجهل والآن قد صح عندي عذركم
وانكشف لي ان التفرد بالملك والملكوت والغزة والجبروت هو الواحد القهار وما انتم الا مسخرون تحت
قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والآخر والظاهر والباطن فلما قال ذلك سقط في ايدي الاشياء
استشعر ذلك منه وقال كيف يكون هو الاول والآخر وهما متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن
والاول ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول باضافة ان الوجود اذا صدر منه الكل على ترتيب واحد
بعد واحد وهو الآخر بالاضافة الى سير السائرين اليه فانهم لا يزالون يترقون من منزل الى منزل الى
ان ينتهي الامر الى ملك الحضرة فكون ذلك آخر السير هو آخر في السلوك به اول في الوجود وهو باطن بالاضافة
الى المكاشفين في عالم الشهادة الطالبين للادراك بالحواس الخمسة ظاهر بالاضافة الى من يطلبه بالسر الذي
استعمل في قلبه البصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد
في الفعل لعلمهم بان الكاشف ان الفاعل واحد فان قلت لعله انتهى هذا التوحيد الى ان ينتهي على الايمان
بعالم الملكوت على الامم ذلك او بجحوده فما طريقه فاقول اما الجاحد فلا علاج له الا ان تعالى الانكار كما
الملكوت كانكار المستهزئ لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فانكروا العقد والارادة
والعلم لانها لا تدرك بالحواس الخمس فلم يزالوا حتى ضيقوا عالم الشهادة فان قال وانا سهم فان الا تهتدي

في عالم الشهادة بالحواس الخمس والعالم شاسع واسع فقال انكارك لما شاهدناه ما وراء الحواس الخمس كانكار
السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نشك به فلعلنا نراه في المنام فان قال وانا نراه في المنام
فاني شاك ايضا في المحسوسات فيقال له اشخص فسنراجه واستمع علاجه فتركل فلا كل من يقوى
على علاجه الا الطبيب الحاذق وهو الذي لا يجحد ولكن لا نعلم طريقا الى ان تكون ممن يقوى ان ينظروا
الى عينه التي بها شاهد عالم الملكوت فان وجدوا صحيحة في الاصل وقد زال فيها ما اسود بتسلل
التقية استعملوا تنبيقة اشتغال الكحال الى ابصار الظاهرة فاذا استوى بصره ارشد الى الطريق
ليسلكه كما فعل ذلك رسول الله صلعم علة والد ابن خواص الحجاج وان كان غير قابل للعلاج فلا يمكنه
ان يسلك السبيل الذي نرشده في التوحيد ولا يمكنه ان يسمع كلام ذرات الملك والملكوت في
التوحيد كله بحرف وصوت ورد واذ وة التوحيد الى حضيض فهم فان عالم الشهادة اضيق
اذ يعلم كل احد ان المنزل يسند صاحبه والبلد يسند ساكنيه فقال له على عقل الرجل
واحد والمدبر واحد اذ لو كان فيها الهة الا لفسدتا فكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة
فيتيسر له اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الانسان كل واحد ان
على قدر عقولهم ولذلك تنزل القرآن بلسان العرب وعلى عاداتهم في المحاورة فان قلت فشل
هذا التوحيد الاعتقادي هل يصح ان يكون عاد التوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد
اذا قوي على عمل الكشف في اثارة الاحوال الا انه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب
والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه او الى من يعلمه الكلام ليس من
العقيدة التي تلقفها من استاذه او من ابويه او من اهل بلده وما الذي يشفيه بالطريق وسلوكه متعينة
فلا تخاف عليه شيئا من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كالامر

المتكلمين شرحا وغير المبتدئ بالمكر شرحا فلا حاجة بنا في هذا الكتاب الى قصد الاعلام المعالمة
ولكن اقول لفظ الفعل مشترك الا ان يطلق على ثلثة اوجه اذا قال الانسان سكت بالاصبع
وتنفس بالرية والمنجرة ويخرق الماء اذا وقف عليه عرف انه اخرق في الماء، وتنفس و
اكتسابه ثلثة اشياء حتمية الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك ثلثة امور فلا تدرك
عنها ثلثة عبارات فمن عرف له الماء عند وقوعه على وجه فعله الطبيعي وتبين فعله ارادة وسمى
كتابته فعلا اختياريا والجبر له في الفعل الطبيعي لانه بها وقف على وجه الماء او تخلل من السطح في الميل،
انخرق لاجله فكون الخرق بعد التخلل ضروريا والتنفس في معدته فان نسبه حركة المنجرة الى الارادة يسمى
كتنفس انخراق الماء الى مثل البدن فما كان الشكل موجودا وعند انخراق بعده وليس الشكل الا يكذلك نسبها وصورة ارادة
الارادة التنفس ض وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يمكث ٢ لقدر عليه ٣ اذ فعل القدرة والارادة هذا في
بالفعل الطبيعي وكونه ضروريا واما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو
الذي نقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فلنعلم ان هذا الاسم وهو
المجاز يعني الاختيار فلنكشف عنه ونبين ان الارادة تبع للعلم الذي يحكم بان الشيء موافق لكل الاشياء ثم
الى تحكم شهادة الظاهر والباطن بانه موافق من غير تحير وتردد والى قدرة تردد الفعل فيه الذي
من غير تردد ان تقصد عين شيئا بارة او مدركا بسيف فلا يكون وقوعه كما قدر دفعة بل ربما رفعه ذلك الرفع
موافق ظاهر سبعة الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الانسان بالدفع وحركة الدفع
السيف وذلك بين غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة غير الاشياء ترتيب الخير والفعل فيه قليلا
مدرك موافق تام الافتتاح الى روية وفكرة حتى تبين ان الخير في الفعل او الترك فاذا تحصل الكل والاراد
العلم بان احدهما خير التحق ذلك الذي تقطع بين غير روية وفكرة وانسبت الارادة هنا كما انبعث دفع

يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بانه انسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل
خلقته وما شاكل الكاشفين والمعتقدين الا كثرة زعون مع اصحاب السامري فان كثرة زعون لما ان
كانوا مطلعين على منتهى تاثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم فواساس يرى ما جاوز حدود السحر انكشف لهم حقيقة
الامر فلم تكن قوا اقول فرعون لاقطعن ايديكم وارجلكم فلا تزال تذكرك على ما جاء ناس الهيئات و
الدون فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا فان السحر
والكشف يمنع التغير واما اصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما تعالى والى عجل
السامري سمعوا خوارا يتغير واسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك
لهم ضرا ولا نفعا فكل من امن بالنظر الى ظهران فكفره لاجله اذا تعالى الى عجل الان كلا يهان عالم الشهادة وهو
والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير واما عالم الملكوت من عند الله فلا يدرك لا بحد فلذلك لا ضاق ظاهرا فان
قال لم ذكرت ان التوحيد ظاهر بهاتين الوسايط والاسباب سخرات وكل ذلك ظاهر الا في
حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء، ولكن ان شاء، فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان مع هذا ان
ان شاء، والا شاء، ان ان شاء الله كان هذا ايضا من جملة المقدر وموقع الغلط ولكن علة الفعل اذا قضاء، وشاء،
شاء الله فلما علمت ان المشيئة اليه اذا لو كانت اليه لاقترنت الى شاء، جزى بمشيئته الى غير نهاية واذا لم يكن
المشيئة اليه ووجدت المشيئة التي تقتضي القدرة الى مقدور ما انصرفت القدرة لاجله وكيف يكون لها سبيل
الى المخالفة فاكرار لازم ض والقدرة محركة ض عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ض في القلب
هذه ضروريات مرتبة بعضها على البعض وليس للعبد ان يرفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة الى
المقدور بعد ما لاح وجوده كما بعد ذهبت المشيئة للقدرة هذه ضرورة في الجبر فان قلت هذا جبر محض والجبر
ناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا فاقول لو اكشف لك الغطاء
لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو اذن مجبور على الاختيار وكيف يفهم هذا من لم يفهم الاختيار فلك مثاله

السيف والابرة فاذا انبعث لفعل الخير للعقل انه خير سميت ذلك الارادة اختيارا شتقا من الخير
اي سواء انبعاث الى الخير للعقل انه خير وهو معنى تلك الارادة ولم يسترق انبعاثها الا اذا انتظرت اي انبعاث
تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الآن الخير في فم السيف ظهرت خيريته بوجه ما على البدن
وذا افترق الى اربعة الاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة العقل فان اردت
ادراك الوقت وعين هذا فاقبل العقل تجابه اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا تصور ان يتعلق الارادة
الا بحكم الحس والخيال او بحكم مزمن العقل ولذلك لو اراد الانسان ان يخرج نفسه لم يمكنه ذلك لا
لعدم القدرة في اليد والعدم السكين ولكن لعدم الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما خصت الارادة
لانها منبعث بحكم العقل او الحس يكون الفعل مواقعا وتسليم نفسه ليس مواقعا له فلا يمكن ان يقال
ان تسليم نفسه الا اذا كان في عقوبة هو له لا طلاق فان العقل حينئذ متوقف في الحكم ومتردد لان الخير
شر الشرين فان ترجح بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل اقل شرا كان
حكم جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعث الارادة والقدرة وايلك نفسه كالذي يتبع بالسيف ليقتل
فانه يرى نفسه بين السيف وان كان مملكا والاسال ولا يمكنه ان لا يرى كذلك ان كان متبع بصير ضعيف
فاذا انتهى الى طرف السيف حكم العقل بان الضرب اهون من الزلل فوقعت اعضاؤه فلا يمكنه ان يرى
نفسه ولا منبعث لداعية الى ان داعية الارادة سببها حكم العقل والحق والقدرة نتيجة للداعية والحركة
للقدرة والكل يصدر بالقضاء من حيث لا يدرى فانها موجبة ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فعلا
وتما فاذن معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل الارادة حدثت فيه
جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم ايضا جبرا فاذن هو مجبور على الاختيار فضل الله
الاخلاق حيث يخص ويفضل الله اختيار بعض افعال الانسان على تراخي الزمان فانه مرجع الاختيار فطلب ايمان
الحق لمذا عبارة شاملة ان كان فتاما وتمتنوا فيه كتاب الله فسموه بسيارا ليس منا قضا الجبر والاختيار

بل موجع بينهما عند من فهم وسمى فعل الله اختيارا بشرط ان لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تخيير وتردد
فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن ان يستعمل في حق الله الا على نوع من
الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه فان قلت فهل تقول ان الفعل
ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متاخر حدث على المتقدم
فان قلت كل ذلك فقد حكمت بحدوث شئ لا من قدرة الله وان ليست فلك فما معنى ترتب البعض
من هذا على البعض فاعلم ان القول في بعض ذلك حدث عن بعض حتى الحق وسواء عبر عنه بالتولد
او بغيره بل جواز الجميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة ما لا زليه وهو الاصل الذي ان استعمل
كافة الخلق الا الاسخون في العلم فانهم وقفوا عما كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظ مع
تشبيه بقدر تناول وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك بطول ولكن بعض المقدورات مترتبة على البعض في
الحدوث ترتب الشروط على الشروط فلا يصدر من القدرة الا زلية ارادة الا بعد علم والعلم الا بعد
حيوة والحيوة الا بعد محل الحيوة وكما الجواز ان قال الحيوة حصلت من الحي الذي هو شرط الحيوة
فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط متعاصرة للعام وبعضها الظهور الا للخواص الكاشفين
بنور الحق والا فلا متقدم متقدم والا متاخر متاخر الا بالحق والدوام وكذلك جميع افعال الله ولولا
ذلك لكان المتقدم والمتاخر خبرا بضا ما فضل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى
هذا اشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناها الا بالحق ولكن
اكثرهم لا يعلمون فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب وسبب وحق اللازم والا تصور ان يكون
الكل حادثا على الترتيب الذي وجد فما تاخر متاخر الا لاشتراط شرط والشرط قبل الشرط محال او
لوصف يكون مقدورا فلا تاخر للصفة عن الذات فالقدرة شرط الحيوة والحيوة شرط العلم والعلم شرط
الا تقدم شرطا وهو العالم وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الحق والترتيب في شئ من ذلك لعجز
اتفاق بل كل ذلك بحكم وتقدير وتسخير ذلك غير وقفا نصرف لتوقف المقدور مع وجود القدرة

على وجود الشرط مثالا ترى سيال الحق من الاجرام الصغيرة وكذلك ان تقدر انسانا محرك اصابع النحس
في اناء الى قبضته فالحدث الا ترى منع اعضاءه وان كان الماء هو الذي احدث وهو مثال الحيوة
فالقدرة الازلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الا للاعضاء ولكن لا تحصل
المقدور لكن الا تحصل رفع اي حدث بانا اظهار الشرط وهو غسل الوجه واذا وضع الواقف
في الماء وجه على الماء وعلى الماء سيار الا عضاء وارتفع اي حدث يرتبط الجاهل ان الحدث ارتفع
عن اليد بغسله عن الوجه لانه حدث عقيب اذ لو زال كان الماء ملاقيا واليد كما رفعا والماء ارتفع عنها
فكيف حصل فيه ما لم يحصل منه قبل بل حصل ارتفاع الحدث من اليد عند حصول الوجه فاذن غسل
الوجه هو الرافع للحدث عن اليد وهو محال ضاحك من يظن ان المؤثر يحصل القدرة والقدرة هو الاسم
والارادة والعلم وكل ذلك حاصل عند ارتفاع الحدث فارتفع الحدث من اليد عند غسل الوجه فاذن غسل
الوجه هو الرافع للحدث عن اليد وهو محال ضاحك من يظن ان المؤثر يحصل القدرة والقدرة هو الاسم
والارادة والعلم وكل ذلك حاصل عند ارتفاع الحدث فارتفع الحدث من اليد بالماء الملاقي
لا بغسل الوجه والماء متغير واليد متغير والحدث فيها شئ ولكن حدث بوجود الشرط وانتظار العلم
فكذلك اسبق ان نعلم وجود المقدورات من القدرة الازلية مع ان القدرة بقدرة والمقدورات محادثة الى
وهذا قطع باب لعلم الآخرين علوم المكاشفات فلتركن جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد
الفعل وان الفاعل بالحقيقة احد هو الخوف والرجوع على التوكل والاعتماد وهذا يتقدر على ان ندكر من
بحار التوحيد الا قطرتين من بحار المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك غير ممكن في محال
كهذا تتبع؟ المؤاخذة القطرات عنه وكل ذلك مطوي تحت قولك لا اله الا الله والخوف من كلمة
اللسان وبالاسهل اعتقاد مضمونه المطابق على القلب وما زاد عليه فهو العلم الذي لا يتسع له الا الاسخون
فان علم كيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد ان الفاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات
الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا لكنه يكون الله عاجلا وان كان الله فاعلا فكيف يكون
العبد فاعلا ومسئولا عن فاعلين غير متضادين فاعلم ان جميع ذلك غير متضاد اذا كان للفاعل معنى واحد

ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وانه جنس برأسه مكون كل نفس
من انفاسه وروحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وملاكا لتعلق هذا الملك بهذه النفخة فهو حق شاهد ان الله
بصائر بهم فالكون الروح عبارة عنه فلا يكفي الا ان يعلم بالنقل والفكر دون النقل فتن مجرد
وكذلك قرر الله تعالى في القرآن الآيات والآيات في الارض والسموات ثم قال وفي انفسكم افلا تبصرون
على كل شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس بمنتقض بل
طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف الموجودات بالله
كما قال بعضهم عرفت ابي بربي ولولا ربي للعرفت ابي وهو معنى قوله اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد
وقد وصف نفسه بانه المحيي والمميت وفرض الموت والحياة الى ملكين فمن الخبران ملك الموت وملك الحياة
تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحياء وقال ملك الحياة انا احيي الموتى فاوحى الله اليهما كونا على ما
وانتما تحت امري الصنع وانا الحي والمحيي والمميت والمحيي سواء فاذن الفعل مستند الى الله وحده
فلا تنتقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وآله اللهم ارنا الاشياء كما هي فاوحى الله اليه
اضاف الاتيان اليه والى الله وعلم ان الترجمة لا تأتي على الوجه الذي هو في الاصل فكل من اضاف الكل الى الله
قال ذلك كما يكتب انت يا الله ولا انت يا الله جهد قال عليه السلام عرفت الحق لاهله فكل من اضاف الكل الى الله
تعالى فهو المحق الذي عرف الحق واهله ومن اضاف لغيره فهو المجوز المتعزل كما اشار اليه المجوز وهم
كما ان المصنعة وهما واسم الفاعل منه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن ان الانسان مخترع لقدرته شيئا ما
بحركته وظن ما ذهب بتحيز وتوهم ان نسبة الله على سبيل المجاز مثل نسبة الفعل الى الامير فانه مجاز لا محالة
الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان كان الفاعل قدرته
ايها اللغوي المخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز اي يجوز به عما وضعه اللغوي له
ولما جرى حسنة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا واتفاقا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وآله

وقال عليه السلام اصدق بيت قالته شاعرة قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل اي كل الاقوام انه نسبة وانما
لا نسبة له
قوا بغيره فهو اعتبار نسبة باطل وانما حقيقته بصيرة فاذن الحق الحقيقة الا القيوم الحي الذي
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فانه قام بذاته وكل ما سواه قام بقدرته فهو الحي وما سواه الباطل
سواه ح
ولذلك قال يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلا كنت اليوم حرت تقول انا وانا كنت لان
كما لم تكن فانت اليوم كما كان فان علت فقد ظهران الحاجز هو معنى الشواء والعقاء والنقص والارض
وكيف غضب على فضل نفسه فاعلم ان من لم يشكر فقد اشرك الشكر فالطول انما عاد نفسه فقد هو
القدر الذي رأيناه الا من موارد التوحيد الذي ورث حال التوكل الا بسباق والآيتين هذه الا الايمان الرحمة
والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة
بمسبب الاسباب ولا تمام حال التوكل كما سيأتي الا بالثقة بالكفيل ومطالعة القلب الحسن تظر الكفيل وهذا
الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وهكذا طرق الكاشفين فرقة فلذلك رجا حاصلة البعيدة الطالب
لمعالي التوكل لعتقاد ذا قطعا لا ريب فيه وهو ان تصدق تصديقا يقينيا لا صنعة فيه والا ريب
ان الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل المتعلم وعمل العلم وخلق لهم العلم المحتمل لتوهمهم والغائص عليهم
الفكر ما لا منتهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة ومعلما لم تكشف لهم عواقب الامور والطلع على
اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العنايات حتى اطلعوا على الخير والشر والنفع والضر
العيوب ح
امرهم لن يدبروا الملك والملكوت بما عطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبيرهم مع التعاون و
التظاهر عليه الى زاد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولان ينقص منهما
بعوضة ولان يزيد فيهما ذرة او ينقص منهما ذرة ولان يعرض لوعيب ونقص او فوت او عرض على ربه
ولان عمل صحة او جمال او غنى او منع عن امر هم عليه بل كل ما خلق الله تعالى من السموات والارض
الى ما بينهما في البصر وطولها في العمر مارا وافيا من تفاوت ولا فطور وكل ما سلم الله من عباده

من رزق واجل وسرور وفرح وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله على محض الجور في
وحق صرف الظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي
وليس في الامكان ابدع مما كان ولا اتم ولا اكمل فلو كان غير مع القدرة ولم يفعل لكان بخلا ناقصا
الجود وظلما ناقصا العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا ناقصا للبسيط كل فقر وضرة الدنيا مهما
من الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص الآخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة الى غيره اذ
لولا الليل لما عرف النهار ولولا المرض لم تنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعيم
فكما ان فداء اردى الآن بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على
الناقص عين العدل فكذلك تعليم النعيم على سكان الجنان تعظيم المقدور على اهل النيران فداء
لاهل الايمان باهل الكفران عين العدل وما في الخلق الناقص لا نقوى الكامل لو الخلق البهائم
لما ظهرت الآفات فان الكمال والنقص جميعا نظرا بالاضافة يقتضي الجود والحكمة خلق الكامل والناقص معا
وكما ان قطع اليد اذا تأكلت انتهاء على الرجل عدل لانه فداء كامل بناقص فكذا الاخذ والتفاوت
الذي في الخلق والقسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق للانعام فيه وهذا الآن بحر لا
عظيم واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السمع من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من العلماء
والعلم ان ذلك غامض لا يعقلها الا العالمون وورا هذا البحر القدر الذي تحيرت فيه الاكثرون ومنع
عن اقتحام سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي وقد صار ما قضى الله به وعلم الحصول
بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر وحصول المقدر معلوم
مستطر وما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه الاشارة من علوم
المكاشفات التي هي اصول مقام التوكل ولنرجع الى اعمال المقامات الشطر الثاني من الكتاب
في التوكل وما يتم به وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل

في الكسب للمنزوع المعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل في
ازالة الضرر بالمداوي وغيره بيان حال التوكل قد ذكرنا ان تمام التوكل منتظم من علم وحال وعمل وقد ذكرنا
العلم فاما الحال فالتوكل ما التحق به عبارة عنه وانما العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخائضون في بيان حد
التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه واخبر عن حده بحسب عادة اهل التصوف به
والعادة في النقل والآثار وكشف العطاء عنه فمقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل المفوض
اليه فوضه اليه واعتمد عليه ورضي بالوكيل اليه وكيلا وسمي الموكول اليه توكلا عليه ومتوكلا عليه بما لهان
نفسه اليه وفوض به واتهمه فيه متعبد واعتمد فيه عجزا وتقصيرا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل
وحده وانصراف الوكيل المفوض اليه عما يدعو عليه من باطل تلبيس وكل المفوض من كشف ذلك التلبيس
لم يكن متوكلا عليه والواثق القلب مطمئن النفس بوكيله الا اذا اعتمد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى التوكل
ومنتهى النصاحة ومنتهى الشفقة اما الهداية فليعلم بها مواقع التلبيس حتى لا يخدع عن عواقب الحيل شيئا ما
واما القدرة والقوة فليتحرى على التصرف بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحي ولا يحابي فانه ربما يطلع على
وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف او الحياء او صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصرف
واما النصاحة فهي الباعثة من القدرة الا انها قدرة في اللسان على الاقناع عن كل ما استحق القلب على واشار به
فلا كل عالم يوافق التلبيس فاذن بد لا قدر لسانه على حاصل عقدته واما منتهى الشفقة فليكون باعثا له على بذل كل ما
تقدر عليه في حسنة فان قدرته لا تغني دون الصيانة اذ كان لا يبالي به ظفر بنصيبه او انتظم له ملك
حتى او يهلك فان كان شاكا في هذه الامور الاربعة او في واحد منها او جوز ان يكون خصمه اكمل في هذه
الاربعة منه لم يطمئن نفسه الى وكيله بل تتمزع التلبيس مستوفز الهم بالحيلة والتدبير لدفعه فما يحذره من
قصور وكيله وسطوة خصمه وكون تفاوتا احواله مشتة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده
لهذه الخصال فيه وقلة الاعتقاد تارة الظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا يحصر فلا يرجع

تفاوت احوال المتوكلين في قوة الطمانينة والثقة تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه
كما لو كان الوكيل والد المتوكل وهو الذي سعى لجمع الحلال والحرام من اجله فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية
فيصير خصلة واحدة من الخصال الاربعة قطعيا وكذلك سائر الخصال يتصور ان يحصل القطع به وذلك
بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار بانه افصح الناس لسانا واقواهم بيانا واقدرهم على نصرة الحق بل
على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس التوكل على الله تعالى فان ثبت
في نفسك بكشف او باعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على
كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء
منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته عناية اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا
الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان
الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببها احد السببين اما
ضعف اليقين باحد هذه الخصال الاربعة واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب
الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له عن غير نقصان في اليقين فان من يتناول
عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر تناوله عليه ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت
في قبر او فراش او بيت نفر طبعه وان كان متيقنا لكونه ميتا وانه جماد في الحال وان سنة الله مطردة بانه لا
يحشره الآن ولا يحييه وان كان قادرا عليه كما انها مطردة بان لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب
السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه لا شك في هذا اليقين فينفر طبعه عن مضاجعة الميت والنوم
عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شيء منه وان قل
فقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم
التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمانينته فالسكون في القلب
شي

شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمانينة معه كما قال تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس
ان يشاهد احياء الميت بعينه ليثبت اليقين في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين
في ابتداء امره الى ان يبلغ بالآخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية وكم من مطمئن لا يقين له
كسائر ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم اصلا
وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذا
الجبن والجراة غرائز ولا ينفع اليقين معهما فهي احد الاسباب التي تضاد حال التوكل كما ان ضعف اليقين
بالخصال الاربعة احد الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة بالله وقد قيل مكتوب في التوراة
ملعون من ثقته انسان مثله وقد قال عليه السلام من اعتز بالعبيد اذله الله واذا انكشف معنى التوكل و
علمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات الاولى ما ذكرناه
وهي ان يكون حاله في حق الله والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل الثانية وهي اقوى ان يكون
حاله مع الله كحال الطفل مع امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها فان رآها تعلق بها عليها
في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه
امه فانها مفزعه لانه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليس خاليا عن نوع ادراك بالتمييز الذي له
انه طبع من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلفيق لفظها ولا على احضارها مفصلا الصبي
في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان تاله الى الله ونظره اليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف
الصبي بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على امه والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله في توكله
عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول
فيتوكل عليه بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله اذ له التفات الى توكله وذلك شغل صارف عن ملاحظة
المتوكل عليه وحده واليه هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما ادناه قال ترك الاماني قيل فما اوسطه

قال ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ اوسطه
الثالثة وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه
الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجرى
الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان الكل يحدث جبرا فيكون بعيدا عن الانتظار لما يجري عليه
ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل مثاله مثال صبي
علم ان امه ان لم يزعق بها فالام تطلبه وانه وان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وانه ان لم يسالها اللبن فالام
تفاتحه وتسقيه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء
افضل مما يسال فكم من نعمة ابتداها قبل الدعاء وقبل الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء واكثر
والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها
فاعلم ان ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث اعزها والاول اقرب الى الامكان ثم
اذا وجد الثالث والثاني فدوامه ابعد منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث الا كصفرة الوجل فان
انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضها عارض كما ان الوجل عبارة عن انقباض كما ان انبساط الدم في جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض
الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى ينكشف عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت ترى من وراء الرقيق ستر
البشرة فان البشرة ستر رقيق ترى من ورائه حمرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذلك
انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم واما المقام الثاني فيشبه
صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين والاول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد ان يدوم
ولا يبعد ان يزول فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال
فاعلم ان المقام الثالث ينفي التدبير راسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت و
وال

والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط
والمقام الاول لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة
فانه يترك تدبيره من جهة غير جهة الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله او التدبير الذي عرفه من عادته
وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته بان يقول لست اتكلم الا في حضورك فيشتغل لا محالة
بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا لتوكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحجج والى
حول غيره بل يكون من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا على قوله لما حضر لقوله
واما المعلوم بعادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاج الخصم الا من السجل فتمام توكله ان
كان متوكلا عليه ان يكون جاريا على سنته وعادته ووافيا بمقتضاها وهو ان يحمل السجل الحضور
اليه عند مخاصمته فاذن لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئا
من ذلك كان نقصانا في توكله فكيف يكون فعله نقصانا فيه نعم بعد ان حضر وفاء باشارته واحضر السجل وفاء
بسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى
كالمبهوت المنتظر لا يفزع الى حوله وقوته اذ لم يبق له حول وقوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور
واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق الا الطمانينة والثقة بالوكيل الى
والانتظار لما يجري واذا تاملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وفهمت انه ليس من شرط
التوكل ترك كل تدبير وعمل وان كل تدبير وعمل لا يجوز ايضا مع التوكل بل هو على اقسام وبيان ذلك يحصل
في الاعمال فاذن فزع المتوكل الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا يناقض التوكل لانه يعلم انه لولا
الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضا بلا جدوى فاذن لم يكن مفزعه من حيث حوله
وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله مفيدا للحاجة وعرف ذلك باشارته وسنته فاذن لا حول ولا قوة
الا بالوكيل الا ان هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لانه ليس خالقا لحوله وقوته بل هو حامل لهما

مفيدين في انفسهما ولكونا مفيدين لولاضد وانا اصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى اذ هو خالق
الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلها مفيدين اذ جعلها شرطا لما يخلقه من بعدهما من
الفوائد والمقاصد فاذن لاحول ولاقوة الا بالله حاصل فمن شاهد هذا كذلك كان له الثواب العظيم
الذي وردت به الاخبار فمن تقول لاحول ولاقوة الا بالله وذلك قد يستبعد فعال كيف يعطى هذا الثواب
العظيم بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بمفهوم لفظها وبيهات فانا ذاكر
جواب الشاهدة التي ذكرنا ما في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وتوابعها الى كلمة لا اله الا الله وثوابها كنسبة معنى لفظ
الى الاوفى اذ في هذه الكلمة اضافة شيء الى الله تعالى فقط وهو الحول والقوة واما كلمة لا اله الا الله
فهو نسبة الكل اليه فاقطع للمسافة بين الكل وبين شيء لعرفت ثواب لا اله الا الله الا اضافة
الى هذا وكاذكرنا من قبل ان للتوحيد قسمين ولبين فكذلك لهذه الكلمة ولسائر الكلمات والذكر
الحق قد قيدوا بالقسمين ومالوا الى اللبين والى اللبين الاشارة بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال
لا اله الا الله صادقا من قلبه نجى منها وجنة ولم يحجبه وحيث اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص اراد
بالمطلق المقيد كما اضاف الجنة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع واضاف الى مجرد الايمان
في بعض المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحدث ومحرك اللسان حديث عهد
القلب ايضا حديث ولكنه حديث النفس وانما الصدق والاخلاص وراءهما ولا نصيب سهم الملك
الا للمتقين وهم المخصوصون بفعل من قرب منهم في الرتبة من اصحاب اليمين ايضا درجات عند الله وان
كان الاقربون اذا الملك لا ترى ان الله تعالى لما ذكر في سورة الواقعة المؤمنين السابقين تعرض لسر
الملك فقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين وما انتهى الى اصحاب اليمين مازاد على ذكر
الماء والظل والفواكه والاشجار وحور العين وكل ذلك لذات المنظور ولا شيء من الملك والمملوك
وتصور ذلك للبهائم على الدوام وابين لذات البهائم من لذات الملك والرئاسة على عليين

فسبحان رب العالمين ولو كان لهذه الذات قدر لاتسع على البهائم ولما رفعت عنها درجة الملائكة
افترى ان احوال البهائم وهي مسيبة في الرياض متنعمة بالمياه والاشجار واصناف المأكولات
تمتعها بالروث والسقا داعما والذ واشرف واجدر بان يكون عند ذوي الكمال مضبوطة
من احوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار الله في اعلى عليين بهيات بهيات ما اقل من
التحصيل من ذا خير بان ان يكون حمارا او يكون في درجة جبرئيل فيختار درجة الحمار على درجة جبرئيل
وليس يخفى ان شيئا من شيء ينجذب اليه وان النفس اذا تكون تروعها الى صفة الاساكفة اكثر من
تروعها الى صفة الكتابة نهى بالاساكفة اشبه في جوهرها منها بالكتاب وكذلك تروع نفسه
الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهائم اشبه منه بالملائكة لاتحاده وسوء الهم الذين يقال فيهم اولئك
كالانعام بل هم اضل فانا كانوا اضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة فكم الفرق
واما الانسان في قوته ذلك والقادر على نيل الكمال الحري بالذم والجدير بالنيلة الضلال بها فانا
عن طلب الكمال واذا كان هذا كلاما معترضا فلنرجع الى المقصد فقد بينا معنى قول لا اله الا الله ومعنى قول
لاحول ولاقوة الا بالله وان من ليس قلبه بالها عن مشاهدة ملاحظة التصور منه حال التوكل فما قيل
ليس شيء فوق لاحول ولاقوة الا بالله الا سبب يشير الى الله فلو قال قائل السماء والارض خلق الله
فهل تكون ثوابه مثل ثواب قائل لا اله الا الله على تفاوت درجة الثناء عليه وبين السماء والارض من التباين
والتباعد ما لا ينتظم لعظم السماء والارض وصغر الحول والقوة وان جاز وصفها بالصغر تجوزا فالله الامور
نعلم الاشخاص بل كل ما على سطح ان الارض والسماء ليس منه الا مسيس بل من خلق الله
فاما الحول والقوة فقد اشكل امرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعي الزهد في
النظر في الرأي والمعقول حتى يشق الشيء بحذة نظر على سهاكة مخطرة ونزلة عظيمة هلك فيها
العالمون اذ اثبتوا لانفسهم اذا وسوسوا شركة في التوحيد واثبات خلق لغير الله في حاوزه العقيدة

بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت درجته وهو الذي يصدق قوله لاحول ولا قوة الا بالله فقد
ذكرنا انه ليس في التوحيد الا عقيدتان احدهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والغيم والمطر وسائر
المخلوقات والثانية النظر الى الحيوانات وهي اعظم العقيدتين واخطرها وكانه كمال
سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة في ثواب الشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها فاذن ترجم حاصل
التوكل الى التبري عن الحول في القوة والتوكل على الواحد الحق وسيقتضي ذلك عندنا تسهيل
اعمال المتوكل [illegible] لتبين ان شاهده لا محرج عما ذكرناه ولكن كل
واحد يشير الى بعض الاحوال فقد قال ابو موسى الدبيلي قلت لابي يزيد ما التوكل فقال ما تحول الي قلت فان
احباب تحولون الي فقال السباع والافاعي من عندك وديارك بما تركت لله تركت فقال ابو يزيد ما ذقت
كيف توكل اهل الجنة متفاوتون واهل النار يعذبون ثم وقع كما تيسر بها ترجمت عن عمل التوكل
فما ذكره ابو موسى فهو خبر عن اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد فعبارة عن ادنى انواع
الذي هو من اصول التوكل وهو العلم بالكفر وان ما فعله الله فعله بالواجب فلا تغيير من اهل النار ولا يلتفت
الى اصل العدل والحكمة وهذه النفس انواع العلم وورائه التقدير وابو يزيد قلما يتكلم الا على اعلى المقامات في
اعلى الدرجات وليس يمكن الاحتراز عن الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل فقد اعتبر ابو موسى الحيات
اذ هي مانعة في الجملة الان قال افضل ذلك بعده وليم اعتبر السبب سيره او تعالى افضل ذلك فعلى هذا يرجع سؤال المريد
عليه الى ان حق نفسه وانا نريد ان التوكل بحركة سره وتغيره الى حيث لا نفسه والعقل فان اعمال وكل بها ثلاثة
اشياء كل واحد منها يتعلق بالتوكل فان ذكر السر حتى الحيات اعني خوف الوقوع في الحيات ذاهلا عن الحول
والقوة والمدبر سؤال في النون المصري عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال والرسوم
فالاسباب اشارة الى علوم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال والرسوم فمن شرح حال التوكل وأكثر

انما نظر في تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه لما قاصده وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار نزل به كدفع الصيال والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا يعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر شرط التوكل ودرجاته في كل واحد من هذه المقاصد الاربعة الشرع

الفن الاول في جلب النافع ونقول فيه الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا يثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه

الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المستقبلات بها بتقدير الله ومشيته ارتباطا مطردا لا تختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع ولا شك لست تدري انه يدور وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي وتمد اليه يدك وتحركه وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه بالطبائع اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله في حلقك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا يمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله وكذلك لو لم تزرع الارض فطمعت في ان يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر او ولد زوجتك من غير قاع كما ولدت حواء من ضلع فكل ذلك جنون وامثال هذا مما لا يكثر ولا يمكن احصاؤه فلقد التبس التوكل في هذا المقام بالعمل بالحال والعلم اما العلم فهو ان يعلم ان الله خالق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه يطعمك ويسقيك وانا الحال فهو ان تكون حركتك واعتمادك في فضل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تقعد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتبقى وكيف تقوى على حضور الطعام وربما يسلط الله من يغلبك عليه او يحيف عليه بزعمك عن شمالك ويزعج يمينك ويغلطك واذا لاحتمل امثال ذلك لم يكن لما اعلاه الا تفصيل الله فبذلك فليفرح وعليه فليتوكل واذا كان هذا حاله وعلم فليمد اليد اليه فانه متوكل

الدرجة الثانية الاسباب التي ليست تفيده لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها فان كان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي

يفارق الاصطاد والتوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا وكون تيسره من غير استعداد فانه ليس شرطا في التوكل بل يستحق الزاد في البوادي سنة الاولين والازول التوكل بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز وخروج اعالي مقامات التوكل وكذلك كان فعل الخواص فان قلت فهذا يسوغ للملاك والفاني النفس التهلكة فاعلم ان ذلك يخرج من كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا فما زيادة بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر ذكر الله تعالى والثاني ان يكون بحيث تقوى على التقوت بالحشيش وامثاله من الاشياء الخسيسة فبهذين الشرطين لا يخلو غالب الامر في البوادي في كل اسبوع من ان يلقاه ادنى مؤنة لحاجة او قرية او الى حشيش نرعى به وقته فيحيى بمجاهدة نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يتوكل الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان لا يفارقهم البرة والتواضع والتجمل والاكره ومتوكل هذا الا قدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا تكون الا في اعالي وجه الارض وباجراء سنة الله تعالى بصعود الماء عن البئر بغير دلو والجبل والاغلب وجود الجبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوء كل يوم مرات ولعطش في يوم او يومين مرتين فان المسافر مع حرارة الحر لا يصبر عن الماء، وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد ربما تخرق فيكشف عورته ولا يوجد المتراص والابرة في البوادي غالبا عند كل صلوة ولا تدوم غالبا في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الاربعة يعد من الاسباب المظنون ظنا لا تقطع به لانه يحتمل ان لا تجوع الثوب ولا يعطيه انسان ثوبا او يحدث رأس البئر من يستقيه والاكثر ان تحرك الطعام حتى يصل الى فمك فبين الدرجتين فرق ولكن الذي يقتضي الاول فاما نقول الواجب ان يشمر من شعاب الجبال حيث الماء والحشيش والا طرقه طارق فيدره

فانظروا

فكيف يمكن مع الزاد كما انه يمكن مع فقده المقام الثاني ان يقعد في بيته او في مسجد ولكن في القرى والامصار هذا اضعف
من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبير امره من جهة الاسباب الخفية
ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجلية الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا
كان نظره الى الذي يسخر سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور ان يغفل جميعهم عنه ويضيعوه
لولا فضل الله بتعريفهم وتحريك دواعيهم المقام الثالث ان يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثاني
والثالث من كتاب اداب الكسب وهذا السعي ايضا لا يخرجه عن مقام التوكل اذا لم تكن طمانينته الى كفايته وقوته
وجاهه وبضاعته فان ذلك ربما يهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير اسبابه
بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى
القلم بل الى قلب الملك انه بماذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله او ليفرق على
المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال هذا اشرف من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا
ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق لما بويع بالخلافة
اخذ الاثواب تحت حضنه ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد اقمت
لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهل بيت
من بيت مال المسلمين فلما رضوا بذلك راى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين
اولى ويستحيل ان يقال لم يكن الصديق في مقام التوكل فمن اولى بهذا المقام منه فدل انه كان متوكلا لا
باعتبار ترك الكسب بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو ميسر الاكتساب ومدبر
الاسباب وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن
غير ان يكون درهمه احب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا
ومحب لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل وراء الزهد

وقال

وقال ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت
السوق كنت اكتسب في كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام
بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحيي ان اتكلم في مقامه
وهو حاضر عندي واعلم ان الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فان لم يكن
معلوم ووقف وامروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال
والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسالوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهو اقوى لكنه بعد اشتهار القوم بذلك صار لهم
سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق فان قلت فالافضل
ان يقعد في بيته او يخرج ويكتسب فاعلم انه اذا كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر واخلاص واستغراق
وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه الى الناس في انتظار
من يدخل فيحمل اليه شيئا بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله فالقعود له اولى وان كان
يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس فالكسب له اولى لان استشراف القلب الى الناس سؤال
بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون ياخذون ما تستشرف اليه نفوسهم كان احمد بن حنبل
قد امر ابا بكر المروزي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا كان استفضله من اجرته فرده فلما ولى قال له احمد
الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه واعطاه فاخذه فسئل عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرده
فلما خرج انقطع طمعه وايس فاخذ وكان الخواص اذا سئل عن اعجب ما راه في اسفاره فقال
الخضر رضي بصحبتي ولكن فارقته خيفة ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصانا في توكلي فاذن المكتسب اذا راعى
اداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته
وكفايته كان متوكلا فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه ان
سرقت بضاعته او خسرت تجارته او تعوق امر من اموره كان راضيا به ولم تبطل طمانينته ولم يضطرب

قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شيء لم يضطرب لفقده ومن
اضطرب لفقد شيء فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فتركها وذلك ان البابلي كاتبه بلغني انك
استعنت على رزقك بالمغازل ارايت ان اخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من فوقع ذلك في قلبه
فاخرج آلة المغازل وقيل تركها لما نوديت باسمه وقصد لاجلها وقيل فعل ذلك لما مات عياله كما كان لسفيان
خمسون دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرقها فان قلت كيف يتصور ان تكون له بضاعة ولا يسكن اليها
وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا يمكن فاقول بان يعلم ان الذين يرزقهم الله بغير بضاعة فيهم كثرة والذين
كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة وان يوطن نفسه على ان الله لا يفعل به الا ما فيه صلاحه
فان اهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركها كانت سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت
جوعا فينبغي ان يعتقد ان الموت جوعا خير له في الآخرة ما قضى الله عليه به من غير تقصير من جهته
فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم من الليل بامر من امور
التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير
بجاره وابن عمه من سبقني من دهاني وما هو الا رحمة رحمه الله بها ولذلك قال عمر لا ابالي اصبحت غنيا
او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال
ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري لي من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فاني ما
شممت منه الا رائحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما ادركته و
لعله اراد ادراك اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وبان كل ما يقدره على
العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لنفسه لم يكمل حال التوكل فمبنى التوكل على قوة
الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الاحوال والاعمال تنبني على اصولها من
الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن

على

على الكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن على التوحيد فان قلت فهل من دواء
ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الاسباب الخفية
فاقول نعم هو ان تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى
الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فان الانسان بطبعه مشغوف بسماع
تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة
المتكلين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية
الرزق من الاسباب الخفية ايضا تبطل التوكل فقد حكي عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم
فقال له امام المسجد لو اكتسبت لكان افضل لك فلم يجبه حتى اعاد ثلاثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد
قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا
لو لم تكن اماما تقف بين الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد
يهودي على ضمان الله في الرزق وقال امام المسجد لبعض المصلين من اين تاكل فقال يا شيخ اصبر حتى اعيد
الصلوة التي صليتها خلفك ثم اجيبك وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من لطف الله بواسطة
الاسباب الخفية ان تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله في وصول الرزق الى صاحبه وفيها
عجائب قهر الله في هلاك اموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما روي عن حذيفة المرعشي وكان
قد خدم ابرهيم بن ادهم فقيل له ما اعجب ما رايت منه قال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا
الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابراهيم وقال يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو كما راى الشيخ
فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود بكل حال والمشار اليه
بكل معنى انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جائع انا ضائع انا عاري هي ستة وانا الضمين لنصفها
فكن الضمين لنصفها يا باري مدحي لغيرك لهب نار خضتها فاجر عبيدك من دخول النار ثم
دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول

فذهب سهل الى انه يخرج عن التوكل وذهب الخواص الى انه انما يخرج باربعين يوما ويخرج بما دونها
وقال ابو طالب المكي لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة على الاربعين انتهى وهذا الاطلاق لا معنى له لتعدد
اصل الادخار فتم تجوز ان نظن فان اصل الادخار ينافي اصل التوكل فما المقدار بعد ذلك فلا
مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه ستوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية وكس
اصحاب النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين انفسهم على درجات
وكذا السابقون واعلى درجات اصحاب اليمين يلاصق اسفل درجات السابقين فلا يبعد ان المستقر
في مثل هذا المحل ان التوكل ترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل وما عدم امل البقاء فبعد
اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده واما الناس فتفاوتون في طول الامل وقصره
واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات وهو اقصاه ما تصور ان يكون عن الانسان
ومنها درجات لا تحصر لها فمن لم يامل اكثر من شهر كان اقرب الى المقتصر فمن يامل سنة وقد شاهدنا بعض
الاجل يعاد موسى عليه السلام بعيد فان ذلك لو لقيه ما قصد به بيان مقدار ما رخص الامل فيه لكن
استحقاق موسى لنيل الموعود كان لاتمام الاربعين يوما لرجرت به وباشاله الله تعالى
في تدريج الامور كما قال اصل الله عليه وآله في خطبته آخر اربعين صباحا لان استحقاق ملك الطيلسان
كان موقوفا على عادة سبقتها ماذكر فاذن ما وراء السنة لا مدخل لها الا لحكم ضعف القلب والا كون
الى ظاهر الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق بما عند الله عز وجل الوكيل الحق بتخطيها
الاسباب فاما اسباب الدخل مع الارتفاعات والاكوات ستر ربما يكبر ويسنين متوالية وفي آخر
لاقل من سنة فلا درجة تحت قصير المدى من كان المدى شهرين لم يكن درجته دون درجة من امل شهرا
ولا درجة من امل ثلثة اشهر مثلا هو بينهما في الرتبة والمنع من الادخار الاقصر الامل فالافضل

ان لا ادخر اصلا فان ضعف قلبه فكما قال ادخاره كان فضله اكثر وقد روى في الفقير الذي اصاب صلى الله عليه وآله
عليا واسامة فضلاه وكنسه بردائه فلما دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر
ولو الاخلة كانت قد بلغت ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وما بلغ صول الاستغناء كان صوابا قولا
كثيرا الذكر الله تعالى عز اذا جاء الشتاء دخرجة الصيف لصيفه آخرين واذا جاء الصيف دخرجة
الشتاء لشتائه آخرين قال من اتقى ما اوتيتم اليقين وخير الصبر الجميل وليس الكنوز والسنوة وما تحاماه
اليه على الدوام في معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة والماثور الشتاء تحامي اليه في الصيف وهذا
في حق من لا يتوقع قلة ترك الادخار ولا استشراف نفسه الى ايدي الخلق بل لا تلتفت قلبه الا الى الواحد
الحق فان كان يستشرف نفسه اضطرارا شغل قلبه عن العبادة والذكر فالادخار الذي
بل لو امسك ضيقة تكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان لا يتوقع قلة الا به فذلك اولى لان المقصد
اصلاح القلوب ليستجد لذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمخرور
يشغله عن الله سوالا فالدنيا في عينه غير محذورة لا وجودا ولا عدما ولذلك بعث رسول الله صلى الله
عليه وآله الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون واهل الحرف والصناعات فلم يامر التاجر بترك تجارته
ولا المحترف بترك حرفته ولا امر الكل الا بالاشتغال بها مع دعائه الكل الى الله وارشدهم الى فوزهم و
نجاتهم بالصرف قلوبهم عن الدنيا الى الله وجعله الاشتغال بالله تعالى اقتضى ضعف الضعيف ادخار
قدر حاجته كان صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد فاما الجمع عن حد التوكل
بادخار قوت سنة لعياله جبر الضعفهم وتسكينا لقلوبهم وادخار اكثر من ذلك يبطل التوكل لان
الاسباب بكثرة عند كثرة السنين فادخار ما زاد عليه بسبب ضعف القلب وذلك ناقض قوة التوكل والتوكل
عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى يواثق بتدبيره دون وجود الاسباب انتهى
وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وآله لعياله قوت سنة وفي لم ابن وعشرا من تمر شتا لعدو في بلاد

عن الادخار في كسرة خبز ادخرها لينظر عليها فقال انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا
وقال له اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تحبا فالاقتصاد التوكل عليه السلام وكان
قصر امله بحيث كان اذا نال تمرا مع قرب اجله وقول ابن سيرين لعلي الا لقمة وكان عليه السلام الآخر
انفق ذلك من توكلا كان لاشق هو آخره ولكنه ترك ذلك تعليما للاقوياء من امته فكان اقويا
امته ضعفا بالاضافة الى قوته وادخر لعياله سنة لاضعف قلبه وفي عياله ولكن ليس ذلك
للضعفاء من امته ثم اخبر ان الله يحب ان توتى رخصه كما يحب ان توتى عزائمه تطييبا لقلوب الضعفا
حتى لا ينتهي بهم الضعف الى اليأس والقنوط فيكون المسور من اخبر عليهم فجزاهم عن نبيهم الزلفى
مما ارسل صلى الله عليه وآله الا رحمة للعالمين على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم فاذا تبين هذا علمت ان
الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر وبدا عليه ما روى ابو نعيم الباهلي ان بعض اصحاب الصفة
توفي فوجد له دينار فقال عليه السلام فتنة وثوب فتنة وثوب فوجد له دينارين في داخل ازاره
فقال عليه السلام كيتان من النار وقد كان غرم من المسلمين بموت ويخلف اموالا ولا تقول ان ذلك في حقه
وهذا تحمل وجهين لان كلا تحمل كان احدهما انه اراد كيتان من النار كما قال تعالى فمثلهم كمثل حمار
وجنوبهم وظهورهم وذلك اذا كان حال الاظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس
والثاني ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المغبون انتقص عن درجة كما انه انتقص عن حال الوطن وتجوز
الكيتان في الوجه وذلك ان لا يكون من كيتان كما يخلفه الاول فهو انتقاص من درجته
او لا يتوقى احد عن الناس شيئا الا انتقص بقدره من الآخرة واما بيان ان الاحتياط في ذلك
عن الدين ليس من ضعف ورتبة بطلان التوكل فقد مر ما روى عن بشر قال للحسين المغازلي اصحابك
كنت عندهم تجيء من النار فذكر لهم ضيف العار ضيفا فقام اليه بشر فقال ما رايته قام لاحد
غيره قال ودفع الى الناس درهم فقال اشتر لنا من الطيب بالقدر عليه من الطعام الطيب فقال

مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فاكل منه وما رايته اكل قبله ولا بعده مثل ذلك الاكل قال فكنا عنده
وفي ذلك الطعام شئ كثير فاخذه الرجل وجعله في ثوبه وحمله وانصرف فتبعت من ذلك وكرهت له
فقال له بشر لعلك انكرت فعلته قلت نعم اخذ بقية الطعام من غرمائه فقال ذلك انا فاخذ الرجل
زادنا اليوم من الحلال وانا اردان يعلمنا ان التوكل افاضح الادخار الفن الثالث
في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر الباعثة على الخوف اعلم ان الضرر قد يتوقع الخوف في نفس او مال
وليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة راسا اما في النفس فكالنوم في السبعة اودي محرك السيل
من الوادي وتحت الجدار المايل والاستنف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك
بغير فائدة نعم ستتم هذه الاسباب لا يقطع بها والى مظنون والى موهوم فترك الموهوم ليس
من شرط التوكل ومن الناس من سبقها الى الوهم فالضرر نسبته اليه والرقية فان اكثر الرقية وقعت على المحذور
دفعا لما توقع حد يستعمل حد نزول المحذور للازور وسوا الله صلى الله عليه وآله الرقية الكيتان على
الاترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا رجوا الى موضع بارد لم يلبسوا حتى يلبسوا ليس دفعا
للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناه من الاسباب فهم الاستعداد بها ربما كان التوكل عند الخروج للسفر
اشتاء تسبيحا لقوة الحرارة من الباطن ربما كون من قبيل التوقي بالاسباب والتعويل عليها
فيكاد يقرب من الكي بخلاف الحمية وترك الاسباب الدافعة وان كانت متوقعة بها وجه
اذا نال الضرر من الانسان فانه الا يمكنه الصبر والكتمة الدفع والتشكي فترك التوكل الاتصال
والصبر قال تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وقال وليصبروا على ما اوذيتموهم وعلى الله فليتوكل
المتوكلون وقال ودع اذاهم وتوكل على الله وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال هم
اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى الناس الا الصبر على اذى السباع

والطيات والعقارب وترك دفعها ليس من التوكل في شيء اذ لا فائدة فيه والامر بالسعي والاكتساب
ليعينه على الاعانة على الدين وورد الاسباب هنا كثيرة تهاون الاكل وطلب النافع فلا نطول بالاعادة فالاك
في الاسباب الدافعة عن المآل فلا ينافي التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج والابل بعقل البعير لان هذه
اسباب عرفت بسنة الله تعالى انا فطلبوا انا طلبنا ولذلك قال صلى الله عليه وآله للاعرابي اعقلها وتوكل
توكلت على الله فقال اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال في كيفية صلوة الخوف وليأخذوا اسلحتهم
وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لمن علمه السلاح فاسر بعبادي ليلا وانجهم
بالليل احتماء عن عين الاعداء ونوع تعب واختفى رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار عن اعين الاعداء
دفعا للضرر واخذ السلاح في الصلوة ليس دفعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه يكون راضيا قطعا وكون
اخذ السلاح سببا مظنون وقد بينا ان المظنون كالمقطوع به وانما الموهوم هو الذي ينافي التوكل كما مر
وقد حكي عن جماعة ان الاسد وضع يده على كتفه وام يحرك فاقوله وقد حكي عن جماعة انهم كسروا الاسد وحرروه
والاظهر ان يقال انه ان كان جبانا في نفسه قليل الاقدام بطرق النفس من الغرائز ذلك تمام الرضا
في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه اسرار لا تتسع عليها ما تنته الهمة فاني طلبت وسهل عليه
اعلم بها اني قد وصلت اليه فاقول الواصل لا يحتاج الى طلب العلامات وعلى عمر العلامات السبعة
عليه ان يسخر لك كلب هو معك فانا بك بين الضعف فلا ترى ان بعضك وبعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب
بحيث اذا هيج واشتهل الاباشارتك وكان سخر اك في زمان تنع درجتك الى ان سخر لك الاكل
الذي هو ملك السباع وكلب دارك لعلمك ان يكون سخر اك من كلب البوادي وكلب الباب الى ان سخر لك
اقل من كلب دارك فان لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استخدار الكلب الظاهر فاذا قلت فاذا
اخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو وعقل البعير حذرا من ان يطلق فبأي اعتبار يكون متوكلا فاقول

العدو واعلق بابه حذرا من

عمرو

بتوضامنه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع به عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة التي لا بد
البيت وقد دخل في ذيله مال وهو يعلم انه محتاج فيه فيه اليه فلا يكون اذخاره على هذه النية
مبطلا التوكل وليس من شروط التوكل اخراج الكنوز التي تركت من الاموال التي في بطن زاده وانما الك
في المأكول وفي كل مال زايد على قدر الضم الى سنة اعني جارية بوصول الخبز الى المعدة المتوكلين
زوايا المساجد وما جرت السنة بتوزيعه اكثر ان والاستعفاف في كل يوم والافي كل سبوع والزهد
عن سنة الله ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص ما خذوا في السنة الجبل والكرم والمتوسطون
والابرة دون الزاد الى سنة اعني جارية بالرفق في الامرين فان قلت فكيف تتصور ان لا يحزن
اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يأسف عليه فان كان لا يشتهيه فلا مسكة واغلق الباب عليه
وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتأذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فاقول
انا كان يحتفظ بالمستقبل من عاديته اذ كان يظن ان لا خيرة له ان يكون اذ هلك الماء لولا ان الخيرة له
فيه لطار رفقة الله ولما اعطاه فاستدل على ذلك بسبب الله وحسن الظن بالله مع ظنه ان ذلك من جملة الاسباب
دينه ولكن ذلك عنده مشروط بانه ذا تحمل ان يكون خيرة في ان ستى تعذر ذلك حتى نفذت عرضه
ويكون ثوابه في النفد والتعب اكثر فلما اخذه الله منه بتسليط اللص ما تغير قلبه لانه في جميع الاحوال
واثق بالله حسن الظن به فقول لولا ان الله علم ان الخير له لكان في وجوده الى الان واخره لما اخذه
عدم بما اخذ ما ينبغي وتمثل ما تصور ان يدفع الحزن عنه اذ به يخبر ان يكون فرحه بالاسباب
غايته وتلطفا وهو كالمريض الذي يرى الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم اليه العذاق
وقال لولا انه عرف ان العذ انتفعي وقد قدرت على احكامه لما قدمته اليك وان اخرعنك العذا
بعد ذلك الضرر وقال لولا ان العذا ينفر حبك وسوقك الى الموت لما حال بينك وبينه وكل خبر الله عند

حقيقة انما الاسباب
خرجت الاسباب
سبب الاسباب

ازالة الضرر كمداواة المرض ومثاله اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر انقسم الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل وسائر ابواب الطب اعني معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة وهي الاسباب الظاهرة في الطب والى موهوم كالكي والرقية اما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وآله المتوكلين واقواها الكي ويليها الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال اليها غاية التعمق في ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون افضل من فعله في بعض الاحوال وفي حق بعض الاشخاص فهي على درجة بين الدرجتين ويدل على ان التداوي غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وقوله وامره به اما قوله فقد قال صلى الله عليه وآله ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت وقال تداووا عباد الله وسئل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله تعالى شيئا فقال هي من قدر الله تعالى وفي الخبر المشهور ما مررت بملأ من الملائكة الا قالوا مر امتك بالحجامة وفي الحديث انه امر بها وقال احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر ان التبيغ سبب الموت وانه قاتل باذن الله وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كصب الماء على النار لاطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل اصلا وفي خبر مقطوع من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة واما امره فقد امر صلى الله عليه وآله غير واحد من الصحابة بالتداوي والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا اي فصده وكوى سعد بن زرارة وقال لعلي عليه السلام وكان رمد العين لا تأكل من هذا اعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق او شعير وقال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين

فان الله خلق الداء والدواء

اتأكل تمرا وانت رمد فقال اني آكل بالجانب الآخر فتبسم صلى الله عليه وآله واما فعله فقد روي من حديث من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة وتداوى عليه السلام غير مرة من العقرب وغيرها وروي انه كان اذا نزل عليه الوحي صدع رأسه فكان يغلفه بالحناء وفي خبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا وما روي في تداويه وامره به لك خارج عن الحصر وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وآله وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرئت فقال لا اتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرأ فقال لا اتداوى فدامت علته فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي فمن اودع العقاقير منافع الاشياء غيري وروي في خبر آخر ان نبيا من الانبياء شكى علة يجدها فاوحى الله اليه كل البيض وشكى نبي آخر الضعف فاوحى الله اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وقد روي ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم فاوحى الله تعالى اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد فيفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع اذ فيه يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب فهذا يبين ان مسبب الاسباب اجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة والادوية اسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا تفارقه الا في امرين احدهما ان معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن ادركه بالتجربة التحق في حقه بالاول والثاني ان الدواء يسهل الصفراء بالسكنجبين بشروط اخرى في الباطن واسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميعها

الاحوال ويدل على قوة المتوكل ونقل عن جماعة من الاكابر انهم كانوا يتداوون امراضهم كما
الدرداء فانه قيل له في مرضه ما نشكى قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قالوا
الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني قال وبانظر ان ذلك نقصان لانه لو كان كما لا
لترك رسول الله صلى الله عليه وآله اذا لم يكن حال غيره في التوكل اكمل من حاله ثم اجاب عنه بان
ترك التداوي اسبابا ثم ذكر لذلك اسبابا وعللا عليلة غير موجبة الا ما يرجع الى ما سبق ذكره
من كون الدواء موهوم النفع جاريا مجرى الكي والرقية فيترك المتوكلون ثم شرع في بيان الرد
على من قال ان ترك التداوي افضل على كل حال ثم ذكر حكم التوكل في اظهار المرض وكتابة وجع
الكتاب واطنبت في ذلك كله بالا طايل تحته فنحن نقصر ذكر ذلك كله لقلة جدواه وبعده
عن طريقة اهل البيت عليهم السلام الا كلاما واحدا ذكره في اثناء رده على من قصد ترك
التداوي فانا نورده بالفاظه ونختمه بالكتاب ان شاء الله قال فان قلت فلم نهى عن الخروج
من البلد الذي فيه الوبا وان سبب الوبا في الطب الهوا، واظهر طرق التداوي الفرار
من المضر والهوا، هو المضر فلم رخص فيه قاعلم انه لا خلاف في ان الفرار من المضر غير
منهي عنه اذا لحاجة وانما من المضر وترك التوكل في هذا ما يدل على المقصود ولكن
الذي ينبغي فيه والعلم عند الله ان الهوا، لا يضر من حيث دلالته على ما ظهر البدن بل من حيث
دوام الاستنشاق له فانه اذا كانت فيه عفونة ووصل الى الكبد والمثلث وباطن الاعضاء
اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوبا على الظاهر الا بعد طول المكث في الباطن
فالخارج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذي يحكم من قبلت وتكنه بتوهم انه لم يمرض فيصير هذا
من جنس الموهومات كالفال والطيرة وغيرها فلو خرج هذا المعنى لكان من قضا المتوكل

ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لانه انضاف اليه امر آخر وهو انه لو مرض الاصحاء
في الخروج ما بقي في البلد الا المرضى الذين اقعدهم المرض والطاعون وانكسرت قلوبهم
وفقدوا المتعهدين والسائق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم عجزون عن مباشرة
ذلك بانفسهم فيكون ذلك سببا في هلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظرا كان خلاص الاصحاء ايضا
منتظرا فلو اقاموا لم يكن الاقامة قاطعا بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالنجاة
وهو قاطع في هلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والمؤمنون كالجسد
الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر اعضائه فهذا هو الذي يشتبه عند اكثر المتأملين
المتفكرين فمن اقام لم يتقدم على البلد فانه لم يؤثر الهواء في طعنهم ولا ابتلى البلد جاء الهم
نعم لو سافر في البلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين فقدم عليهم قوم فربما كان يشتبه
استحباب الدخول هنا لاجل الاغاثة ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على جاء
دفع ضرر عن بقية المسلمين وهذا شبيه النزاع من الطاعون في بعض الاقطار بالنزاع
من الزحف لان فيه كسر القلوب ببقية المسلمين وتصير سببا في هلاكهم فهذه امور دقيقة
فمن لا يلاحظها ويقتصر الى ظواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده اكثر ما يسمع
والعباد في مثل هذا ابعد واما شرف العلم وفضيلته لاجل ذلك

تم كتاب التوحيد والتوكل من المحجة البيضاء الى احياء
الاحياء ويتلوه كتاب المحبة والشوق والرضا
والانس برحمة الله وفرغ منه مؤلفه محمد بن محمد الغزالي
غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات آمين رب العالمين